

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الخطب العصرية لوزارة الأوقاف المصرية

الجزء الخامس

إعداد
الإدارة العامة لبحوث الدعوة

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٩هـ /٢٠١٧م

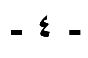


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيـــــدُ إِلَّا الْإِصْــلاَحَ مَا اسْتَطَعْـتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

[هود: ٨٨]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد :

فيسرنا أن نقدم للسادة الأئمة والخطباء والمثقفين والمعنيين بالشأن الدعوي في مصر والعالم الجزء الخامس من الخطب العصرية الذي أعدته الإدارة العامة لبحوث الدعوة بوزارة الأوقاف تحت إشرافنا ومراجعتنا.

وقد تنوعت موضوعات هذا الجزء من موسوعة الخطب العصرية شأن ما سبقه من أجزاء ما بين قضايا إيمانية وتربوية وأخلاقية ، تهدف إلى إيقاظ الضمائر وتهذيب الأخلاق ، وقضايا اجتماعية تسهم في دعم وتقوية أواصر المودة والرحمة بين أبناء المجتمع ، وتسهم في حفظ تماسكه وتلاحم نسيجه ، وأخرى تتصل بالمعاملات التي تعد جزءًا لا يتجزأ من السلوك القويم للمسلم ، وقضايا وطنية تهدف إلى تقوية الانتماء الوطني والحفاظ على أمن الوطن واستقراره ، إضافة إلى ما لا غنى عنه من بعض خطب المناسبات .

وقد صدرناه بخطبة عن " الأخلاق أساس الحضارات الراقية " تعميقًا وترسيخًا للقيم الأخـلاقية وبيان أثرهـا في حياة الفر والمجتمـع ، إذ إن

الأمم والحضارات التي لا تبنى على القيم والأخلاق النبيلة تحمل عوامل سقوطها ومعول هدمها في أصل قيامها وأساس بنيانها .

وقد راعينا في هذه الخطب أن تكون في إطار سماحة الإسلام ووسطيته ، بعيدًا كل البعد عن جميع ألوان التشدد والغلو والإفراط أو التفريط ، محققاً لرسالة المسجد ، يجمع ولا يفرق ، ويهدف إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد ، من منطلق أن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة هذه المصالح ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله وبما يؤدي إلى تشكيل وعي ديني صحيح ورشيد ومستنير ، وحس وطني صادق ونبيل.

كما راعينا في إخراجها السهولة واليسر ، والبعد عن التقعر والتكلف ، سائلين الله (عز وجل) أن يكتب له القبول ، وأن يكون زادًا علميًّا وفكريًّا ومعرفيًّا في مجال الثقافة الإسلامية الرصينة ، وأن يكون إضافة متميزة للمكتبة الدعوية ، في إطار دور مصر الريادي في نشر الفكر الوسطي المستنير وترسيخ سماحة الإسلام ، وإبراز معالمه الحضارية للبشرية جمعاء.

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف

الأخلاق أساس الحضارات الراقية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمما لا شك فيه أن مكارم الأخلاق من القواسم المشتركة بين جميع الشرائع السماوية ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) ، فالأخلاق ليست أمرًا يمكن الاستغناء عنه ، بل هي أصل من أصول الحياة التي تتطلبها كل الأديان ، وهي غاية العبادات ، وأساس قيام الحضارات الراقية ، ومصدر من مصادر سعادة الإنسان ، على أن الحضارات التي لا تقوم على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل قيامها وأساس بنيانها.

وبكريم الأخلاق أثنى الحق سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله (عليهم السلام) فقال سبحانه في شأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) :{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، وفي شأن سيدنا إسماعيل (عليه السلام) قال سبحانه:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}، فقد وصفه بصدق الوعد وقدمه على النبوة والرسالة ، ثم جمع سبحانه وتعالى الأمر كله لنبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وهذا ما قرره رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث لخص الهدف من رسالته فقال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

والمتأمل في حياة بعض الناس اليوم يجد أنهم قد ابتعدوا عن المنهج الصحيح للإسلام ، واختزلوا الشريعة الإسلامية في مجرد الأحكام التعبدية فقط، لذلك ضلوا الطريق وحادوا عنه ، ومن ثم وجدنا أزمة أخلاقية ، فرأينا من يعق أباه أو يؤذي أمه ، ورأينا من يأخذ أكثر من حقه ولا يؤدي ما عليه من واجب ، رأينا من يدعي الإيمان ويتاجر بالدين ثم يقتل، ويدمر، ويفجر وهو مؤد للشعائر ، محافظ عليها غاية الحفاظ ، ولله در القائل: (إِنَّ قَوْمًا طَلَبُوا الْعِبَادَةَ وَتَرَكُوا الْعِلْمَ حَتَّى خَرَجُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَلَوْ طَلَبُوا الْعِلْمَ لَمْ يَدُلَّهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا).

وقد ربط الإسلام بين الشريعة والأخلاق الحميدة والعبادات والآداب الرفيعة ، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أن من حكمة مشروعية العبادات في الإسلام تهذيب سلوك الفرد وتزكية أخلاقه ، لينعكس ذلك على تصرفاته وأفعاله وسائر أحواله ، ومن ثم على مجتمعه، فيبني مجتمعًا متحضرًا يتمتع بالتخلق بمكارم الأخلاق.

إن العبادات لابد وأن تترك أثرًا أخلاقيًّا في سلوك صاحبها ، فهي ليست طقوسًا جوفاء ، بل شُرِعت لترتقي بالإنسان ، وتسمو بأخلاقه ، ففريضة الصلاة التي تمثل أسمى علاقة تربط العبد بربه ، قال الله تعالى عنها :{إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُون}، وأكد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على هذا المعنى بقوله : (مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا).

وكذلك الزكاة بمفهومها العام والشامل ، قال الله تعالى عنها : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} ، فهي ليست مفروضة لتؤخذ من الأغنياء فحسب، بل فرضت لتزكية الأنفس وتطهيرها ، ولغرس مشاعر الرأفة وتوطيد

علاقات الألفة والمحبة بين الناس ، وكلها معانٍ أخلاقية في المقام الأول تبنى عليها الحضارات ، ومن أجل ذلك وسَّع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في دلالة الصدقة حيث قال: (تَبَسُّمكَ فِي وَجْهِ أخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ ، وَأمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَة ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أرْضِ الضَّلالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقةٌ ، وَإفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أخِيكَ لَكَ صَدَقَة) ، وأما الصيام فهو يقوي عزيمة المؤمن فينتصر على نفسه وشهواته ، وهذه هي التقوى في أكمل صورها والتي جعلها الله تعالى غاية الصوم ، فقال سبحانه : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ، ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) يقول: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ).

وكذلك الحج إنما فرضه الله تعالى لتهذيب النفوس بمكارم الأخلاق ، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ معْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) : (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

فالعبادة إذا لم تؤثر في خُلُقِ الإنسان وتهذب سلوكَهُ فلا قيمة لها ولا ثمرة لها في الآخرة ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ

مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)، ولما سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ).

ولقد عُني الإسلام بالأخلاق عناية بالغة ، فجعل حسن الخلق أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ) ، كما أنه يرفع درجة صاحبه حتى يتساوى مع درجة قائم الليل وصائم النهار ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ) ، إضافة إلى أن صاحب الخلق الحسن يجاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الجنة ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (المُتَكَبِّرُونَ).

وقد كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنموذجًا عمليًّا للأخلاق الحسنة ، فقد كان أحسن الناس خلقًا ، وأكثرهم محبة ورأفة ، وحلمًا وعفوًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأوفاهم عهدًا وذمة، وأكرمهم عشرة ، مدحه رب العزة (سبحانه وتعالى) بقوله :{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، ووصفه سيدنا أنس (رضي الله عنه) بأنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا) ، ولما سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن).

وعلى منهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سار الصحب الكرام (رضوان الله عليهم)، فكانوا بهذه الأخلاق سادةَ الأمم ، ومحطَّ الأنظار ، وموضعَ القدوة لتمسكهم بالأخلاق السامية ، لذا كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا لِمَا يرون من حسن معاملتهم وجميل أخلاقهم ، وحين بدأ الانحراف عن هذا المنهج القويم وساءت أخلاق الناس؛ ضاعت القيم ، وفُقدت القدوة ، وتبدلت المفاهيم ، وصدق الإمام مالك (رحمه الله) حين قال: (ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، فبالأخلاق الفاضلة تحيا الأمم وتنهض وتبقى آثارها خالدة ، فهي صمام أمان للمجتمعات من الانحلال، تصونها من الفوضى والضياع ، فسلامة الأمة وقوة بنيانها، وسمو مكانتها وعزة أبنائها بتمسكها بالأخلاق الفاضلة ، وبزوالها تنهار الأمم وتسقط، وتصبح في مؤخرة الأمم ، فكم من حضارات ودول انهارت ليس عن ضعف مواردها وإنما بتردي أخلاقها ، ولله درُّ القائل:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن أهم ما تميزت به الأخلاق في الإسلام أنها لا تتجزأ فلا تفرقة فيها على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس ، وبهذا قامت الحضارة الإسلامية، قال الله تعالى في التعامل مع الوالدين المشركين:{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ

تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، ورسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان لا يفرق في معاملته بين المسلم وغيره ، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: (كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمْ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ).

إن الحضارات الراقية لا تقوم إلا على الأخلاق ، فهي من أسس تحضر الأمم، ورقيِّها ، فتقدم كل أمة أو انحدارها يرجع إلى مدى تمسكها بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة، ومن ثمَّ فإن الجانب الأخلاقي هو أهم مرتكزات الحضارة الإسلامية، لذا برع المسلمون في النواحي العلمية وقدموا إسهامات غيرت وجه التاريخ ، ولا أدل على ذلك من التعددية والاختلاف في المذاهب الفقهية، فمفهوم الحضارة لا يتحقق لمجتمع يشهد غياب القيم ، فبقاء الأمم وازدهارها واستمرارها يكون بالأخلاق ، فإذا انعدمت الأخلاق سقط المجتمع وانهارت الأمة ، وقد أكد القرآن الكريم على ذلك ، حيث إنه ذكر لنا نماذج لأمم وحضارات سابقة انهارت بسبب فساد أخلاقها وانتشار الفواحش فيها ، مثل قوم لوط وقوم ثمود وقوم شعيب وغيرهم ... ولهذا قيل: (إن الله يُقِيمُ الدّولةَ العادلةَ وإن كَانَت كَافِرَة ، وَلَا يُقيم الدولة الظالمة وإن كَانَت مسلمة).

فإذا أردنا أن نرتقي بأخلاقنا ومجتمعنا وحضارتنا فلا بد من الاقتداء بالقدوة الحسنة ، فهي عامل رئيس في تكوين الأخلاق ، ونبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) خير من نقتدي به في الأخلاق الحسنة وكل مناحي الحياة ،

قال تعالى : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

فما أحوجنا إلى أن نعود إلى هذه المبادئ والقيم الأخلاقية والدعائم الحضارية التي تحقق السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت

واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

* * *

الكرم في المال والنفس

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الدين الإسلامي دين القيم والمثل والأخلاق الراقية ، ومن هذه الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف وحثَّ على التخلق بها : خلق الكرم ، فهو خُلق من أخلاق المرسلين ، وصفة من صفات الصالحين ، به تسُود المحبَّة والمودَّة بين الناس.

وقد رغَّب الإسلام أتباعه أن يكونوا من أهل الجود والبذل والسخاء ، وأن يجعلوا تقديم الخير للناس والإحسان إليهم مسلكًا ومنهجًا رغبة فيما عنده سبحانه من حسن الجزاء والثواب، حيث يقول سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}. والكرم يكون بالمال والنفس معًا :

أما الكرم بالمال فيتمثل في البذل والعطاء من مال الله الذي أنعم به علينا واستخلفنا عليه وأمرنا بالإنفاق منه بسماحة نفس ، وطيب خاطر ، وسهولة ويسر ، لقضاء حوائج الناس، من إطعام جائع، وكساء عارٍ، وإعانة محتاج ، وغير ذلك ، مما يحقق لهم الكفاية وقضاء الحوائج ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، يقول سبحانه وتعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}.

ومع أن المال هو مال الله (عز وجل) فإنه سبحانه وتعالى وعد المنفقين منه بمضاعفة الأجر والثواب أضعافًا كثيرةً ، فقال سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ما مِن يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما : اللّهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللّهمّ أعطِ ممسكًا تلفًا) ، ومن هذا يتضح كرم الله سبحانه وتعالى مع عباده ، فحين ينفق الإنسان مما أعطاه الله (عز وجل) ولو كان قليلًا فإنه سبحانه وتعالى يبارك له في ماله ويتفضل عليه بأضعاف مضاعفة ، قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

ولقد بين القرآن الكريم أن الكرم من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فقال تعالى في قصة إبراهيم (عليه السلام) :{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} ، ولعظمة كرمه وجوده (عليه السلام) لقب بأبي الضيفان ، وقال سبحانه عن موسى (عليه السلام):{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ}.

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) ضرب أعظم الأمثلة في الجود والكرم ، حيث بلغ مرتبةَ الكمال البشري في حبِّه للعطاء والبذل ، فكان يعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر، ثقة في عطاء الله ، وإيمانًا بفضله ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ) .

ويؤكد ذلك ما رواه الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) : أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم): (مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا ، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا).

ولمكانة هذا الخلق الكريم وبيان منزلته أمر به رب العالمين ، وحثَّ عليه سيد المرسلين ، فقال سبحانه :{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} ، وفي الحديث القدسي: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)، وحثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على الكرم فقال: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، ولهذا سارع الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى الجود والكرم بالمال والنفس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، فضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، وخاصة وقت الشدائد والمحن ، تحقيقا للتكافل والتعاون والتراحم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ). وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسُ شَاةٍ، فَقَالَ: (إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا) قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ فَنَزَلَتْ {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، فكانوا يتنافسون في الجود والكرَم ، ويتسابقون إلى البذل والعطاء .

ثم يبين النبي (صلى الله عليه وسلم) أهمية الكرم وبذل المال في إصلاح الفرد والمجتمع، بداية من الأهل والأقارب فيقول: (إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ ، لاَ يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا)، ويرغبنا النبي (صلى الله عليه وسلم) في إكرام الضيف فيقول: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ...)، ومن ثمَّ فإن بذل المال في سبيل الله تعالى إنفاقًا وإكرامًا ينتفع الإنسان بأثره يوم القيامة؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مالي مالي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ).

وجدير بالذكر أن الكرم لا يتوقف على بذل الأموال فحسب ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قال: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ}، وفي آية أخرى قال:{وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ}، وهذا يدل على أن هناك كرمًا آخر غير الكرم بالمال وهو الكرم بالنفس.

والكرم بالنفس معناه بذل الجهد في تقديم الخير للآخرين ، والعمل على قضاء مصالحهم وحوائجهم ، وعلى معاونتهم ومساعدتهم ، سواء بالكلمة الطيبة أو بتقديم النفس من أجل تحقيق غاية سامية عظيمة كالإصلاح بين الناس ونشر الخير والدفاع عن الدين والوطن ، فهو صفة الكرماء وشيمة النبلاء ، وهو أرقى درجات الإيثار ، وأنفس أنواع الجود والكرم ، يقول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها *** والجود بالنفس أقصى غاية الجود

على أن الكرم بالنفس له صور متنوعة ، منها : بذل الجهد والسعي لقضاء حوائج الآخرين واصطناع المعروف معهم ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ،

وذلك من الشفاعة الحسنة التي أمرنا الله تعالى بها فقال:{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا}، وكَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، قال: (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، ويقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا شَاءَ) ، ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِهِ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ) ، ومن ثمَّ فإن من أجل وأعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان أن يوفقه ببذل الجهد لقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم.

ولقد ضرب لنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في السعي لقضاء حوائج الناس وبخاصة الضعفاء والأرامل واليتامى ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) : أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَقَالَ : (يَا أُمَّ فُلَانٍ ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ ، فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا) ، وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أيضا قال: كَانَتِ الصَّلاَةُ تُقَامُ ، فَيُكَلِّمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ فِي حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ ، فَيَقُومُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَمَا يَزَالُ قَائِمًا يُكَلِّمُهُ ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ لَيَنْعَسُ مِنْ طُولِ قِيَامِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَهُ ، قال أبو العتاهية:

اقض الحوائج ما استطعت *** وكن لهَمٍّ أخيك فارجا

فلخـــــير أيام الفـــتى *** يوم قضى فيه الحوائجا

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن صور الكرم بالنفس: ما يبذله الجندي المرابط على الحدود يدافع عن وطنه وأرضه وأهله وعرضه ، فهو يؤدي واجبًا يثاب عليه بالخير الكثير ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) ، وأيضا يضمن لنفسه الأمان من النار ، لقوله (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بل إن كرم الإنسان بنفسه يضمن لنفسه الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

ومن ثمَّ فإن تعاليم الإسلام التي تحث على الكرم والجود والسخاء بكل ما يملك الإنسان من ماله أو نفسه هي أكبر دليل على إيجاد مجتمع قوي متماسك متعاون ، تسوده المحبة والإخاء ، يقوم على العطاء وفعل الخير للغير ، ويهيمن عليه الإخلاص والوفاء، فينبغي أن يكون المؤمن كريمًا في كل أحواله ، فالمجتمع الإسلامي لا يَعْرِف الفردية أو الأنانية أو السلبية ، وإنما يعرف الإخاء الصادق ، والعطاء الكريم، والتعاون على البرِّ والتقوى دائمًا ، فتتجلى مكارم الأخلاق وتعم معاني التراحم بين جميع أفراد المجتمع ، ونكون أمام ترجمة حقيقية للتعاليم الإيمانية.

فما أحوجنا إلى التخلق بهذا الخُلـق العظيم ، بعيدًا عن كلّ مظاهر البخل

والشح، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...).

*   *   *

الإيثار ... خلق إسلامي وقيمة إنسانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابه العزيز: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من مكارم الأخلاق التي دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف وأمر بها أتباعه: خلق الإيثار ، ومعناه : تقديم الإنسان غيرَهُ على نفسه فيما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا راجيًا ثواب الآخرة ، وهو خلق كريم ، وسلوك قويم، وقيمة إنسانية راقية ، وصفة يتميَّزُ بها المؤمن عن غيره ، وهو خلق يجمع صاحبه عددًا مِن الأخلاق الحسنة والخِلال الحميدة كالرَّحمة وحبِّ الخير للغير والسَّعي لنفع النَّاس ، بعيدًا عن الأنانية وحب الذات وغير ذلك من الأخلاق السَّيِّئة والخِلال الذَّميمة.

إضافة إلى أن خلق الإيثار من أسمى صور الرُّقِيِّ الأخلاقِيِّ ، فمِنْ خلالِهِ يستطيعُ المؤمنُ أَنْ ينتصر على نفسه ويتغلَّب عَلَى هواهُ طاعةً للهِ (عز وجل)، وهو مرتبة عالية مِن مراتب البذل والسخاء ، ومنزلة عظيمة من منازل الإنفاق.

ولقد أثنى الله (عز وجل) على أصحاب هذا الخلق النبيل ، ومدَح المتحلِّين به وبيَّن أنَّهم أهل الفلاح في الدُّنْيا والآخرة ، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، إن الإيثار في الإسلام خُلقٌ يجعل المؤمن يحب الخير لغيره ، فيجودُ بنفسه وماله لإسعاد الآخرين ، ومن ثمَّ تقوَى الروابط ، وتتوثَّق العلاقات ، وتسود المودة والمحبة بين المسلمين ، فهو شعار وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

وإذا نظرنا إلى هذا الخلق النبيل وجدنا أنه خلق من أخلاق سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (لَوْ شِئْنَا أَنْ نَشْبَعَ شَبِعْنَا ، وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ)، فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُؤْثِرُ غيره علَى نفسِهِ وعلَى أهْلِ بيتِهِ معَ شدةِ حاجتِهِمْ ، وها هو (صلى الله عليه وسلم) تأتيه امرأة بِبُرْدَةٍ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا ، فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَلَمَّا قَامَ النبي (صلى الله عليه وسلم)لاَمَهُ أَصْحَابُهُ ، قَالُوا : مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا). فكان (صلى الله عليه وسلم) يؤثر غيره على نفسه في كل الأحوال .

ثم دعا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه إلى التحلي بخلق الإيثار ليكون واقعًا سلوكيًا وعمليًا في حياتهم ، وذلك بمخالفة النفس ومقاومة الأنانية وحب الذات ، حيث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) .

ولقد ضرب الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) أروع الأمثلة في تحقيق هذا الخلق العظيم وبذل الخير للغير رغم الحاجة إليه ، فصار هذا الخلق سجية لهم ، فعن أَبي هُرَيْرَة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: (مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: (قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

فقمة الإيثار أن يحب الإنسان لأخيه أكثر مما يحب لنفسه ، وأن يفضل منافع الغير ويقدمها على منافعه رغبة في إرضاء الله (عز وجل) وطمعًا في ثوابه، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: (أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا، قَالَ: فَبَعَثَه إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدٌ إِلَى آخرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ.

ولقد سجل التاريخ مواقف خالدة بأحرف من نور ، لأناس آثروا غيرهم على أنفسهم ، وزينوا صفحات حياتهم بزينة الإيثار وحب الخير للغير ، حتى كان خلق الإيثار شعارًا لهم ، ورمزًا لإيمانهم ، ومن ذلك ما حدث مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، وسيدنا سعد بن الربيع (رضي الله عنهما) حين

آخى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينهما ، فقال سيدنا سعد لسيدنا عبد الرحمن: (إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ له سيدنا عبد الرحمن : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ) .

وهذه صورة مشرقة من قيمة الإيثار بلغت غايتها ونهايتها ، حين يؤثر الأخُ أخاه على نفسه بشربة ماء هو أحوج ما يكون إليها في لحظاته الأخيرة ، فعَنْ أَبِي جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ: (انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، أَوْ إِنَاءٍ ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آهِ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِي أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَسَمِعَ آخَرَ فَقَالَ: آهِ ، فَأَشَارَ هِشَامٌ : أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ). فقد فضَّل كلُّ واحد منهم أخاه على نفسه ، وآثره بشربة ماء ، حتى مات الثلاثة على خُلُقِ الإيثار.

إن الإيثار خلق عظيم القدر ، عالي المكانة ، رفيع المنزلة، لا يتخلَّق به إلاَّ أصحاب القلوب العامرة بالإيمان ، والتي عرفت ربها تمام المعرفة ، وفَهِمت دينها حق الفهم ، واحترمت إنسانيتها فتحقَّق لها القرب من الله (عز وجل).

جدير بالذكر أن خُلُقَ الإيثار من أهم أسباب التراحم بين المسلمين ، ولنتذكر جميعًا قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). فوجود الإيثار في المجتمع دليلٌ على وجود حس التَّعاون والتَّكافل والمودَّة.

وللإيثار ثمرات عظيمة تعود بالخير والنفع على الفرد والمجتمع ، منها: أنه يجلب لصاحبه محبّة الناس ، ويُذهبُ عنه حقدهم وحسدهم ، ويزيده رفعة ومنزلة في الدنيا والآخرة ، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها وتعظيم من يؤثرها ، مع ما يجلبه الإيثار من البركة في المال والولد ، فضلاً عما يجده صاحبه من الثواب الكبير والأجر العظيم والخير العَمِيم في الآخرة ، قال تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا}، ويقول سبحانه:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْرًا}.

ومن ثمرات الإيثار : أنه يسهم في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية، ويحافظ على تماسك الأفراد والمجتمعات ، فيتحقق التواد والتراحم والتآلف وغيرها من المعاني النبيلة التي تسهم في تقدم الشعوب وتحضرها.

وللإيثار درجات ومراتب : **أولها** ، وهي أعلاها وأفضلها : إيثار مرضات الله تعالى على مرضات العباد، وهذا ما كان عليه الأنبياء والمرسلون والمخلصون في كل زمان ومكان ، لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا الله تعالى على رضا غيره ، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ).

المرتبة الثانية : إيثار الخلق على النفس فيما يرضي الله (عز وجل) ، وهذه هي درجات المؤمنين المخلصين ، وأسمى صور هذه المرتبة أن نقدم المصلحة العامة على المصالح الخاصة.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

كما دعا الإسلام إلى التخلق بخلق الإيثار فقد حذَّر أشد التحذير من حب الذات والأنانية وإيثار الفانية على الباقية حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

وإذا كنا نحث على الإيثار والتكافل والتراحم ولا سيما في وقت الشدائد والأزمات ، فإننا بالقدر نفسه وزيادة نحذر من الشح والبخل والاحتكار والغش والتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية والأساسية ، فقد نهى الإسلام عن كل ألوان الغش والاحتكار ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (... مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ، وقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ) ، وفي رواية : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله).

فما أحوجنا إلى التخلي عن هذه الآفات ، والتخلق بخلق الإيثار ، والحرص على تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة حتى نرتقي بمجتمعنا وأمتنا .

* * *

فروض الكفايات
ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن المتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد ، والسُّمُوّ بالنفس البشرية إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين ، عن طريق الالتزام بمنهج الله (عز وجل) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثم يتمكن الإنسان من القيام بالمهمة التي خلقه الله (عز وجل) من أجلها ، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وعمارة الأرض ، قال سبحانه:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}.

ومن جملة الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام لتحقيق الخير للإنسان ما يعرف بفرض العين ، وفرض الكفاية ، أما فرض العين فهو ما يجب وجوبًا عينيًّا لازمًا على شخص معين بذاته بحسب قدرته واستطاعته ، لا يقوم غيره فيه مقامه ، ويمثل له علماء الشريعة بالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فلا يجزئ صيام الأمة كلها عن إفطار من أفطر ، ولا يغني عنه صيامها من الله شيئًا ، وكذلك الصلاة والزكاة ، ففرض العين إذا أقامه المسلم نال ثوابه وحده ، وإذا تكاسل عنه تحمل إثمه وحده.

وأما فرض الكفاية فهو لا يتعلق بشخص بعينه ، بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع ؛ لكن إذا قام به بعض الناس سقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعًا، ومن ثم ففرض الكفاية هو ما يجب على المجتمع أن يقوم به من إنفاق المال ، أو بذل الجهد لدفع الضرر عن الفقراء والمساكين وغير القادرين ، يقول الحق سبحانه:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

فالكل في سفينة واحدة ، ولكي تصل إلى برِّ الأمان لابد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا).

وإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد مثلوا لفروض الكفاية ببعض الأمور ، كردِّ السلام ، وتشميت العاطس ، واتباع الجنائز ، وتغسيل الميت ، وتجهيزه ، وتكفينه والصلاة عليه ، ونحو ذلك ، فإنما ذكروا ذلك كله على سبيل المثال لا الحصر ، حيث إن مفهوم فروض الكفاية يتسع لكل ما فيه صلاح البلاد والعباد ، فهي لا تتوقف عند مجرد الشعائر فحسب ، بل تتناول كل ما تقوم به حياة الفرد والمجتمع ، أو ما يهدف إلى المصلحة العامة، انطلاقا من قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

على أن كثيرًا من الناس يعتقدون أنهم أدوا ما عليهم بدفع زكاة أموالهم ، وغاب عنهم ما في المجتمع من أيتام وأرامل ، وفقراء ومساكين ، ومرضى ومنكوبين ، فليعلم الجميع أنه إذا أصيب أحد بكرب ، أو احتاج شيئًا وجب عليهم أن يدفعوا عنه ذلك الكرب ، أو يقضوا له تلك الحاجة متضامنين ، فإذا قام به واحد منهم سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تخلف الجميع أثموا جميعًا.

ومن أمثلة فروض الكفاية التي تحقق التوازن المجتمعي: **التكافل الاجتماعي**: فالإسلام لا يَعْرِف الفردية أو الأنانية أو السلبية ، وإنما يعرف الإخاء الصادق ، والعطاء الكريم ، والتعاون على البِرّ والتقوى ، وهذا ما دعا إليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ).

ولقد ضرب الأشعريون أروع الأمثلة في التكافل المجتمعي فاستحقوا ثناء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا ـ نَفِدَ زادهم ـ فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)، فهذا مثال عمليٌّ واقعيٌّ ، تنتفي فيه كل مظاهر الفردية والأنانية ، ويستحضر الجميع روح الجماعة والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار إحساسًا بكونهم جسدًا واحدًا يقوى بالتعاطف والتراحم والتكافل والتعاون (ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي

إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ) فكان التعقيب المحمدي على هذا الفعل الجميل بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

ومن فروض الكفاية: **قضاء حوائج الناس** ، فقضاء حوائجهم والقيام بمتطلبات حياتهم من الواجبات الشرعية والوطنية ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ)، وفي حديث آخر نرى النبي (صلى الله عليه وسلم) يقدم قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده ، حيث يقول: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ).

والمتأمل في واقع الناس اليوم يجد منهم الفقير الذي لا يجد ما يسد جوعه ، والمريض الذي لا يجد دواءه ، والأرامل ، واليتامى والضعفاء ، ومن لا عائل لهم ، هؤلاء وغيرهم أحق بقضاء مصالحهم وحوائجهم ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحرص على متابعة أصحابه في قضاء حوائج الناس والسعي في مصالحهم ، فيسأل عمن فعل واستجاب وعمن حرص واقتدى ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه): أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

كذلك من فروض الكفاية التي تسهم في سد حاجات المجتمع: **العمل على تخريج المتميزين من الأطباء والمهندسين والعلماء المتخصصين** بما يحقق كفايته في شتى المجالات العلمية والإنتاجية.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: " أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ،كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ، ... وكذلك فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات ".

فلو خلا بلد من هذه العلوم والصناعات تعرض أهل هذا البلد للهلاك ، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، ومن لا يملك قوته وسلاحه وعتاده ودواءه لا يملك إرادته ، ومن ثمَّ وجب علينا جميعًا وجوبًا دينيًّا ووطنيًّا أن نعمل وبمنتهى الهمة والجد على تحقيق الكفاية لوطننا في جميع المجالات حتى نصبح أمة منتجة ، أمة مصدرة ، أمة نافعة لنفسها وللإنسانية ، وليست عالة على غيرها ، لا في طعامها ، ولا في شرابها ، ولا في كسائها ، ولا في علاجها ، فعلاج مرضى المجتمع أمانة في أعناق أطبائه ، ومحو أمية المجتمع أمانة في أعناق مُعلِّميه ، وحفظ أمنه أمانة في أعناق جيشه وشرطته ، وعدل المجتمع أمانة في أعناق قضاته ، ففروض الكفايات تقوم على المسئولية التضامنية لأفراد المجتمع ، كل في مجاله وميدانه ، يقول سبحانه وتعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

إن القيام بفروض الكفاية خير وسيلة للقضاء على الفقر، والجهل ، والمرض، حتى لا يجوع فقير ، ولا يضيع يتيم، ولا يحتاج مسكين ، ومن ثمَّ

يتحقق التوازن المجتمعي ، والعدل بين الناس ، وضمان الأمن والأمان ، من خلال إنفاق المال لإطعام الجائعين ، ورعاية اليتامى والمساكين ، وعلاج المرضى والمعاقين ، وبذل الجهد لإغاثة الملهوفين والمنكوبين ، وإزالة الكرب عن المكروبين ، وتقديم يد العون للفقراء والمحتاجين ، وبذلك يتحقق التوازن المجتمعي.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن أمثلة فروض الكفايات التي تسهم في سد حاجات المجتمع: **السعي إلى تحقيق القوة** في جميع جوانب حياتنا الإيمانية ، والعلمية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والإنتاجية ، يقول تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}، ولم يحدد الله تعالى نوع هذه القوة ، فهي شاملة لكل قوة تُصلح الأمة ، سواء كانت قوة روحية أم علمية أم جسدية ، أم غير ذلك.

ومن أمثلة فروض الكفايات: **تلبية حاجات المجتمع الضرورية** بمراعاة فقه الواقع وتقديم فقه الأولويات ، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء المستشفيات وتجهيزها لعلاج الفقراء ورعايتهم فلابد من القيام بذلك ، وإن كانت حاجة المجتمع لبناء المدارس والمعاهد وصيانتها وتجهيزها والإنفاق

على طلاب العلم ورعايتهم فلابد من القيام بها ، وإن كانت الحاجة ماسة لتيسير زواج المعسرين وسدِّ الدين عن المدينين ، وتفريج كروب الغارمين والغارمات فلابد من القيام بذلك ، وإن كانت الحاجة في توفير المياه النقية الصالحة لكل أفراد الأمة ، فلابد من القيام بهذا الواجب سدًّا للحاجات الضرورية للمجتمع ، وهذا ما فعله سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عندما اشترى بئر رومة استجابة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)، قال سيدنا عثمان: فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ بِئْرَ رُومَةَ، قَالَ: (اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ)، فقد كانت حاجة المجتمع ماسة لشراء المياه ، وكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم.

ومن ثمَّ فإن فروض الكفايات تتعلق بكل حاجات المجتمع ، وتغطي كل مجالات الحياة ، ولنعلم أن إحياء الواجب الكفائي يسهم في تحقيق التكافل والتوازن المجتمعي من جهة ، وسد حاجات الوطن الأساسية والضرورية من جهة أخرى ، فما أعظم ديننا لو فهمناه فهمًا صحيحًا وطبقناه تطبيقًا واعيًا ؛ لأنه يحرص أشد الحرص على ما فيه صالح البلاد والعباد والإنسانية.

* * *

عوامل القوة في بناء الدول

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من مبادئ الإسلام الأصيلة ، وتعاليمه الجليلة حبَّ الوطن، والدفاعَ عنه ، والعملَ على حمايته ، والشرَفُ كل الشرفِ في شعور الإنسان بانتمائه الحقيقي لوطنه ، والسعي الجاد لبنائه ، والعمل على رقيِّه ورفعته ، فكل الأمم التي تقدمت علميًّا وحضاريًّا يقف وراءها رجال مخلصون امتلأت قلوبهم بحب أوطانهم ، فشمروا عن ساعد الجد بالعمل المثمر العائد بالنفع على العباد والبلاد ، ومصرنا الغالية تستحق من أبنائها ذلك وأكثر ، فهي القلب النابض للعروبة والإسلام ، وهي درع الأمة وسيفها ، وحصنها الحصين في مواجهة الإرهاب والتحديات ، ومن ثمَّ فإن الدفاعَ عنها ، والعملَ في سبيل نهضتها ورقيها ، إنما هو واجب ديني ووطني ، فهي مهد الحضارات ، وموطن الرسالات ، اقترن ذكرها في القرآن الكريم بالأمن والأمان ، ومن ذلك قوله تعالى: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، وسميت خزائنها خزائن الأرض ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان يوسف (عليه السلام) :{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}، وعلى أرض سيناء المباركة كلَّم الله موسى تكليمًا ، وتجلى فيها تجليًا مهيبًا ، فمصر أرض مباركة ، وُلد وتربَّى ونزل وتزوج منها الأنبياء عليهم السلام ، فقد وُلد فيها موسى وهارون

ويوشع بن نون (عليهم السلام)، وعاش فيها إدريس ويعقوب ويوسف والأسباط (عليهم السلام)، ونزل بها إبراهيم وإسماعيل ،(عليهما السلام) وتزوج منها أبو الأنبياء إبراهيم ، فأنجبت له زَوْجُهُ هاجر المصرية نبيَّ الله إسماعيل جدّ نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ويكفي أهل مصر شرفًا وفخرًا أنهم أصهار النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأخوال ولده إبراهيم من السيدة مارية القبطية ، وجاءت إليها السيدة العذراء مريم مع نبي الله عيسى وهي في طريق عودتها إلى بيت المقدس ، وقد أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة كلّها بمصر وأهلها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ ، فَاسْتَوْصُوا بأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) ، وعن أم سلمة أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: (اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عُدَّةً وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ) ، ولله در صلاح الدينِ الصفدي حين قال:

من شاهد الأرض وأقطارها *** والناس أنواعًا وأجناسا

ولا رأى مصر ولا أهلها *** فما رأى الدنيا ولا الناسا

وقد وجه الإسلام إلى أن الأوطان لا تُبنى بالكلام ولا بالشعارات ، بل حدد عدة عوامل من خلالها تُبنى الدول من أهمها :

* **العلم والثقافة والوعي** ، فقد أشاد الإسلام بفضل العلم وحث على تحصيله وطلبه ، وأعلى من شأنه ومكانته ، قال تعالى:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، وللعلم أثره الظاهر في قوة الدول وبنائها ، فهو حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار ، وبه تُوصل الأرحام ، وبالعلم تُشيد الحضارات ، وتؤسس الدول ، وتَسُود الشعوب ، وما فشا الجهل في دولة إلا هدم أركانها ، وصدَّع بنيانها ، وأوقعها في التهلكة.

وحسبنا أنَّ أول آيات نزلت من الوحي أشارت إلى فضل العلم ، حيث أمرت بالقراءة وهي مفتاح العلم، ونوّهت بالقلم وهو أداة نقل العلم، وذلك في قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، والقرآن الكريم حين يبدأ رسالته العالمية للناس كافةً بلفت أنظارهم إلى ضرورة العلم من خلال كلمة (اقْرَأْ) إنما يفعل ذلك ؛ لينبه الناس إلى أنّ قوة العقيدة في الإسلام إنّما تتأسّس في المقام الأوّل على العِلْمِ وإعمال العقل ، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، مقدمًا العلم على القول والعمل.

* **العمل الجادّ الدءوب** : فقد نظر الإسلام إلى العمل الجاد نظرة توقير وتمجيد ، فرفع قدره وقيمته وجعله سبيلًا للرقي والتقدم ، وعبادةً يثاب عليها فاعلها ، وحث القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش والعمل، فجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة، يقول تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ..}، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السّلَام) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ، ولم يكتف الإسلام بمجرد دعوة أصحابه إلى العمل كسبيل للبناء فحسب ، بل دعاهم أيضًا لإتقان العمل وإحسانه ، رجاء محبة الله تعالى ورحمته ، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)، والذي لا يتقن عمله ولا يراقب الله تعالى فيه فإنه آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات.

* **استثمار الطاقات المعطلة**: فلقد وهب الله (عز وجل) كل إنسان مجموعة من المواهب والإمكانات كي يحقق بها مراد الله (عز وجل) في عبادته وعمارة الكون ، وبقدر إخلاص الفرد واستثماره لهذه الإمكانات لصالح وطنه بقدر ما تكون الثمرة المرجوة خيرًا ورفاهية وسعادة للفرد وللمجتمع من حوله، وهذا يعتبر مقياسًا جيدًا يستطيع المسلم أن يقيس به مدى صدقه وإخلاصه وتفانيه لنصرة هذا الدين ورفعة وطنه.

وفي القرآن الكريم صور مضيئة ونماذج طيبة لمجموعة من البشر أنعم الله (عز وجل) عليهم ببعض النعم ، فاستثمروها لخدمة أممهم ، وبناء حضاراتهم ولم يعطلوها ، فهذا ذو القرنين الذي طوى الله له الأرض شرقًا وغربًا ، لما مرَّ على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً – لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس – اشتكوا إليه من ظلم يأجوج ومأجوج ، وإغارتهم عليهم وإفسادهم لأموالهم وزروعهم وأنفسهم، قالوا كما قص القرآن الكريم :{يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}، فاكفنا شرهم ولك الأجر والعطاء ، فسلك بهم طريقًا يستثمر من خلاله طاقاتهم المهدرة ومواهبهم المعطلة ، وجعلهم يتعلمون كيف يعتمدون على أنفسهم لا على غيرهم في قضاء مصالحهم فتحولوا بذلك أعوانًا له لا عالة عليه، حيث قال : {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا }، فهذا يُعد من أروع الأمثلة لاستثمار الطاقات المعطلة ، وما أحوجنا اليوم إلى حسن إدارة استثمار مواردنا وطاقاتنا الموجودة بالفعل فيما ينفعنا ويصلحنا ، ويحقق التنمية والتقدم والرخاء.

ومن الطاقات التي يجب حسن استثمارها والإفادة منها وعدم تعطيلها طاقة الشباب، فالشباب هم العمود الفقري لأي أمة من الأمم ، فهم

عماد حضارتها ، وسر نهضتها، وأمل مستقبلها ، وهم الثروة الحقيقية ، ومنبع القوة والعزة لأي مجتمع من المجتمعات .

ولقد استثمر النبي (صلى الله عليه وسلم) طاقات الشباب لبناء الدولة ، فاستثمر طاقة زيد بن ثابت العلمية حين أمره أن يتعلم لغة اليهود ليتعرف على ثقافاتهم ويعلم كيف يفكرون ، واستثمر طاقة أسامة بن زيد حين أمَّره على جيش فيه أبو بكر وعمر وأكابر الصحابة ليستفيد من حماسة الشباب .

وإن الدولة في هذه المرحلة المهمة لتولي جُلَّ اهتمامها بالشباب في كل القطاعات ، من خلال عقد اللقاءات الحوارية المباشرة بين الدولة ومؤسساتها المختلفة والشباب لبحث مختلف القضايا والتحديات التي تواجه الوطن ، وطرح رؤى الشباب في مواجهتها ، فينبغي على الشباب أن يتسلح بالعلم والمعرفة ، وأن يطلب العون والمدد من الله تعالى ولا يتعجل النتائج ، وعليهم أيضًا أن يتمسكوا بالفكر المعتدل النابع من الفهم الصحيح للإسلام، وأن تكون لهم شخصيتهم المتميزة ، حتى يكونوا مؤهلين لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وقيادة الأمة إلى طريق الرشاد والأمن والسعادة والاستقرار والتقدم.

ومن عوامل القوة في بناء الدولة: **وحدة الصف**، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...}فوحدة الصف والتكامل بين جميع أبناء الوطن، مطلب ضروري وديني لا غنى عنه لدولة تريد الفلاح والقوة ، ووحدة الصف تضمن الحفاظ على قوة الدولة ووحدتها ، ونجاح رسالتها ، وقدرتها على مواجهة التحديات المجتمعية والوطنية، وذلك بأن تكون صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص، ونؤكد أنه لا قوة لأمة أو دولة تَفَرَّقَ أبناؤها ، وتباغضوا فيما بينهم ، وأصبح كل منهم معجبًا برأيه وفكره.

ومن عوامل القوة في بناء الدولة: **التوازن بين النمو السكاني وإمكانيات التنمية** ؛ لأن الانفجار السكاني يهدد وبقوة مسيرة التنمية في أي أمة ، مع تأكيدنا أن الكثرة إما أن تكون كثرة قوية منتجة متقدمة يمكن أن نباهي بها الأمم في الدنيا ، وأن يباهي نبينا (صلى الله عليه وسلم) بها الأمم يوم القيامة ، وإما أن تكون كثرة كغثاء السيل ، عالة ، جاهلة ، متخلفة في ذيل الأمم ، هذا كله إضافة إلى حقوق الطفل التي يجب أن يتمتع بها تنشئة وتربية وتعليما ، وقد أجاز النبي (صلى الله عليه وسلم) العزل ، وهو أحد وسائل تنظيم الأسرة ، وعليه يقاس ما هو أيسر منه من الوسائل العصرية المستحدثة الصحية الآمنة ، على أن حكم تنظيم النسل والعملية الإنجابية قد لا يقف عند حدود الحِلِّ فحسب ، إنما قد يتجاوز هذا الحِلِّ إلى حالة الضرورة التي لا بد ولا مفر منها.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من عوامل القوة في بناء الدول: **الحفاظ على القيم النبيلة والأخلاق الراقية**، فللأخلاق منزلة عظيمة في الدين ، عني الإسلام بها لما لها من صلة وثيقة وقوية بالعقيدة ، فكمال الأمة بكمال أخلاقها ، وصلاحها بصلاح آدابها وأخلاقها ، وبناء الدول والأمم وقيامها بتحقيق القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة بين شعوبها ، وصدق الشاعر حيث قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة ، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم وتسقط ، فكم من حضارات انهارت لا بسبب اقتصادها ، أو قوتها العسكرية – فحسب –، وإنما بتردي أخلاقها.

وجدير بالذكر أن مكارم الأخلاق ليست قاصرة على الفرد فقط ، فهناك الأخلاق الفردية التي يلتزم بها الفرد ، وهناك الأخلاق الأسرية بين الزوجين ، وبين الأبناء والآباء ، والأقارب والأرحام ...إلخ ، وكذلك هناك الأخلاق الاجتماعية داخل المجتمع في البيع والشراء والجوار والزمالة والعمل...إلخ ، والأخلاق الدولية بين الدول وبعضها ، وأخلاق الحرب والسلم.

ومن عوامل القوة في بناء الدول: **الوعي بعوامل الهدم ومخططات الإفشال والوقوف في وجهها بالمرصاد** ، فشتان بين النقيضين البناء وعوامله ، والهدم ومعاوله ، وإذا كان ديننا دين البناء وعمارة الكون ، فإن كل من يأخذك إلى هذا الطريق إنما يأخذك إلى طريق الإسلام ، إلى طريق الوطنية ، إلى طريق الحضارة والرقي ، إلى خير المجتمع وخير الإنسانية ، ومن يحاول أن يجُرَّك إلى طريق آخر عكس هذا الاتجاه ، كأنه يجُرك أو يسلمك إلى طريق الهدم والتخريب وتدمير المنشآت والبنى التحتية ، أو الاعتداء عليها ، أو المساس بها ، إنما يأخذك إلى طريق الهلاك في الدنيا والآخرة ، يقول الحق سبحانه: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، ويقول سبحانه : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

ودعاة الهدم هم أصحاب نفوس مريضة قصرت بهم هممهم عن أن يجاروا أهل الجد والكفاح والتعب والعرق والعمل والإنتاج ، فلم يجدوا جبرًا لنقيصتهم وسترًا لعورتهم ولفشلهم سوى حسد الأماجد وانتقاص الأفاضل.

هؤلاء الهدامون خطر داهم على المجتمع ، وعلى أمنه الاجتماعي والاقتصادي ، يقول الشاعر:

لو كلُّ بانٍ خلفُه هادمٌ كفى *** فكيف ببانٍ خلفُه ألفُ هادمٍ

فديننا ينبذ كل ألوان ومعاني الهدم والتخريب ، ويدعو إلى البناء وعمارة الكون ، وكل ما فيه صلاح الإنسانية ، يقول سبحانه : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول سبحانه:{فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }، مما يتطلب منا جميعًا العمل على نشر ثقافة البناء ، والتصدي بحزم وحسم لكل دعاة الهدم والإفساد في الأرض.

* * *

التعليم ضرورة شرعية ووطنية

الحمد لله ربِّ العالمين، القائلِ في كتابهِ الكريم : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا بالغًا ، فجعله حياةً للقلوب ، ونورًا للعقول، به يرتفع شأن الأمم والمجتمعات ، وبه تستقيم الحياة وتبنى الحضارات ، وبه يقضى على التخلف والجهل ، كيف لا ؟ وهو ميراث الأنبياء ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وَإِنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ).

ولقد ظهرت عناية الإسلام بالعلم والترغيب فيه مع أول كلمات استقبلتها أذن النبي (صلى الله عليه وسلم) من وحي السماء ، وذلك في قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، فأول أمرٍ سماوي نزل به الوحي هو الأمر بالقراءة التي هي أول أبواب العلم ، ثم تأتي الإشارة بعد ذلك إلى القلم الذي هو وسيلة تدوين العلم ونقله ، وفي هذا تنبيه للناس كافة على بيان فضل العلم ، والترغيب في طلبه والحث عليه.

ولبيان منزلة العلم ومكانته وأهميته قدّمه ربنا (سبحانه وتعالى) على العمل في قوله (عز وجل) : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}، وأكد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على ذلك بقوله: (وَإِنَّ فَضْلَ

الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) وفي رواية : (فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ).

وإن من شرف العلم وفضله أن الله (عز وجل) امتن به على أنبيائه ورسله (عليهم السلام) ، فقال عن يوسف (عليه السلام) :{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}، وقال عن موسى (عليه السلام):{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}، وقال لعيسى (عليه السلام) : {يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ...} ، وفي معرض الامتنان على داود وسليمان (عليهما السلام) قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْمًا وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ}، وقال عن نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) :{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}، ويكفي العلم شرفًا وفخرًا أن الله (سبحانه وتعالى) لم يطلب من نبيه (صلى الله عليه وسلم) الاستزادة من شيء إلا من العلم ، فقال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}.

فللعلم مقام عظيم ، ولأهل العلم مكانتهم العالية ، فلولا العلم والعلماء لضلَّ الناس وفسدوا ، فالعلم نورٌ يبصر به صاحبه حقائق الأمور ، والعلماء للناس كالنجوم في السماء يُهتدى بهم ، قال تعالى : {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ}، فكأن الله (عز وجل) قسم الناس في هذه الآية إلى قسمين: عالم ، وأعمى ، فجعل العلم في مقابل العمى ؛ فالبصر هنا بصر العلم والمعرفة ، ليس بصر الرؤية ، قال تعالى:{فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

وقد بين الشرع الحنيف بنصوصه الحكيمة فضل العلم وحثَّ على طلبه وتحصيله، ففي القرآن الكريم قال تعالى:{...فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}، وقال سبحانه: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، وقال سبحانه:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

كما حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على طلب العلم ورغَّب فيه ، حيث قال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ) ، بل جعل النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لما يمثله العلم من قيمة لصاحبه وللمجتمع ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) ، فبالعلم يعرف الناس ما يجب عليهم نحو خالقهم ، وبه يُعرف الحلال من الحرام ، وبه يصلُح عملُ العبد ويبلغُ أعلى الدرجات ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْد رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْد رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ ، فَهُوَ بنيَّتِهِ ، فأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً ، وَلَم يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخبطُ في مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ . وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ).

على أننا نؤكد أن العلـم الذي حثَّ الإسـلام على تحصيله وطلبـه هو كل

علم نافع يأخذ بأيدينا إلى الفهم الصحيح لديننا والرقي بأخلاقنا ، وإلى التقدم في جميع مجالات الحياة ، ولا يقتصر ذلك على طلب العلم الشرعي فحسب ، بل كل علم يسعى الإنسان لتحصيله يكون فيه نفع للمجتمع ، ونصرة للدين ، ورفعة للوطن ، فهو علم محمود ، وطريق من طرق الجنة ، فالنفع هو مقصود الإسلام في العلم ؛ لذلك وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) العلم الذي لا ينقطع أجره بعد موت صاحبه بالعلم النافع ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ، بل كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ بالله من العلم الذي لا ينفع ولا يبني ولا يعمر ولا يهذب الأخلاق والسلوك، فقال : (سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا) .

وكما عُني الإسلام بالعلوم الشرعية فقد عُني كذلك بالعلوم الكونية ، فكلاهما يهدي ويرشد ، وهما جناحان تقوم بهما الحضارات وتبقى ، فهذا جانب روحي وذاك جانب مادي ، وقد جعل القرآن الكريم النظرة المتأملة في الكون والآفاق سببًا لاستبانة الحق ، وطريقًا موصِّلة إلى معرفة الله (عز وجل)، فقال سبحانه:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}، وقال سبحانه:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}، ففي هذه الآيات بيان لشرف العلوم الكونية ، وأنَّ العالمين بها هم أخشى

الناس لله (عز وجل).

ولكي يحقق العلم ثمرته وغايته فلابد من النهوض به ، وتطويره بما يتناسب مع التقدم المذهل الذي يشهده العالم الآن في جميع المجالات ، حتى ننمي في الطالب ملكة الإبداع والابتكار بما يتناسب مع احتياجات الواقع ، والقدرة على التحليل والاستنباط القائم على الفهم ، وهذه مسئولية مشتركة بين جميع أفراد المجتمع ، فليس الأمر مقتصرًا على الأسرة والمؤسسات التعليمية فحسب ، بل هو مسئولية مجتمعية ، وضرورة شرعية ووطنية ، وجب على الجميع أن يؤدي واجبه تجاهها.

إنها رسالة نوجهها إلى كل من يسعى لرفعة هذا الوطن ، وتحقيق ازدهاره ونهضته ، إذا أردنا أن نعيد للأمة مجدها ومكانتها ، فلنعط العلم والتعليم حقه ، ونعمل على توفير المناخ المناسب والمتطلبات الضرورية للنهوض به ، فالتحديات كبيرة ، ولن نتمكن من مواجهتها إلا بالعلم الحقيقي النافع ، والعمل الجاد المخلص ، ولله درُّ القائل:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم *** لم يبن ملك على جهل وإقلال.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن أهم محور في العملية التعليمية هو الطالب ، فهو المحور الرئيس في منظومة التعليم ؛ لذا وجب علينا أن نوليه عناية خاصة ، واهتمامًا معنويًّا ونفسيًّا

لا يقل عن اهتمامنا به من الناحية العلمية ، ولقد أوصانا النبي (صلى الله عليه وسلم) بطالب العلم خيرًا، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ: مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَاقْنُوهُمْ) ، أي : علموهم .

ورسالتنا إلى أبنائنا طلاب العلم : إننا نوصي بكم خيرًا ، ونشد على أيديكم ، ونستنفر فيكم روح الجد والاجتهاد ، فأنتم سواعد الأمة ، ومن ستحملون الراية غدًا ، فكونوا على قدر المسئولية ، ولا يستصغرن أحدكم دوره في المجتمع ، فعظماء الأمة وعلماؤها كانوا في بداية أمرهم طلابًا للعلم أمثالكم ، فهذا عبد الله بن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، يخبر عن صبره في طلب العلم فيقول: (... فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنْ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنْ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ فَيَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا جَاءَ بِك؟ أَلَا أَرْسَلْت إِلَى فَآتِيك؟ فَأَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيك ، فَأَسْأَلُهُ عَن الْحَدِيثِ ...).

كما أن على طالب العلم أن يتحلى بمكارم الأخلاق مع معلمه ومع الناس أجمعين ، ولنا فيما فعله سيدنا موسى (عليه السلام) مع عبدٍ من عباد الله جاء ليتعلم منه أسوة وقدوة ، قال تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا}، وقال سيدنا عمر (رضي الله عنه):" تأدبوا ثم تعلموا " وصدق الشاعر حين قال:

لا تَحْسَبنَّ العِلمَ يَنفعُ وَحدَهُ *** ما لَمْ يُتَوَّجْ ربُّهُ بِخَلاقِ .

وعلينا أن ندرك ماهية التعليم الذي نبحث عنه ، فليس أي تعليم كان ، إنما هو تعليم العلم الجاد الذي تبنى عليه الحضارات وتتقدم به الأمم .

كما أن هناك أمرًا يجب التنبه له وهو أهمية الانتظام في اليوم الدراسي فالانضباط المدرسي يعني إلى حد كبير انضباطًا سلوكيًا ، والقدرة على التكيف مع ما يكلف به الإنسان من عمل بعد ذلك.

وإننا نؤكد أنه ينبغي على الأسرة والمعلم والمؤسسات التعليمية أن يقوموا بالتوجيه والنصح والإرشاد لأبنائنا ، وأن ينموا بداخلهم الشعور بالمسئولية ، وحب الوطن ، كما ينبغي أن نرسخ فيهم الجانب القيمي ، والأخلاقي ، والإنساني ، والإيمان بالتنوع ، وإدراك متطلبات فقه العيش المشترك ، وقاية لهم من الأفكار الهدامة والدعوات المضللة التي تستولي على عقول بعض الطلاب وتعمل على تحويلهم إلى معاول هدم وقتل وتدمير وتخريب ، بدل أن يكونوا أدوات بناء وإعمار.

ولأن التعليم ضرورة دينية ووطنية ، فلا بد فيه من تعاون الجميع ، وأن يكون للمجتمع كله ورجاله الوطنيين المخلصين دور هام في ذلك ، بالإسهام في بناء المدارس وصيانتها ، ومساعدة الطلاب الفقراء ماديًّا واجتماعيًّا وعلميًّا، وخاصة في المناطق الأكثر فقرًا والأشد احتياجًا ، فالمجتمع الواعي هو الذي يسير بأجهزته ومؤسساته المختلفة وعلمائه ومثقفيه في اتجاه صناعة النهضة العلمية ؛ ليخرج أجيالًا تجمع العلوم والمعارف بطرق صحيحة ، تسهم في صناعة مجد الأمة ورقيها ، إنها رسالة نوجهها لكل من يسعى لتحقيق الخير لوطنه ولأمته: احرصوا على نهضة التعليم وجودته ، فبذلك ينهض المجتمع ويرقى إلى مصاف الدول المتقدمة .

* * *

الانتماء للوطن وفضل الشهادة في سبيله

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن حب الوطن والانتماء إليه قيمة إسلامية أصيلة ، فهو أغلى ما ينعم به الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله ، كما أنه فطرة جبلت عليها الطباع السليمة ، وأمر يوجبه الشرع الحنيف ، وتفرضه الوطنية المخلصة ، حيث سوى الله تعالى بين قتل النفس والإخراج من الديار في صعوبة كل منهما على النفس البشرية ، فقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...} .

ولقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في حب الوطن ، حيث قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مَنك ما خرجت).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقلب وجهه في السماء رجاء أن يجعل الله قبلته إلى بيته الحرام بمكة المكرمة مسقط رأسه (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول الحق سبحانه :{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ...}.

إن الانتماء للوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به ، وأن يتكاتفوا جميعا للحفاظ عليه ، وأن يُسهموا بقوة فِي نهضته بالعلم والعمل والإنتاج ، والمشاركة

في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع ، والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده ، وردع كل حاقد تسول له نفسه أن يعتدي على الوطن أو منشآته أو ممتلكاته ، وإن أدى ذلك إلى بذل النفس والمال لنيل الشهادة في سبيل الله دفاعًا عن الوطن أو ارتقاءً به.

لذا جعل الإسلام حراسة الأوطان والدفاع عنها واجبًا شرعيًا وضرورة وطنية وعدّها من أفضل الأعمال عند الله تعالى ، وقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) حراس الوطن بأن النار لن تمس أجسادهم ، بقوله (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) ، والعين هنا مراد بها الجسد كله ، غير أنه (صلى الله عليه وسلم) عبَّر بالعين كونها تحرس وتراقب .

وفي هذه الأيام المباركة تحتفل مصر وشعبها بذكرى من أعظم الذكريات ، هي ذكرى انتصار أكتوبر المجيدة ، وفيها لا بد أن نَذكُر شهداء مصر الأبرار الذين خاضوا معارك العزة والكرامة ، وبذلوا الغالي والنفيس ، بل بذلوا أرواحهم دفاعا عن أرضهم ، وعرضهم ، ووطنهم ، وسطروا أسمى معاني البطولة والفداء والتضحية بكل ما يملكون ، فنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة .

والشهادة تعني بذل النفس والمال نصرة لدين الله (عز وجل) ، ودفاعًا عن الوطن والأرض والعرض والمال ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالي؟ قَالَ: (فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ : (قَاتِلْهُ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ : (فَأَنْتَ شَهِيدٌ) قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ: (فَهُوَ فِي النَّارِ).

والشهادة تجعل صاحبها في صحبة الأنبياء والصديقين ، فقد جمع الله

تعالى بين النبوة والشهادة في قوله تعالى:{ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} ليؤكد على فضل الشهادة ، ومكانة الشهداء عند الله (عز وجل) ، فهم أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين ، وهم المصطفون باصطفاء الله لهم ، قال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}، لذا وعدهم الله بحياة فوق إدراك البشر لا مثيل لها ، فهم في ذاكرة الأمة مخلدون وعند ربهم (عز وجل) أحياء يرزقون قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}، أرواحهم في حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة كيف شاءت ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

فهنيئا لرجال مصر الأوفياء وشهدائنا الأبرار خاصة الذين أحيوا في شعب مصر روح الكرامة والمروءة والعزة ، واستطاعوا أن يحفظوا لمصر مكانتها وهيبتها بين الأمم والبلاد ، والذين ما زالوا يبذلون نفوسهم في سبيل هذا الوطن لمواجهة الإرهاب الأسود الغاشم ، والجماعات التكفيرية الضالة المضلة .

إن فضل الشهادة في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله هو الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه في غزوة بدر : (قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السَّمَواتُ والأرضُ..)،كما جعل حنظلة (رضي الله عنه) يطلب الشهادة ليلة عرسه

فينالها فيلقب بغسيل الملائكة ، ولن ينسى المسلمون موقف أنس بن النضر (رضي الله عنه) في غزوة أحد ، وخالـد بن الوليـد في غزوة مؤته ، وعمرو بن الجموح وغيرهم من الصحابة والتابعين .

إنهم أصحاب الصفقة الرابحة مع الله تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} ، فهم الذين تاجروا مع الله بأنفسهم وأموالهم ، فوعدهم الله جنة عرضها السموات والأرض فقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}، فالسِّلعة أرواحهم ودماؤهم، والثمن هو الجنة ، إنها ليست جنة واحدة وإنما هي جنان ، حيث قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأم حارثة حين استشهد ولدها في غزوة بدر: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى).

إن فضل الشهادة في سبيل الله جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن لا يتخلف عن سرية ، وأنْ يُقتَل في سبيل الله مرات عديدة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ)، وهو ما يجعل الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال الشهادة في سبيل الله عدة مرات ، يقول: (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ) .

لأجل ذلك أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد لا ينقطع عمله الصالح،

بل يزيدُ ويتضاعف ويأمن من فتنة القبر ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) الشهداء ببشارات عظيمة تؤكد على فضل الشهادة في سبيل الله وترغب فيها ، منها قوله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ).

ومنها أن الشهداء يدخلون الجنة مع أول من يدخلونها بغير حساب ولا سابقة عذاب ، فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (...إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَرِيِّهَا فَيَقُولُ : أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ ، فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.

* * *

الحفاظ على الأمن
وأثره في تحقيق التنمية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من أجلِّ وأعظم نعمِ الله (سبحانه وتعالى) على الإنسان نعمةَ الأمن والاستقرار ، فبدونها لا يهدأ للإنسان بال ، ولا تطمئن له نفسٌ ، ولا يهنأ بنعيم الحياة ؛ لأن الأمن مقدم على طلب الطعام والشراب ، وهو مطلب الناس كافة ، ولا يعرف قدرَ هذه النعمة إلا من حُرم منها وفقدها ، نعوذ بالله (عز وجل) من ذلك ، فالأمن خير ونعمةٌ ، واختلاله شرٌ ونقمة ، فحين يختل ميزان الأمن يؤثر على كل شيء في حياة الإنسان ، وأولها أداء العبادات فلا يستطيع أداءها على الوجه الأكمل إلا إذا تحقق الأمن وساد الاستقرار .

ولأن نعمة الأمن هي مطلب كل إنسان من أجل استقامة أموره الحياتية فقد جعلها خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) في مستهل دعائه لربه ، قالَ اللهُ تعالَى حكايةً عنْهُ في سورة البقرة:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، وقال سبحانه على لسانه (عليه السلام) في السورة التي سميت باسمه : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}، فالخليل (عليه السلام) سأل الله (عز وجل) أن يمُنَّ على مكة وأهلها بنعمتي الأمن والرزق ، إذ كيف

يخشعُ العابد إذا لم يجد الأمان ؟ ، وكيف يهنأ الخائفُ بلذة الطعام؟.

كمَا امتَنَّ اللهُ (جلَّ جلالُهُ) علَى أهْلِ قُريشٍ ، بأن جعل لهم حرمًا آمنًا ، فقال سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}، ويطمئن الحق سبحانه وتعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الكرام (رضي الله عنهم) ويبشرهم بدخول المسجد الحرام آمنين ، فقال سبحانه:{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}.

وفي قصة يوسف (عليه السلام) طلب من والديه دخول مصر داعيًا الله (عز وجل) لهما ولأهل مصر جميعًا بالأمن والاستقرار ، قائلاً: {ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ}، وإذا ما انتقلنا إلى سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) وجدناها زاخرة بالحديث عن نعمة الأمن والأمان ، فقد أولاها النبي (صلى الله عليه وسلم) من العناية والرعاية ما يليق بمكانتها ؛ ولأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات طلبها نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، فكان ينظر إلى الهلال مطلع كل شهر قمري ويرفع يديه مبتهلا إلى الله (عز وجل) أن يجعله هلال أمن وأمان ، فيقول : (اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وترضى...) ، وكذلك جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) في مقدمة النعم التي ينعم بها الحق سبحانه وتعالى على عباده ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًا فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمٍ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِها).

ولقد بلغ من حرصه (صلى الله عليه وسلم) على نشر نعمة الأمن بين الناس أنه نهى المسلم أن يشير إلى أخيه بالسلاح ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ

وَأُمِّهِ) ، بل لقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) ممن حمل السلاح على أخيه، حيث قال: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا) ؛ لأن الشريعة الإسلامية أمرت بحفظ النفس البشرية وعدم ترويعها ، وكفلت للإنسان حقه في عيش آمن ونفس مطمئنة ، فنهت عن ترويع الآمنين، حتى ولو كان على سبيل المزاح ، ومن ثمّ فإن ترويعَ المسلم وتخويفه حرامٌ بكلِّ حال ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) ، فمجرد الترويع والتخويف للمسلم وغير المسلم حذر منه الإسلام ، ونهى عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

فحري بكل إنسان أن يحافظ على هذه النعمة ، ويشكر الله تعالى عليها ، فالنعم تثبت بالشكر وتذهب بالجحود ، وفي ذلك يقول سبحانه:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}، فنعمة الأمن لابد وأن تقابل بالشكر وبمزيد من الذكر ، يقول الحق سبحانه:{فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}، فإذا ما كفر الناس بنعم الله عليهم سلبهم الله هذه النعم وألبسهم لباس الجوع والخوف ، يقول سبحانه : {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}.

إن تحقيق الأمن والمحافظة عليه مسئولية مجتمعية ووطنية ، ليست مسئولية الفرد وحده ، بل هي مسئولية الجميع ، فكل إنسان في المجتمع عليه دور لابد من القيام به ، فالأمنُ نعمةٌ للجميع ، فإذا شاع الأمن في أمة ، واطمأن كل فرد فيها على نفسه وماله وعرضه نَعِمَ الجميع بحياة هادئة مستقرة ، ومن ثم لا تتقدم الأمم ولا يتحقق الرخاء للأوطان إلا في رحاب الجو الآمن.

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يلحظ بوضوح أنها قد جاءت بمراعاة مصالح العباد وتحقيق الأمن والاستقرار لهم ، فحفظت للناس كافة حقوقهم في دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وجعلت الحفاظ على هذه الضروريات من أهم مقاصدها التي لا تستقيم الحياة إلا بها ، لذلك كان الأمن والاستقرار ضرورة شرعية ، ومطلبًا وطنيًّا ، ومقصدًا عظيمًا من أهم مقاصد الدين.

ولما كان نشر الأمن والمحافظة عليه مسئولية الجميع ، كانت هناك أمور هامة لابد منها حتى يؤدي كل فرد من أفراد المجتمع دوره وواجبه من أجل تحقيق الأمن لمجتمعه ، من هذه الأمور :

أن يحب الإنسان وطنه الذي يعيش فيه ونشأ على أرضه وثراه ، وهذا ما جسده نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين هاجر إلى المدينة المنورة ، حيث علمنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حبّ الأوطان وشرف الانتماء إليها ، حين قال لمكة : (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) ، وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِمَكَّةَ : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) ، بل لما وصل إلى المدينة المنورة أراد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يعلم أصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) والدنيا كلها أن الأوطان لا يسعى لبنائها إلا من أحبها ، فكان من دعائه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ) فمن أحب وطنه حافظ عليه ونشر فيه الأمن ، ولاَ يستجيبُ لِمَنْ يَسْعَى لِتخريبِ الأوطانِ مِنَ الأدعياءِ ؛ لأنَّ الإنسانَ إِذَا اطمأَنَّ فِي موطنِهِ استقرَّتْ نفسُهُ وأبدَعَ فِي عملِهِ وعَظُمَ إنتاجُهُ وعطاؤُهُ.

العمل على وقاية المجتمع من الفتن والخوض فيها ، فما أُشعلت نار الفتنة في مجتمع إلا وذهبت النعم وحلت النقم ، وقطعت أواصر التواصل والمودة والتراحم بين أفراده ، فالفتن كالنار تأكل الأخضر واليابس، تفرق بين المرء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، موقظها ملعون ، وناشرها مفتون ، تفسد الأحوال وتؤدي إلى سوء المآل.

فالحذر الحذر من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا – أي: قبلهَا وَسكن إِلَيْهَا – نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا – الْحجر الأملس– فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا – المرباد والمربد: الَّذِي فِي لَونه ربدة : وَهِي لون بَين السوَاد والغبرة كلون النعامة – كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا – المجخي: المائل ، وَيُقَال مِنْهُ : جخى اللَّيْل: إِذا مَال ليذْهب. وَالْمعْنَى: مائلاً عَن الاسْتقَامَة منكوسًا– لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ).

لذا حرص الإسلام أشد الحرص على وقاية المجتمع من الفتن ، لخطورتها وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع ، فالفتن لا تكون في مكان إلا عمَّ فيه الشر وتفرقت الكلمة وكثرت الخصومات وانتشر الفساد .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن من أهم عوامل تحقيق الأمن في المجتمع: **تلاحم أبنائه مع حماة أمنه البواسل من أجل الحفاظ على أمن الوطن واستقراره** ، فهم قرة عين الصديق ومكمن غيظ العدا ، وهم حراس الوطن من كل باغ ومعتد ، فكم قدموا من شهداء عظام رووا أرض الوطن بدمائهم دفاعًا عن دينهم وأمتهم ، ونقول لهم : والله إنها لإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.

لذا كان من الواجب علينا جميعًا التكاتف والتعاون معهم في مواجهة جماعات الظلام والتخريب والعنف، وعدم تمكين الإرهابيين من تنفيذ مخططاتهم الشيطانية التي تسعى لنشر الدمار والخراب والفوضى في كل مكان.

ولا شك أن الأمن هو أهم ركائز التنمية الشاملة التي تسعى إليها الشعوب المتحضرة في جميع المجالات ، العلمية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والزراعيّة ، والصناعيّة ، وغيرها ، فالعلاقة بين الأمن وتحقيق التنمية علاقة تلازمية ، فبدون الأمن تتبدد كل الآمال في تحقيق التنمية ، فلا تنمية ولا اقتصاد ولا استقرار بدون أمن ، ولا أمن بدون تنمية، لذلك بين الله (عز وجل) العلاقة التلازمية بين الأمن وتحقيق التنمية في معرض حديثه عن قريش في كتابه الكريم ، حيث حبَاهُمْ برَغَدِ العيشِ فِي الحياةِ، والأمْنِ فِي الأوطانِ، فقالَ تعالَى:{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، فالأمن هو أعظم أسباب تحقيق التنمية وأكبر داعم لها ، وما سجل التاريخ تنمية اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو غيرها إلا في ظل الأمن.

فبالأمن يستقر الناس في حياتهم ومعاشهم ، وبه تتقدم الأمم وترتقي

الأوطان ، وينمو اقتصادها ، وهذا ما بينه القرآن الكريم حين منَّ الله (تعالى) على أهل سبأ بنعمة الأمن والاستقرار ، فقال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}، فما تقدمت أمة من الأمم ، ولا ارتقى مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد الأمن وعمَّ الاستقرار بين أبنائه.

ومن ثمّ يتضح أن الأمن له أثره الواضح على التنمية ، من خلال إتاحة الفرصة للجميع بالمشاركة في التنمية الحضارية ، مما يؤدي إلى تقدم المجتمع في كافة المجالات ؛ لمواكبة التطور المذهل في أنحاء دول العالم المتقدم خاصة النمور الاقتصادية ، وبالأخص تلك التي تُجِلُّ العلم وتجعله عماد نهضتها.

ألا فلنحرصْ جميعًا على دوام هذه النعمة في بيوتنا وفى وطننا وأمتنا ، ولنستمسك بالسبل التى أرشدنا إليها ديننا الحنيف لضمان استمرارها ودوامها ، فالحفاظ على الأمن يدفع الإنسان إلى الإيجابية والعمل ، والمشاركة الفاعلة في بناء وطنه وتنميته ، والدفع به إلى الصدارة في كافة المجالات لتحقيق رفعته ونهضته.

* * *

بناء الأسرة السوية وحمايتها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز :{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الأسرة هي الركيزة الأساسية في بناء المجتمع وتماسكه ، وهي خط الدفاع الأول عنه ؛ لذا حرص الإسلام حرصًا شديدًا على سلامتها وحمايتها ، وبنائها بناءً سويًّا ، حفاظًا على سلامة المجتمع وأمنه واستقراره ، وتحقيقًا للمصالح والمنافع البشرية وعمارة الكون.

وإذا كان الزواج هو الطريق الشرعي لاستمرار الحياة البشرية ، فإن الأسرة هي الدعامة الأساسية في بناء مجتمع متماسك ، فموقع الأسرة من المجتمع كموقع القلب من الجسد ، إذا صلحت صلح المجتمع كله ، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

ومن هنا فقد عُني الإسلام بالأسرة واهتم بها اهتمامًا بالغًا يليق بمكانتها ودورها في بناء المجتمع ، فحث الإسلام على بناء الأسرة السوية بطريقة مشروعة سوية تليق بكرامة الإنسان وآدميته ، وتتوافق مع فطرته السليمة ، فشرع الزواج الذي هو إحدى سُنَن الله (عز وجل) في الخلق ؛ لما يحققه للبشرية من منافع، وقد جعله الله (تعالى) إحدى آياته الباهرة في خلقه ، فقال سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ، فالزواج علاقة تقوم على الرحمة والسكينة والاستقرار، ففي ظلال الأسرة السوية المتماسكة تنمو الخلال الطيبة ، وتنشأ الخصال الكريمة ، ويعيش النشء الصالح حيث تسود المودة ، وتنتشر الرحمة في جنبات هذا البيت الكريم.

وقد بلغت عناية الإسلام بالأسرة درجة كبيرة ، حتى امتدت هذه العناية إلى ما قبل بنائها وتأسيسها ، حيث جاء التوجيه النبوي بانتقاء عناصرها بعناية فائقة، بما يحقق التلاؤم والتوافق والانسجام ، والألفة والتراحم بين جميع أفراد الأسرة ، ويُقَلِّل من دوافع الفشل لبنيانها ، فوضع الإسلام أسسًا ومعايير يُبْنَى عليها اختيار الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها ، وجعل في مقدمتها : الدين والخلق الكريم والسلوك القويم ، وحَثَّ أتباعه على ذلك ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في شأن اختيار الزوج مخاطبًا وليّ المرأة : (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) ، فقد اشترط الإسلام الدين على أن يكون مَرْضِيًّا ، والخُلُق على أن يكون مَرْضِيًّا ، لا أي الدين كان ، ولا أي الخُلق كان ، وعلى ألا يُخدع الناس بالمظهر أو العرض دون الجوهر واللباب ومعدن النفس وكريم الأخلاق.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام قد جعل اختيار الزوج حقًّا أصيلا للمرأة كما هو حق للرجل ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَسْكُتَ) ، ولكي تُبدي المرأة موافقتها على النكاح لابد أن تكون عاقلة واعية رشيد ، حتى يتسنى أخذ إذنها ومشاورتها ، وأن تكون قد

بلغت سنًّا تكون معها قادرة على اختيار الكفء ، فقد نهى الإسلام عن إكراه المرأة أو الفتاة على الزواج ، فقد جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ ، فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، كما ينبغي أن يكون كِلا الزوجين مؤهلَين لتحمل تبعات الزواج ومسؤلياته بكل أبعاده وجوانبه ، فلا شك أن الشرع قائم على مراعاة مصالح البلاد والعباد ، فحيث تكون المصلحة المعتبرة فثمة شرع الله .

وقد أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) ضرورة تحقق الباءة عند الزواج ، حيث قال: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)، والباءة هنا هي القدرة على تحمل مسئولية الأسرة بكل جوانبها وتبعاتها ، ولو كانت الباءة المطلوبة هي القدرة الجسمية فحسب ، لَمَا عقَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) على قوله: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ) بقوله: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصّوْمِ)، حيث يذكر الفقهاء وشرّاح الحديث أن التوجيه هنا إلى الصوم لما له من أثر في كسر حدة الشهوة لدى الشباب غير القادر على تحمل تبعات الزواج ومسئولياته المالية والاجتماعية والنفسية ، وإلا لما كان لهذا التعقيب من أثر ، ولكان على كل من استطاع الباءة الجسدية أن يتزوج بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى.

وإذا كانت الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال فإن أحوال عصرنا وظروفَه وتبعات تكوين الأسرة تتطلب نضجا فكريًّا واجتماعيًّا وقدرة

على تحمل المسئولية وتبعات بناء الأسرة ، حتى لا يكون مصيرها الفشل وتفشي حالات الطلاق المبكر ، وتشريد الأبناء وتحطيمهم نفسيا ، ويكفي أن نُذكِّر في ذلك بقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) ، وفي رواية : (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) .

وعليه نؤكد أن زواج القاصرات جريمة ، وأن الفتوى بخلاف ما عليه القانون تفتح أبوابا من الفوضى والفساد لا تُسدّ .

وبما أن الشارع الحكيم لم يحدد سنًّا محددة للزواج فإن ما تعارف عليه القوم عرفا عامًّا ، وسنوه قانونا ، وجب عليهم الالتزام به ، وعدم الخروج عليه مادام أن ما تعارفوا عليه لا يتعارض مع نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة ، وهو ما يجب أن تكون عليه الفتوى تحقيقا للمصلحة المعتبرة وسدًّا للذرائع ، وغلقا لأبواب الفوضى والفساد .

كما نؤكد على ضرورة الالتزام بالعقد الشرعي الرسمي الموثق لدى المأذونين الرسميين دون سواهم ، حفاظا على حق المرأة والطفل ، وعلى كيان الأسرة والمجتمع .

كذلك من أسس بناء الأسرة وحمايتها : مراعاة الحقوق والواجبات ، فلكل من الزوجين على الآخر حقوق ، وله واجبات ، قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، فلا يُطالب أيّ فرد من أفراد الأسرة بحق دون أن يؤدي ما عليه من واجب؛ لتحقيق المودة والرحمة والسكينة التي تجعل الأسرة مستقرة.

ولقد وضَّح الإسلام هذه الحقوق والواجبات ، وقسَّمها بين جميع أفراد الأسرة، فمنها ما هو مادي ، ومنها ما هو معنوي ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ): (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ، فنجاح الأسرة واستقرارها مرهون بالمحافظة على الحقوق والواجبات بين جميع أفرادها ، وعدم تجاهلها أو التفريط فيها.

فللمرأة إلى جانب حسن معاملتها إكرامُها وصيانةُ حقها في الحياة الكريمة إنفاقًا ومعاملة ، حيث يحث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على ذلك، فيقول: (...إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ)، وله عليها حسن العشرة والمودة ، وأن تحفظه في ماله وعرضه وولده.

ولقد ضرب لنا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) أروع الأمثلة في حسن العشرة مع النساء ، فلما سُئلت عَائِشَةُ (رضي الله عنها) مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ : (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لامْرَأَتِي ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي امرَأَتِي ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} ، وبهذا تستقيم الحياة ، وتستقر الأسرة ، ويزدهر الوطن ، وترتقي الأمة .

* * *

الخطبة الثانية

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام علـى خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين ، سـيدنا محمـد (صـلى الله عليـه وسـلم)، وعلـى آلـه وصـحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن مظاهر رعاية الإسلام للأسرة وحمايتها : تصحيح المفاهيم الخاطئة بشأن تنظيم النسل ، فقد أكد القرآن الكريم على حق الطفل في الرعاية والإرضاع ، فقال سبحانه : {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ }، وهذا الإرضاع حق للطفل ، لدرجة أن بعض الفقهاء أطلقوا على اللبن الذي يرضعه الطفل من أمٍّ حامل : لبن الغِيْلَة ، وكأنَّ أحدَ الطفلين اغتال جزءًا من حقِّ أخيه ، أو أن كلا منهما قد اغتال جزءًا من حق الآخر.

لذا ، يجب أن يأخذ كل طفل حقه في مرحلتي الحمل والإرضاع ، والتربية السوية ، مع ضرورة الوفاء بحقه في المأكل والملبس والصحة والتعليم ، أما التقصير في حق الأبناء ، وعدم الوفاء بحقوقهم في التربية فيعدُ ظلمًا لهم .

ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أننا جميعًا مسئولون عن أبنائنا الذين هم أمانة في أعناقنا ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

وعلى هذا نؤكد أن تنظيم النسل ضرورة شرعية ووطنية، وهو واجب الوقت ، فالكثرة التي تدعو إلى المباهاة هي الكثرة العظيمة النافعة القوية

المنتجة ، التي لا يمكن أن تكون عالة على الآخرين في طعامها وكسائها ودوائها ، أما الكثرة الضعيفة الهزيلة التي تكون عالةً على غيرها فهي التي شبهها النبي (صلى الله عليه وسلم) بغثاء السيل ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا) قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: (أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ،)، فهي كثرة مذمومة لا ممدوحة.

وختامًا : نؤكد أن تنظيم النسل أمر مباح لا حرج فيه على الإطلاق ، بل يصل في واقعنا إلى حد الضرورة لبناء جيل قوي مثقف قادر على بناء الحضارة ، وأن بناء الأسرة وحمايتها واستقرارها واجب يحتاج إلى إعدادٍ جيدٍ وفكرٍ واعٍ مستنيرٍ ، يقدر صاحبه معنى المسئولية ، ويُجَنِّب المجتمع أسباب الشقاق والنزاع والفرقة والخلاف ، ويراعي الحقوق والواجبات انطلاقًا من قول الله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}.

* * *

الاعتبار بالزمن ومصائر الأمم والدول قديمًا وحديثًا

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمن نعم الله (عز وجل) على الإنسان أن وهبه عقلا فطنًا يفرق به بين الحق والباطل ، ويميز به بين الخير والشر ، ويزن به الأمور ، ويتدبر به أحوال السابقين ، ويعتبر بمرور الأيام والسنين.

وإذا كنَّا نودع عامًا ونستقبل عامًا جديدًا فعلينا أن نأخذ العبرة من مرور الليالي والأيام ، والشهور والأعوام ، ففي مرور الأيام عبرة ، وفي انقضاء الأعوام تذكرة وعظة، يقول سبحانه وتعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}، فما الحياة الدنيا إلا عام يتلوه عام ، وأيام إثر أيام ،{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}.

ولقد كان من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يُذَكِّر أتباعَه بمرور الأيام وكرّ الأعوام ، وكان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يخاطبهم بقوله : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ

دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلا الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ)، فالعاقل هو الذي ينظر في أيامه الماضية ، فإن كانت عامرة بالأعمال الصالحة سأل الله تعالى المزيد ، وإن وجد غير ذلك تاب إلى الله (عز وجل) توبة نصوحًا ، فمن رحمة الله تعالى بعباده أنه يقبل توبة التائبين ، بل إنه سبحانه أخبرنا في كتابه الكريم بأن المسلم عندما يتوب إلى الله توبة صادقة تتحول سيئاته إلى حسنات ، يقول تعالى: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

ولقد عُني الإسلام عناية بالغة بقيمة الزمن وأهميته، وحثَّ على ضرورة اغتنامه بالطاعات والقربات ، وحذر أشد التحذير من التفريط فيه ، فقال: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، فالزمن نعمة عظمى ومنحة كبرى ، يجبُ اغتنامُها واستثمارها حتى لا تكونَ حُجةً على الإنسانِ إذا ضَيَّعها مِن بيْنِ يديهِ دونَ أن يرتَقِيَ إلى أحسَنِ حالٍ، كما حثنا على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)حين قال: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) ، ثم أكد النّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) على أهمية الزمن وقيمته فقرر أن الإنسان مسئول عنه أمام الله (عز وجل) يوم القيامة ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟) ، ومن ثمَّ يجب الاعتبار بالزمن ، فإنه إذا مضى لا يعود ، ومن مجالات هذا الاعتبار : **الاعتبار بمصائر الأمم السابقة** ، وما حدث لهم بسبب

عتوهم واستكبارهم ، وكفرهم بآيات الله ونعمه ، وخروجهم عن طريق الجادة إلى طريق الانحراف أو البغي والطغيان والاستكبار.

وقد قص علينا القرآن الكريم ما حل **بعاد** ، **وثمود** ، **وقوم شعيب** (عليه السلام) ، وغيرهم من الأمم الغابرة التي أذاقها الله تعالى شتى أنواع العذاب ، بذنوبهم وجحودهم وظلمهم للناس ولأنفسهم ، فقال سبحانه:{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

أما قوم عاد فقد قصَّ الله (عز وجل) علينا نبأهم وخبرهم في مواضع عِدَّة من القرآن الكريم ، ليعتبر بمصيرهم المؤمنون ، فقد أنعم الله عليهم بالعلم والقوة ، فكانوا أعظمَ أهل زمانهم في الخِلقة، وأشدَّهم قوة وبطشًا، ومَنَّ الله (عز وجل) عليهم بحضارة ومدنية حتى بنوا مدنًا لم يُرَ مثلها ، قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}، ووصل بهم الحال إلى إهدار الوقت والقوة فيما لا طائل فيه ولا فائدة ، قال تعالى: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ}، وفتحَ الله (عز وجل) عليهم الكثير من أبواب الرزق ، لكنهم استخفُّوا بنبيِّهم واتهموه بالسفاهة قائلين:{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، وحينئذ منع الله (عز وجل) عنهم رزقه ، فأمسك السماء فلم تمطر ، والأرض فلم تنبت ، حتى حلَّ عليهم العذاب ، فلم تغن عنهم قوتهم ولا بطشهم من الله شيئًا ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر ، قال تعالى:{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ}.

وكذلك ثمود قوم سيدنا صالح (عليه السلام) الذين عاقبهم الله تبارك وتعالى بسبب استكبارهم وظلمهم وطغيانهم وعتوهم واستحبابهم العمى والضلال على الهدى والنور ، نور الحق والعدل والإيمان ، فقال سبحانه في شأنهم:{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

وأما أصحاب الأيكة قوم سيدنا شعيب (عليه السلام) فقد أهلكهم الله تعالى وعذبهم بالنار التي أحرقتهم وأحرقت الأموال التي اكتسبوها بظلمهم وعدوانهم وإفسادهم في الأرض ، وتطفيف الكيل والميزان واستحلال أموال الناس بالباطل ، فقال سبحانه :{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، فكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ، وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون الناس أشياءهم، ويطففون الكيل والميزان، فالبخس والتطفيف من عناصر إفساد المجتمع ، ويؤديان إلى فقدان الثقة بين أفراده ، وبسببهما تسود المجتمع حالة من الانحراف والمكر والخديعة، فتفسد القيم الإنسانية، لذا أهلكهم الله (عز وجل) وجعلهم عبرة وعظة لكل من سار على دربهم ، قال تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ}، ثم يأتي التحذير الإلهي العام لكل من تلاعب بأقوات الناس وحوائجهم ، وبخاصة

تطفيف الكيل والميزان ، فيقول الحق سبحانه:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ}.

كذلك من الذين قصَّ علينا القرآن الكريم خبرهم حتى نتفكر في أحوالهم ونعتبر بمصيرهم **أهل سبأ** ، الذين عاقبهم الله (عز وجل) بالسيل والطوفان بسبب جحودهم وبطرهم وعدم شكرهم لله تعالى على نعمه وكفرهم بنعمتي الأمن والرزق، قال تعالى : {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}.

وكذلك قوم سيدنا لوط (عليه السلام) الذين عاقبهم الله تعالى بألوان من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم ، حيث جمع لهم بين الإهلاك والرجم بالحجارة ، وقلب ديارهم على رءوسهم فجعل عاليها سافلها ، كل ذلك بسبب معصيتهم لأمر نبيهم وارتكابهم فاحشة لم يسبقهم إلى فعلها أحد من البشر ، قال تعالى :{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} ، ومن ثمَّ فإنه يجب علينا أن نأخذ العظة من مصائر الأمم الظالمة الطاغية المستكبرة ، ونعتبر بحال هؤلاء المكذبين الذين صار حالهم ومآلهم إلى الهلاك والدمار ، فمهما كانت قوتهم وحضارتهم فإنهم

بكفرهم وعتوهم قد عرضوا أنفسهم للعقاب والهلاك ، ولنعلم أن أية أمة إذا سعت إلى الإفساد في الأرض كان ذلك سببًا في هلاكها ، يقول سبحانه: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، ويقول (عز وجل) :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من مجالات الاعتبار بالزمن: الاعتبار بمصائر الأمم المعاصرة، فإذا كان الاعتبار بحال الأمم الماضية أمرًا واجبًا ، فإن الاعتبار بحال الأمم المعاصرة أكثر وجوبًا ؛ كي نتمكن من الوقوف على أسباب انهيارها وانكسارها ونعمل على تجنبها ، ولعل من أهم أسباب انهيارها : **انتشار الفساد بكل أشكاله** من المجاملة والرشوة والمحسوبية وتقديم الولاء على الكفاءة ، وشيوع الظلم، وتدهور القيم ، وضعف الانتماء الوطني ، وخيانة بعض الأفراد لوطنهم وعمالتهم واستخدامهم لضرب دولهم ، والمتاجرة بدين الله ، وإيواء الفكر الإرهابي المتطرف واحتضانه ، فإن ذلك كله من أهم العوامل التي تؤدي إلى انهيار الأمم وسقوط الدول ، لذا يجب علينا محاربة الفساد بكل صوره وأشكاله ، والعمل والإنتاج ، والجد والاجتهاد وحسن التكافل الاجتماعي ،

ورعاية الضعفاء ، والضرب بيد من حديد على أيدي المغالين والمحتكرين والإرهابيين والمتطرفين والمفسدين والمخربين ، حتى نعبر جميعًا إلى بر الأمان ، فمن اعتبر بأحوال ومصائر الأمم قديمًا والدول حديثًا ، علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون ، وأن حماية الأوطان جزء لا يتجزأ من حماية الأديان.

فما أحوجنا اليوم إلى وقفة للعظة والاعتبار بمرور الزمن وبأحوال الأمم السابقة والمعاصرة ، فالعاقل من اعتبر بحال السابقين فسلك طريق المصلحين وهجر طريق المفسدين ، حتى لا يقع فيما وقع فيه المفسدون فيهلك كما هلكوا.

* * *

إفشاء السلام كيف يكون؟

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من الآداب الإسلامية الرفيعة التي أمرنا بها ديننا الحنيف وحثَّ على نشرها: إفشاء السلام ، حيث أمر بإفشائه ونشره بين الأفراد والمجتمعات ، فالسلام شعيرة من شعائر الدين ، جعله الله تحية المسلمين لترسيخ قيمة السلام في حياتهم ، وليتمكنوا من أداء مهامهم الدينية والدنيوية بأمن وسلام.

ولا شك أن من أسمى غايات المسلم التي يسعى إليها بعد مرضاة الله (عز وجل) دخول الجنة، فيعمل جاهدًا من أجل تحقيقها والفوز بها ، وإفشاء السلام أحد أقصر الطرق المؤدية إليها ، إذ به تعم المحبة والمودة بين الناس جميعًا ، وبه ترفع القطيعة والشحناء من بينهم ، وبه ينتشر الأمن والأمان في المجتمع ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيء إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ). فكم دُفع من شرٍّ ، وكم حلَّ من خير ، وكم وُصلت من أرحام ، بسبب إفشاء السلام ، وفي المقابل فإن تركه يترتب عليه خلاف وشقاء وقطيعة رحم.

والسلام اسم من أسماء الله تعالى الحسنى ، وإفشاؤه فيه ذكر لله تعالى ، يقول سبحانه وتعالى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ...}،

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ) .

وهو التحية التي شرعها الله تعالى لعباده في الدنيا ، وهو تحية أهل الجنة في الآخرة ، قال تعالى: {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}، وقال تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}، وقال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا}.

وهو حق من حقوق المسلم على أخيه ، ففي الحديث يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم): (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ).

وإفشاء السلام ليس تقليدًا اجتماعيًّا يخضع للمستجدات والمتغيرات والأهواء البشرية ، وإنما هو أدب ثابت من آداب الإسلام أمر الله (عز وجل) به عباده ، ووضح نبينا (صلى الله عليه وسلم) أحكامه وآدابه ، ففي القرآن الكريم أمر الله تعالى المؤمنين بإلقاء السلام تحية لهم ، فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وزكى ربنا هذه التحية وزينها بالخير والبركة ، حتى نحافظ عليها ولا نعدل عنها إلى غيرها ، فقال تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ...}.

كذلك أمر الله (تعالى) بردّ التحية بأحسن منها أو بمثلها ، مراعاة للمشاعر الإنسانية وحفاظًا على أواصر الود والاحترام ، فقال تعالى:{وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}.

على أن مفهوم إفشاء السلام أعم من مجرد إلقاء التحية ، فهو معنى شامل لكل معاني قيم السلامة والأمن والطمأنينة على النفس ، والمال، والأرض، والعرض، لذلك كانت له مظاهر متعددة حرص الإسلام على إقامتها ، وشدد على ضرورة المحافظة عليها ، **منها** :

- **إفشاء السلام قولاً** : فقد حثّنا عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) وجعله من أفضل الأعمال وأمرنا بإلقائه على من عرفنا ومن لم نعرف ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)، وهذا ما أسس له (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة ، فكان إفشاء السلام من أول توجيهاته (صلى الله عليه وسلم) لأهل المدينة على اختلاف معتقداتهم حيث أسس لبناء مجتمع مترابط متماسك ، تسوده المحبة والألفة ، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ (رضي الله عنه): لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) بين أن إفشاء السلام يقرب الإنسان من ربه (عز وجل) ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ).

وقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) إفشاء السلام بابًا عظيمًا من أبواب الحسنات ، ورفع الدرجات ، فعَنْ عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ،

ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَشْرٌ) ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: (عِشْرُونَ) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: (ثَلَاثُونَ).

فليحرص الإنسان على إفشاء السلام ونشره حتى ينال الأجر العظيم، فأبخل الناس من بخل بالسلام ، يقول أبو هريرة (رضي الله عنه) : (إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ، وَأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ).

- **ومنها : إفشاء السلام فعلاً** : وهذا لا يتأتى إلا برعاية الحقوق والواجبات وكف الأذى عن الناس كافة بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وأديانهم ، وعدم التعرض لهم بأي لون من ألوان الاعتداء ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ).

ومن أجل إفشاء السلام عمَليًّا حرَّم الإسلام القتل وغلَّظ في عقوبته ، حتى ينعم الناس بالسلام والأمان على أنفسهم ودمائهم ، قال تعالى :{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، وقال تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) ، كذلك حرم الإسلام إزهاق أرواح غير المسلمين ممن لهم عهد وذمة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

- **ومنها: إفشاء السلام في العالمين** : فقد وجه الإسلام الدعوة لجميع الخلق للتعارف والتآلف فيما بينهم، نشرًا للسلام العالمي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، وقال عمار بن ياسر (رضي الله عنه):

(ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ) ، فإفشاء السلام عالميًّا أصل في العلاقات الدولية وفي علاقة الناس بعضهم ببعض، ولذلك نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) يبدأ جميع رسائله ومكاتباته إلى الملوك والأمراء بالسلام .

جدير بالذكر أن إفشاء السلام عالميًّا هو صمام أمان للمجتمعات ، ترتفع به دعائمها وتعلو به رايتها ، ويعيش أبناؤها في أمن وأمان وسلم واستقرار، فيقوى اقتصادهم ، ويعيشون في سعة من العيش ورغد ورفاهية ، وهكذا أمر الإسلام بإشاعة السلام حتى يعم الأمن ويكثر الخير وتفيض البركة.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن إفشاء السلام مطلب إنساني لجميع الخلق ، ولا غنى للبشرية عنه، وضرورة السلام في الإسلام تنبع من أنه دين يسوي بين الناس جميعًا في الحقوق والواجبات ، فبدونه لن تستقيم الحياة ، ولن يتمكن الإنسان من أداء العبادات والتكليفات الشرعية ، ولن يتحقق التقدم والرخاء ، ولن يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، بل حتى في ميدان الحربِ والقتالِ؛ قرر الإسلام أنه إذا ألقى العدوُّ السلام وجبَ الكفُّ عنه واعتبارُه مُتمتِّعًا بالسلام؛ عملاً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}.

وقد وضع الإسلام مبدأ عامًّا للتعايش بين المسلمين وغيرهم على أساس السلم والسلام ، هذا المبدأ يتلخص في ضرورة التعايش الإيجابي مع الآخرين أيًّا كانوا ، وضرورة معاملتهم بالعدل والإنصاف والتسامح، طالما لم يصدر منهم أي عدوان ، قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

إن التعايش السلمي بين الناس جميعًا حقيقة تاريخية، وضرورة مجتمعية ، وأمر حتمي يفرضه الواقع الذي يعيشه الإنسان ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا شعر الجميع بأنهم أبناء وطن واحد ، وعملوا على رفعته ورقيه وتطويره.

ألا فلنعلم علم اليقين أن إفشاء السلام بمعناه الواسع قولًا وفعلًا بين الأفراد بعضهم البعض ، وبين الشعوب والمجتمعات سيحقق للجميع ثمرات عظيمة ، وفوائد عديدة ، سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، فحين يلقي الإنسان السلام على أخيه كأنه يقول له: عش آمنًا مطمئنًّا ، ولا تخش على نفسك وعرضك ومالك ، وهذا بدوره يحقق الأمن والأمان بين أفراد المجتمع ويصنع جوًّا من التسامح والتحاب الذي هو أحوج ما تكون إليه البشرية الآن ، إضافة إلى وصول الغاية العظمى التي يسعى إليها كل مسلم وهي الجنة.

فلو أن الأمة التزمت بإفشاء السلام ونشره بينهم في الشدة والرخاء ، في السفر أو الحضر ، لعم السلام ، وانتشر الأمن والأمان ، ولهذا لم يُحسد المسلمون على شيء مثلما حُسدوا على السلام ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ).

* * *

.الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمن محاسن الإسلام أنه دين ربط بين الشريعة والأخلاق والقيم الإنسانية، فلم يترك خُلقًا حسنًا ، ولا فضيلة من الفضائل إلا دعا إليها ورغَّب فيها، ومن تلك القيم الفاضلة التي دعا إليها وحثَّ على التخلق بها : الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ، فهي قيم تنبئ عن علو الهمة وشرف النفس ، بها تتآلف القلوب ، وتزول العداوة بين الناس.

والشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف من أهم القيم النبيلة ، والصفات العظيمة التي تميز الإنسان الأصيل عن غيره ، فضلًا عن كونها من صفات الرسل (عليهم السلام) ، فهذا نبي الله موسى (عليه السلام) حين خرج من مصر متوجهًا إلى مدين ، فلما وصلها وجد جماعة من الناس يسقون أنعامهم ، ووجد من دونهم امرأتين لا تسقيان ، تذودان غنمهما عن ورود الماء حتى يفرغ الرجال الأقوياء من سقي أنعامهم ودوابهم ، فلما عرف (عليه السلام) حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا ولو بكلمة ، بل تحرَّكت فيه عوامل الشَّهامة والرجولة ، فتقدم بنفسه (عليه السلام) وسقى لهما، حيث يقول الحق سبحانه:{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ

قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}. ومن ثمَّ فإن نُصرةَ الإنسان وإغاثتَه من القيم النبيلة التي أمر بها الدين ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عدَّها من حقوق الجوار التي يجب الوفاء بها ، حيث قال: (أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ ، وَإِنِ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ ...) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ) ، قِيلَ : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ).

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في حسن الخلق ، على نحو ما تحدثت به السيدة خديجة (رضي الله عنها) حين قالت : (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)، فكانت حياته (صلى الله عليه وسلم) خير مثال يحتذى به في مروءته وشهامته ومساعدته لكل من يطلب العون والنجدة والإغاثة ، وأنّ من أغاث النّاسَ وأعانَهم لابدّ من أن يغيثَه ربُّه ويعينَه ، فالجزاء من جنس العمل.

وتتجلى شهامته (صلى الله عليه وسلم) عند الشدائد ، حيث كان (صلى الله عليه وسلم) يتصدر المواقف والمصاعب بقلب ثابت وإيمان راسخ ، فحينما فزع أهل المدينة من صوت عالٍ وأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت، أقبل عليهم النبي (صلى الله عليه وسلم) وخرج لهم قبل الناس لمعرفة الأمر وليطمئنهم ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، قَالَ : وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا ، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ (مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ)، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ ، فَقَالَ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا) أي : (لا تخافوا ولا تفزعوا).

لقد كانت مواقف النبي (صلى الله عليه وسلم) مضرب المثل في الشجاعة والشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ، مما جعل الصحابة (رضي الله عنهم) إذا حمي الوطيس واشتد البأس يحتمون به (صلى الله عليه وسلم) ، يقول علي (رضي الله عنه): (كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ ـ اشتدت الحرب ـ ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فما يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ).

ومن تأمل في وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعقله وقلبه أبصر فيها سماحة الإسلام في أسمى درجاتها وأرقى معانيها ، وذلك حين قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) ، فقد علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) كيف نتعامل بالأخلاق الكريمة ، والقيم النبيلة التي تقاس بها الرجال ، وتوزن بها العقول ، وتتميز بها شخصية المسلم عن غيره.

وجدير بالذكر أن تقديم العون للناس سلوكٌ إسلاميٌّ عظيم ، وخلق رفيع، جعله الإسلام من أعظم أعمال الخير التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون ، فلما سئل (صلى الله عليه وسلم) : أي النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ) ، فالذي يقضي حوائج الناس ويسعى في قضاء مصالحهم أعظم أجرًا من المعتكف في بيوت الله (عز وجل) ؛ فإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج والسعي في قضاء حوائج الناس دليل على قوة الإيمان بالله (عز وجل).

وقد تكفل الله (عز وجل) لمن فرج كربة المكروب وأغاث الملهوف أن يفرج عنه كربة من كربات يوم القيامة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (... وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عدَّها من الصدقات التي يجب على كل مسلم أن يسارع إليها لينال أجرها وبرها وبركتها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ) قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ).

ومن الشهامة والمروءة ما أمرنا به النبي (صلى الله عليه وسلم) وما تربينا ونشأنا عليه من ضرورة احترام الكبير ، وإكرام الصغير ، ورعاية الضعيف ، والمريض ، واليتيم ، وحسن معاملة النساء ، وكذلك إرشاد الضال ، وإغاثة الملهوف ، وتقديم العون لكل من يحتاج إليه ، ومراعاة الآداب العامة في الطرقات والمنتديات العامة ووسائل المواصلات ، إذ يفسح الصغير للكبير ويجلسه ويكرمه، ويعني الناس باحترام المرأة وتقديرها ، ومراعاة ذوي الاحتياجات الخاصة والمسابقة في إكرامهم ، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) حثَّنَا على احترام الكبير وتوقيره ، فقال : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) ، وأخبرنا (صلى الله عليه وسلم) بفضل رعاية الضعفاء فقال : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) ، وجعل إغاثة الملهوف وإرشاد الضال من حقوق الطريق ، فحين نهى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه عن الجلوس في الطرقات إلا إذا أعطوا الطريق حقه ، بيَّن لهم أن من حق الطريق: إغاثة الملهوف ، وإرشاد الضال ، فقال: (... وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ ، وَتَهْدُوا الضَّالَّ) ، وفي رواية : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْمٍ جُلُوسٍ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: (إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ ، فَاهْدُوا السَّبِيلَ، وَرُدُّوا السَّلَامَ ، وَأَغِيثُوا الْمَظْلُومَ).

ولقد كان لهذه الصفات العظيمة والقيم الراقية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) أثرها الطيب في تربية أصحابه الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) فضربوا أروع الأمثلة في تطبيق وإظهار هذه القيم النبيلة ، من الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوفين وغيرها ، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا

عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى ، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ : لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: (مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ ، قَالَ : فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : (قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف هي عنوان الإيجابية في حياة الإنسان ، الإيجابية التي تعني الاستجابة والتلبية السريعة لقضاء حوائج الناس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، ومن ثم يتحقق قول الله تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

وجدير بالذكر أن للشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ثمرات وفوائد متعددة ، فهي من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله (عز وجل)،

فينال رضا الله (عزّ وجلّ) بإغاثة إخوانه ومَدِّ يد المساعدة لهم ، فإذا أغاث الإنسان أخاه رزقه الله (عزّ وجلّ) بمن يغيثه عند شدّته ، إضافة إلى أنها تنجي صاحبها من كرب يوم القيامة.

وإذا كان التخلق بهذه الأخلاق الكريمة هو شأن العظماء ، فإن تركها والتخلي عنها هو عنوان لقسوة القلب والأنانية وحبِّ الذَّات ، وتقديم المصلحة الخاصَّة على العامة ، وعدم مشاركة الغير آلامهم ، كما أنها تؤكد على التنصُّل من المسئولية والخسة التي لا تليق بإنسان سليم الطبع نقي السريرة ، وهذا ما حذر منه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ (عز وجل) فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ).

فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت

واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

* * *

الخوف من الله
وأثره في استقامة الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الخوف من الله (عزّ وجلّ) والخشية منه من أعظم صفات المؤمنين ، وأبرز علامات المتقين ، ودليل على حسن مراقبة الله سبحانه وتعالى واستحضار معيته في السر والعلن ، يقول سبحانه:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، والخوف من الله عبادة قلبية تدل على حسن الإسلام ، وقوة الإيمان ، وبه يتحقق المعنى الكامل للتقوى التي فسرها سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بأنها الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، وقد ضمن الله تعالى لمن خافه واتقاه الفوز في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه:{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ}.

ولأهمية تلك العبادة القلبية حثَّنَا الحق تبارك وتعالى على التحلي بها فقال:{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، فمن خاف الله تعالى رضي عنه ، وجزاه جنات تجري من تحتها الأنهار ، يقول سبحانه :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ *جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}.

وبالخوف من الله تعالى اتصف الملائكة المقربون ، فقال سبحانه:{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، واتصفَ به الأنبياء والمرسلون، فقال تعالى:{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أشدهم خشية لله وخوفًا منه ، فهو القائل : (أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ)، وإنما كان الأنبياء أشد الناس خوفًا من الله (عز وجل)؛ لتحقق مقام الإحسان في كل أحوالهم ، وهو ما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ، فالخائفون من الله (عز وجل) يراقبونه سبحانه في كل أحوالهم.

وها هو سيدنا يوسف (عليه السلام) يستعصم بالخوف من الله (عز وجل)، فبعد أن راودته امرأة العزيز عن نفسه وتهيأت وتجملت له ، وأحكمت غلق الأبواب ، قال لها بلسان الخائف من ربه، المستحضر عظمته تعالى أمام عينيه:{مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.

وعلى درب الأنبياء والمرسلين سار المؤمنون الصادقون في خوفهم من الله (عز وجل) وشدة خشيتهم له ، مدح الله به الرجال المخلصين فقال:{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}، ووصف الله به العلماء العاملين ، فقال:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}،كما وصف به الأتقياء الصالحين، فقال:{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون}، فهذه الصفات العالية دليل على الخوف والخشية ، والإيمان العميق للمؤمنين الصادقين مع ربهم ، فهم يقدمون الكثير من الطاعات والخيرات وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل الله منهم ؛ لأنهم موقنون باليوم الآخر والرجوع فيه إلى الله تعالى ليحاسبهم على أعمالهم ، فقد سألت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) عن قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لَا يَا ابنة الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ ، وَيُصَلُّونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ) ، وفي الأثر أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: لَوْ قِيلَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، وَلَوْ قِيلَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ).

إن الخوف من الله (عز وجل) إذا تأصل في نفوس العباد وقاهم الله (عز وجل) به كثيرًا من الشرور والمفاسد والآثام ، فلو أننا خشينا الله (عز وجل) حق خشيته لتغيرت سلوكيات وتصرفات المجتمع إلى الأفضل ؛ لأن الخوف هو طريق الحياء من الله (عزّ وجلّ)، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، فالخائف يستشعر معية الله ، وأنه سبحانه وتعالى مطلع عليه وعلى أفعاله ، لذا قيل: (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن عينه لحظة ، وشكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك ، وطاعتك لمن لا تستغني عنه ، وخضوعك لمن لا تغيب عن ملكه وسلطانه) ، وذلك لأن الله (عز وجل) مراقب لحركات الإنسان وسكناته ، وأنه (سبحانه وتعالى) لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه سبحانه {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}، وأنه (تعالى) قد يمهل ولكنه (عز

وجل) لا يهمل أبدًا ، يقول سبحانه:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}، ويقول سبحانه:{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}. فمن يخاف الله (عز وجل) يعف نفسه عن أكل الحرام ؛ لأنه يدرك أن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ، وأن المال الحرام سيكون هلاكًا ودمارًا على صاحبه في الدنيا والآخرة ، وأن آكله سيندم حيث لا ينفع الندم ، ويصون لسانه عن الخوض في أعراض الناس؛ لأنه يعلم أنه إذا تكلم بكلمة لا يلقى لها بالًا يهوى بها في النار ، وأن الله (عز وجل) محاسبه على كل لفظ أو كلمة ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

ومن ثمَّ فإن المسلم يجب أن يقف مع نفسه لحظات ، ليسأل نفسه ماذا قدَّم للقاء ربه؟ وماذا قدَّم لوطنه ومجتمعه؟ وما آخر الطريق الذي يريد الوصول إليه؟ وماذا عن راحة ضميره في كل ما قدم ويقدم؟ فقد سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ له (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟) قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ ، وَلاَ صَوْمٍ ، وَلاَ صَدَقَةٍ ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، فقَالَ له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ).

ولا شك أن الخوف من الله (عز وجل) هو أهم سبل الوقاية من الزلل ، فمن خاف الله تعالى لا يمكن أن يكون كذَّابًا ، ولا منافقًا ، ولا مرائيًا ، ولا

مخادعًا ، ولا سارقًا ، ولا عاقًا ، ولا مدمنًا ، ولا قاتلًا ، ولا زانيًا ، ولا شاربًا للخمر ، ولا آكلا للحرام ، ولا مانعًا للخير، ولا معطلًا لمسيرة الوطن ، ولا مستحلًا سفك الدماء ، ولا منتهكًا للأعراض، ولا مخرِّبًا ولا مدمِّرًا ، ولا فاسدًا ولا مفسدًا.

ومن ثمَّ يستقر حال المجتمع ، فلا تجد ظالمًا يظلم غيره ، ولا تاجرًا يغش في تجارته ، ولا خائنًا للأمانة، ولا مقصرًا في عمله ، فالتاجر الذي يخشى الله تعالى تجده أمينًا صادقًا في بيعه وشرائه ، لا يعرف الغش ولا الخداع ، لأنه يستحضر قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)، والطبيب الذي يخاف ربه تجده يخلص في عمله ويتعامل برفق ورحمة مع من يعالجه ، والمدرس الذي يخاف الله ويخشاه تجده يحرص على عمله بإتقان ليُخَرِّج أجيالًا متميزة تعمل على خدمة الناس والمجتمع ، والمهندس الذي يخاف ربه تجده يحرص في عمله على زيادة الإنتاج خدمة لوطنه.

وكذلك الخائف من الله لا يمكن أن يكون مجاملًا على حساب الحق ، أو مقصرًا في حق الوطن ، فمن خاف الله (عز وجل) أدى الذي عليه من حق نحو دينه ووطنه، وحق العامل وحق الأجير ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما يرويه عن ربه (عز وجل) : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ).

من خاف الله تعالى امتثل مكارم الأخلاق من الرحمة ، والتسامح، والصدق والأمانة ، والوفاء ، والكلمة الطيبة ، وغير ذلك ، يقول ذو النون المصري : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الخوف من الله (عز وجل) من أعظم العبادات التي إذا تمسك الناس بها استقام حالهم وفازوا في دنياهم وأخراهم ، فمن أعظم آثار الخوف من الله (عز وجل) أنه يوقظ الضمائر في قلوب أصحابها، فينضبط السلوك وتتحسن التصرفات ، وتُحفظُ الحقوق وتؤدى الواجبات حتى وإن غابت رقابة البشر ، فالخوف من الله والاستعداد للقائه أقوى في نفس المسلم من كل شيء ، فصاحبه يدرك أن الله معه حيث كان ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر أو علانية ، يقول تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فإذا تُرجم الخوف إلى عمل أثمر ثمراته اليانعة في الدنيا والآخرة ، يقول سبحانه: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}.

ومن النماذج الطيبة التي نستدعيها من تاريخنا الخالد نتيجة الخوف من الله (عز وجل) قصة تلك المرأة صاحبة الضمير الحي والحس الإيماني في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث كان (رضي الله عنه) يتفقد المدينة ليلًا، فاتكأ على جدار ، فسمع امرأة تقول لابنتها : قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فقالت لها: يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومي فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: والله ما كنت لأطيعه

في الملا وأعصيه في الخلا ، كل ذلك وأمير المؤمنين يسمع ، فسرَّه أمانة الفتاة ويقظة ضميرها ، فاختارها زوجة لأحد أولاده ، وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه).

ومن ثمرات الخوف من الله (عز وجل) أنه يجعل صاحبه آمنًا من عذاب الله يوم القيامة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: (يقول الله (عز وجل) : وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٌ : الْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ).

فما أحوجنا إلى استشعار الخوف من الله تعالى في قلوبنا لتستيقظ ضمائرنا وتحيا قلوبنا ، ويستقيم حالنا ، فتنهض الأمة وترتقي ، فإن سعادة المجتمع ورقيه في يقظة ضمير أبنائه وتقوية الوازع الديني في نفوسهم ، ومحاسبة أنفسهم قبل أن يحاسبوا أمام خالقهم، فإذا مات الضمير نتج عن ذلك فساد في الأخلاق والمعاملات، فما الذي يمنع أكثر الموظفين أن يرتشوا؟! وأكثر الكتاب أن يزوروا؟! وأكثر الأطباء أن يهملوا في علاج مرضاهم؟! وأكثر المعلمين أن يقصروا في واجبهم؟! وأكثر الطلاب أن يغشوا في الامتحان ؟! وأكثر التجار أن يحتكروا في تجارتهم؟ إنه الخوف من الله (عز وجل) والخشية منه والرهبة من عظمته سبحانه.

* * *

صلة الرحم
وأثرها في حياة الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم من نفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد خلق الله تعالى البشر وجعلهم أنسابًا وأصهارًا ، وقبائل وشعوبًا ، ليتعارفوا ويتآلفوا، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}؛ وذلك لتحقيق التعايش والتواصل ، والتآزر والتكامل.

ومن أكبر عوامل تحقيق التآلف والترابط ونشر قيم التراحم بين الناس كافة: صلة الأرحام ، فهي من دعائم الإيمان التي دعا إليها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بداية بعثته ، فعن عمرو بن عبسة قال : دخلت على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعني في أول النبوة ، فَقلتُ: ما أنت؟ قال: (أنا نَبيّ اللَّهِ)، قلت: وما نَبيّ اللَّهِ؟ قال: (رسولُ الله)، فَقلتُ: آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قال: (نَعَمْ)، قلتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: (بِأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ)، وقد جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة من علامات الإيمان ، فقال: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، وأكد على ذلك قوله تعالى:{وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

اللهِ} ، وصلة الرحم لا تكون بمجرد الكلام أو الزيارات أو الشعارات ، إنما تعني: إيصال الخير لهم ، ودفع الشر عنهم ، بحسب الطاقة البشرية ، وتفقد غائبهم ، وعيادة مريضهم، ورحمة صغيرهم ، وتوقير كبيرهم ، والإهداء إليهم ، والتصدُّق على فقيرهم ، وإجابة دعوتهم ، وإكرام ضيافتهم ، وإعزازهم وإعلاء شأنهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أحزانهم ، والعفو عن مسيئهم والتجاوز عنه ، وتفريج كرب المكروبين منهم ، وغير ذلك من الأمور التي تقَوِّي أواصر المودة بين أفراد المجتمع ، وهذا هو التراحم الحقيقي ، والتكافل الحقيقي ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه ، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كرَبِ يَومِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ).

والرحم التي أمرنا الإسلام بصلتها تشمل كل من كانت بينك وبينهم صلة نسب أو مصاهرة ، فلهم حقُّ البِرِّ والصِّلَةِ ، وعدَّهَا من أصول الفضائل، ووعد عليها بأعظم المثوبة، وتوعد قاطعها بأشد أنواع العقوبة .

ولما كانت صلة الرحم قيمة دينية عظمى ، وبابًا من أبواب الخير ، قرن الله (عز وجل) الإحسان إليها بالأمر بعبادته وتوحيده ، فقال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ...} ، وجعلها الحق سبحانه وتعالى من الصفات الكريمة التي مدح بها أصحاب العقول السليمة ، وطريقًا توصل صاحبها إلى الجنة ، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ*وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ*جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}، وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ: (تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ) فَلَمَّا أَدْبَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللهَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

ومن ثم يتضح أن للرحم شأنًا عظيمًا ، وأهمية كبيرة ، ومنزلة عند الله عظيمة ، ويكفيها شرفًا ومكانة أن الله (عز وجل) قد شقَّ لها اسمًا مِن أسمائِهِ ، ووعدَهَا بأن يصِلَ مَنْ وصلَهَا ، ويقطعَ من قطعها ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكَ لَكِ) ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.

إن لصلة الرحم كثيرًا من الفوائد والفضائل ، منها :

البركة في العمر ، فصلة الرحم من أعظم الواجبات ، وأفضل الطاعات ، وقطيعتها من أعظم الذنوب وأخطر الآفات ، بسببها يبارك الله في العمر ، ويبسط في الرزق ، وفي ذلك يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب ، يقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ).

كما أن **صلة الرحم من أهم أسباب حفظ الإنسان من السوء** ، وهذا ما

أشارت إليه أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) حين نزل الوحي على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لأول مرة في غار حراء وعاد خائفًا مرتجفًا إلى بيته ، فطمأنته (رضي الله عنها) بأنه لن يلحقه ضيم أو يصيبه سوء ؛ لأنه محفوظ من ذلك بعدة أمور، منها: صلته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لرحمه ، فقالت: (أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

مضاعفة ثواب الصدقة على ذوي الرحم ، فمن وصل رحمه بالصدقة ضاعف الله له الأجر والثواب ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ)، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}؛ لذلك كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوجه أصحابه الأغنياء بوضع الصدقة في أقاربهم من الفقراء والمحتاجين ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بِيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قال أنس: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أنزل عليك: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاء ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تعالى ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أراك الله ، فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (بَخٍ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِين)، فقَالَ أبو طلحة: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

نشر المودة والمحبّة وقيم التكاتف والترابط بين جميع أفراد المجتمع عامة ، والأسرة على وجه الخصوص ، فصلة الرحم تعمل على تقوية المشاعر الإنسانية ، فيصير المجتمع كأنه لُحْمَةٌ واحدةٌ ونسيج واحد مترابط ، تجعل البعيد قريبًا ، والمسافر مقيمًا ، والفقير غنيًّا ، والمريض صحيحًا ، ما أجملها من صورة لو تحققت ، وما أزكاه من جسد لو تماسك .

وجدير بالذكر أن صلة الرحم لا يقتصر خيرها على الدنيا فحسب ، بل هو عاجل وآجل ، في الدنيا والآخرة ، فصاحبها رابح في الدارين ، في الدنيا ينعم بوصل الرحمن وكفى به من فضل ، وفي الآخرة يرقى إلى أعالي الجنان ويأنس بجوار المنعم المنان، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّل شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) ، فلنتق الله (عز وجل) في أرحامنا ، ولنحافظ على صلتها طاعة لله ، واقتداءً برسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ورغبة في خيري الدنيا والآخرة.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إذا كانت صلة الرحم بابًا عظيمًا من أبواب الخير ، فإن قطيعتها باب خطير من أبواب الشر ، فقاطع الرحم مقطوع من الخير كله ، ويمحق الله البركة منه ومن ماله وولده ، ولا تُرفع له طاعة، ولا تُقبل له دعوة ، وعمله مردود عليه ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ)، لأن قطيعة الرحم من الكبائر، وقد رتب الله تعالى عليها عقوبة الطرد من رحمته ، فقال سبحانه :{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، فيعيش قاطع الرحم في الدنيا ملعونًا حتى يصل رحمه ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.

وقد قال علي بن الحسين (رضي الله عنهما) لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواطن، الأول: قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، والثاني: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار}، والثالث: قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

وكما أن صلة الرحم خيرها عاجل وآجل في الدنيا والآخرة فكذلك عقوبة قاطع الرحم عاجلة وآجلة ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)، وفي الآخرة لا يدخل الجنة ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يدخلُ الْجَنَّةَ قاطعُ رَحِمٍ).

ونؤكد أن صلة الأرحام تحتاج إلى صبر وحلم معهم ، وخاصة مع المتجاوزين والمسيئين منهم ، وفي صورة عملية يوجه النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى ذلك ، ويبشر واصل رحمه التي قطعته بإعانة الله تعالى له، حيث جاء رَجُلٌ إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويُسِيئُونَ إِلَيَّ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)، فرحم الإنسان مهما أساءوا إليه هم بالنسبة له بمثابة الجناح الذي به يُحلّق ، واللسان الذي به ينطق ، ويده التي بها يُدافع عن نفسه ، والإنسان بالنسبة لرحمه كعضو في جسد لا يستغني عن بقية أعضائه.

وإن مما ينشرح له الصدر ويشعر المصريون معه بالفخر أن يكون بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رحمٌ أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بصلتها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) ، أما الرحم: فكون هاجر أم سيدنا إسماعيل (عليه السلام) من أهل مصر ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منهم.

ألا فما أجمل أن يتقرب العبد من مولاه بصلة رحمه ، ابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه وفضله جل جلاله ، وإن كان في النفس شيء تجاه الأرحام فالعفو

والصفح مطلوبان، إذ لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا ، كما أخبر النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

*   *   *

حقوق الأيتام ، وذوي الاحتياجات الخاصة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الإسلام دين الأخلاق والقيم الإنسانية التي تحفظ لكل إنسان كرامته، وهو دين الرفق والرحمة وحب الخير للناس جميعًا ، يكفل العيش الكريم والحياة السعيدة لجميع فئات المجتمع ، يراعي الضعيف قبل القوي ، والصغير قبل الكبير ، والمريض قبل الصحيح ، بل ارتقى الإسلام بتوجيهاته وأحكامه حتى شمل برحمته الحيوان، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)، فالإنسان لا يتميز في إنسانيته إلا بقلبه وروحه.

وتتجلى رحمة الإسلام في اهتمامه بالفئات الضعيفة التي لا تقوى على قضاء حوائجها بنفسها ، أو السعي في تحقيق مصالحها ، كاليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم ، حتى يحدث التكامل والتكافل بين جميع أفراد المجتمع ، فينعكس أثره بالمحبة والمودة.

ومن حقوق الضعفاء التي كفلها لهم الإسلام : توفير الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والمسكن ، وتوفير دور الرعاية الصحية والاجتماعية لهم ، وتنمية الطاقات الكامنة فيهم وتوظيفها في محلها.

ومن جملة هؤلاء الذين أولاهم الإسلام برعايته وعنايته " اليتامى" الذين جعلهم الله تعالى محل نظره ورعايته ، وسببًا من أسباب رحمته ، فمن أرضاهم رضي الله عنه وأرضاه ، ولو نظرنا إلى حال اليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة قبل الإسلام لوجدنا أنه لم يكن لهم حظ في الحياة ، من حسن معاملة واهتمام ورعاية ، فلما جاء الإسلام أمر بإكرامهم والإحسان إليهم ، والتعامل معهم بما يليق بإنسانيتهم ، بغض النظر عن اللغة أو الدين أو اللون .

ولما سئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْيُتْمُ؟ فأجاب (رضي الله عنه) بأنه : (لاَ يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ حَتَّى يَبْلُغَ وَيُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدٌ) ، ونبينا الهادي (صلى الله عليه وسلم) الذي أكرم كل يتيم - شاءت إرادة الله تعالى وحكمته أن يولد يتيمًا - تطييبًا لقلوب اليتامى من بعده ، فقد لمس (صلى الله عليه وسلم) آلام اليتم وعايش أحزانه ، حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) ولد يتيمًا ، ومن ثم اهتم باليتيم اهتمامًا بالغًا من حيث تربيته ورعايته ومعاملته وضمان سبل العيش له ، حتى ينشأ عنصرًا نافعًا في مجتمعه ، ولأجل هذا رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كفالة اليتيم ، فقال : (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي: السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَى) ، فحق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجنة ، وأكرم بها من منزلة.

كما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الإحسان إلى اليتيم علاجًا لقسوة القلوب ، فقد أتى النبيَّ رجلٌ يشكو قسوة قلبه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وتدرك حاجتك؟ فَقَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: (ارْحَمِ الْيَتِيمَ ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ وتدرك حاجتك). وفي رواية: (إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ ، فَأَطْعِمْ الْمَسَاكِينَ ، وَامْسَحْ رَأْسَ

الْيَتِيمِ).

ولقد ذكر القرآن الكريم أنموذجًا عمليًّا للاهتمام باليتيم ، إشارة إلى أن صلاح الآباء ينفع الأبناء في يتمهم ، فقال سبحانه:{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}، فلُطْف الله تعالى بِالْيَتِيمَيْنِ كان جَزَاءً لهما لصلاح أَبِيهِمَا ، فصلاح الآباء يفيد الأبناء، يقول (عز وجل) : {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}.

وقد بين النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أن بركة الإحسان إلى اليتيم تملأ بيت المحسن إليه ، حيث قال: (خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ) ، هكذا أمر الإسلام الأوصياء ، وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسن إليه ويقوم على شئونه واحتياجاته ورعاية أمواله إن كان من ذوى الأموال ، ولما مات جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) تعهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أولاده وأخذهم إلى بيته ، فلما ذكرت أمهم من يتمهم وحاجتهم قال: (الْعَيْلَةَ (الفقر) تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟!)

ولقد خصَّ الإسلامُ "اليتيمات" بمزيد رعاية واهتمام ، فقال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا}، والقسط هو العدل ، وهو يقتضي ممن قام على مصالح اليتيم أن يتقي الله (عز وجل) فيها ويرعاها كما يرعى ماله ، وقال سبحانه : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، فهذا توجيه من الله (عز وجل) برعاية اليتيم وإصلاح ماله وحاله ، سواء أكان هذا اليتيم قريبًا أم غريبًا ، ولو تأملنا كلمة (إصلاح) لوجدناها كلمة جامعة لكل ما يحتاجه اليتيم ويصلح حاله ، ولو أننا بحثنا في معاجم اللغة ومفرداتها عن أي كلمة يمكن أن تقوم مقامها ، لما وجدنا أي كلمة أخرى تدانيها أو تقاربها بلاغة أو فصاحة في موضعها هذا.

وفي شأن رعاية اليتيم والعطف عليه ، والإحسان إليه روي في الاثر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (مَنْ مَسَحَ على رَأْس يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلاَّ لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ) وَفَرَّقَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.

ولقد جعل الحق سبحانه وتعالى إطعام اليتيم أحد أهم عوامل اجتياز الصراط بسهولة ويسر ، فقال سبحانه: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}، ويؤكد النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أن إكرامَ اليتيم وإصلاحَ حاله والعملَ على رعاية شئونه سبيل لمسابقته (صلى الله عليه وسلم) في الجنة ، حيث بين (صلى الله عليه وسلم) جزاء المرأة التي حبست نفسها على تربية أولادها ورعايتهم بعد موت زوجها ، وآثرت هذا العمل على حظها من الأزواج ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي).

وإذا كانت التوجيهات القرآنية والنبوية قد بينت فضل رعاية اليتيم والاهتمام به فقد حذرت من الوعيد الشديد لكل من ظلم اليتيم واعتدى على ماله ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}، وقال سبحانه: {وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، كما عدّ النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك من الكبائر ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ!) قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ باللهِ ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحَقِّ، وأَكلُ الرِّبَا ، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)، كما يحذرنا الحق سبحانه من قهر اليتيم والقسوة على المسكين ، فيقول سبحانه: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}، فما بالكم وما ظنكم إذا كان اليتيم مسكينًا ذا فاقة، ومن هنا لم يترك الإسلام اليتامى نهبًا للأوصياء أو الطامعين أو مستغلي ضعفهم ، وإنما شدّد على حفظهم وتعهدهم بالرعاية والعناية، لئلا تضيع حقوقهم وتُهْمَل تربيتهم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

حينما يعطي الإسلام الأيتام والفقراء والضعفاء مزيدًا من الرعاية والعناية ، فإن ذلك في مصلحة الأقوياء والأصحاء والأغنياء وكل أفراد المجتمع ، إذ يزول الحقد والحسد والمرض النفسي ، وتعمُّ روح الوئام والسلام ، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدُ بن أبي وقاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ) .

ولقد كان النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) يسعى بنفسه في قضاء حوائج الضعفاء، فيزور مرضاهم ، ويطعم جائعهم ، ويقضى دين غارمهم ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه ، فقد كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ الذِّكْرَ ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ) ، ثم بين (صلوات الله وسلامه عليه) ثواب من سعى في خدمة هؤلاء الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ).

ولو تأملنا أوامر ديننا الحنيف وآدابه تجاه اليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة وجدنا أن لهم حقوقًا كثيرة ، **أهمها** :

دفع المضار عنهم ، وجلب المصالح لهم، ومراعاة الجانب النفسي لديهم ، وإدخال السرور عليهم ، فعَنْ عُمَرَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ).

لقد راعى الإسلام حقوق الضعفاء على اختلاف أنواعهم وتباين أسباب ضعفهم، ما بين مريض ، أو فقير ، أو يتيم ، أو امرأة صغيرة كانت أو مسنّة ، أو أي من ذوي الاحتياجات الخاصة ، كما علَّمنا كيف نتعامل معهم ونراعي شعورهم والعمل على توفير الملاذ الآمن لهم ، وقد امتن الله تعالى على حبيبه (صلى الله عليه وسلم) بذلك حين قال: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}.

إن الإسلام في احتوائه لكل أبنائه وأفراد أمته يهدف إلى غرس المحبة فيما بينهم ، فيتقدم المجتمع ويرتقي في جو يسوده الحب والتعاون والرحمة والتسامح .

فما أحوجنا إلى تنمية الحس الإنساني، والتكافل الاجتماعي ، والرحمة بالفقراء والضعفاء والأيتام والمساكين ، وألا يخطر ببالنا أنهم عالة علينا ، إنما هم سر العون والرحمة والبركة من الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَهَلْ تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!).

* * *

خطورة التكفير والفتوى بدون علم
وضرورة الاصطفاف في مواجهة الإرهاب

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الدين الإسلامي الحنيف أمر أتباعه بالوسطية والاعتدال ، ونهاهم عن الغلو والانحلال ، يقول الحق سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، والوسطية تعني: العدل والاعتدال، والبعد عن كل مظاهر الغلو والتشدد ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تشدد في الإسلام ، وقد أوصى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالقصد والاعتدال في كل أمور الدين والدنيا ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ).

بهذه النظرة الإنسانية وما فيها من محبة وتسامح ساد الإسلامُ شرقًا وغربًا ، وارتفعت رايتُه بسماحته ويسره ؛ لأنه جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسانِ السوية ، وبما جُبلت عليه العقولُ السليمة من حب الخير للناس أجمعين.

وجدير بالذكر أن تعاليم الدين الإسلامي تحارب التطرف والتعصب ، وتنبذ كل مظاهر العنصرية البغيضة ، وهذه هي الوسطية في أكمل معانيها ، والتي شَرّفَ الله (عز وجل) بها أُمّةَ النبي (صلى الله عليه وسلم)، فجعلها أُمّةً وسطًا بين سائرِ الأُمم.

ولقد حذر النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) من الغلو في الدين، ونهى أصحابه عن المبالغة التي تخرجهم عن حدّ الاعتدال ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) ، إذًا فليس في ثقافة الإسلام ولا تعاليمه ما يدعو إلى الغلو والتطرف ، والحقد والكراهية.

ومن الآفات التي ابتُلِي بها الإسلامُ وهو منها براء : **آفة الفكر التكفيري المتشدد** ، الذي يدعو لسفك الدماء البريئة بغير حق ، واستهداف للأمن والأمان والاستقرار ، ويرفض التعايش السلمي الذي دعا إليه الدين الإسلامي الحنيف ، وسبب نشأة هذا الفكر المتطرف هو الجهل بتعاليم الإسلام ، واتباع أناس جُهَّالٍ ضلُّوا وأضلوا بغير علم، أو أصحاب مصالح خاصة يوظفون الدين لمصالحهم وأهوائهم ومطامعهم السلطوية ، على أن من يسلك هذه المسالك التكفيرية أو التخريبية أو يقدم على الفتوى بدون علم لن يجني إلا حسرة وندمًا وسوءَ عاقبة .

ومن المظاهر السيئة لهذا الفكر المتطرف الدعوة إلى تكفير الحكام ، والشعوب ، والمجتمعات ، والعلماء الوسطيين ، مع أن الإسلام نهى عن الإسراع في تكفير الناس أو الولوج فيه ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِن

قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}.

وكما حذر القرآن الكريم من رمي الناس بالكفر ، حذرت السنة النبوية أيضًا من الوقوع فيه ؛ لأنه لا يسلم منه من خاض فيه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ) أي: إذا قلت لإنسان يا كافر فإنه يتحمل إثمها ، إما أنت أو هو ، فإن كان من قيلت له ليس كذلك رجع ذلك الإثم على القائل ، فاحذر أن ترمي بها غيرك حتى لا تكون كافرًا بعد إسلامك.

إن الولوج في تكفير الناس له آثاره المدمرة على الفرد والمجتمع ، فهو يشوه صورة الإسلام ، ويشوه سماحته ووسطيته ، ودعوته للتعايش السلمي ، وإقراره للسلم والأمن المجتمعي والعالمي ، كما أنه يؤدي إلى النفور من الإسلام ، والصدّ عن طريقه.

والذي عليه أهل العلم الموثوق بهم أن الحكم على شخص معين بالكفر لا يثبت إلا بحكم قضائي نهائي وباتّ بعد أخذ رأي المؤسسات الدينية وسماع شهادتها في القضية ، وأما ضرره على المجتمعات فإنه يشتت الكلمة ويفرق الصف ، ويغرس العداوة والبغضاء في النفوس ، ويؤدي إلى نشر الفوضى ، وترويع الآمنين ، ويخالف ما دعت إليه الشريعة من التعاون والتآلف ، ويغلق باب التناصح والدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن.

كذلك من آثار التكفير المدمرة على المجتمعات : استحلال سفك الدماء المعصومة المحرمة ، لأن التكفير يؤدي حتمًا إلى التفجير ، والشريعة الإسلامية جاءت بالمحافظة على الأرواح عمومًا لا فرق بين مسلم وغيره ، فحرمت سفك الدماء بغير وجه حق ، قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، وحرّم النبي (صلى الله عليه وسلم) الاعتداء

على غير المسلمين، من شركاء الوطن ، أو ممن لهم عهدٌ وأمان من المقيمين ببلادنا ، أو السائحين الذين يزورونها ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)، وقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من هؤلاء الذين يسفكون الدماء بغير وجه حق، فقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ).

كذلك من آثار التكفير المدمرة: **استحلال الأموال التي نهى الله تعالى عن أخذها بغير وجه حق** ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}، وقد أخبر نبينا (صلى الله عليه وسلم) أنه خصيم لمن ظلم غير المسلم ، أو انتقصه في مالٍ، أو عرضٍ، أو أي شيء ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

كذلك من آثار التكفير المدمرة : **استحلال الفروج والأعراض المحرمة** ، مع أن القرآن الكريم قد حرمها ، فقال تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}، والحكمة في ذلك: أن الاعتداء عليها يفسد الود والمحبة، ويقطع أواصر الترابط والتشابك بين أفراد المجتمع ، ويؤدي إلى أمراض اجتماعية وقلبية عديدة كالكراهية ، والهجر ، والشحناء ، والبغضاء ، والحقد ، والغلّ ، والحسد ، ومن ثمَّ كان النهي عن تكفير المسلمين جزافًا بدون علم أو سند شرعي واضحًا صريحًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن التكفير بما يترتب عليه من مخاطر وأضرار سببه الفتيا بغير علم ، والتجرؤ على دين الله (عز وجل)، واستخدام بعض الجماعات وعناصرها المتطرفة الدين لتحقيق أغراض ومآرب ومصالح خاصة لا علاقة لها بالدين ولا بالإنسانية ، ومن ثمَّ كان النهي عن التسرع في الفتيا بدون علم أو سند شرعي، قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ) ، أما يعلم هذا الذي يفتي بغير علم أن الله سائله عما قال يوم القيامة ؟ أفلا يعلم أنه إذا أضلَّ شخصًا فأحل له ما حرم الله عليه أو حرم عليه ما أحل الله له فقد باء بإثمه وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتياه؟ قال تعالى: {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُون * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وقد كان أكابر الصحابة والعلماء الربانيون يتحرجون من الفتيا ، لعلمهم بخطورتها، فها هو الصديق أبو بكر (رضي الله عنه) يقول: (أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي؟ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)، وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك ، فقال لكن الملائكة لم تستح حين قالت: {لاَ عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا}.

إن الفتوى بغير علم جرأة على الله (عزّ وجلّ) ، وكذب وافتراء عليه ، وعلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وتُعرض صاحبها للخسران يوم القيامة ، وتُوقع الناس في المشقة والحرج ، وتُعسر عليهم أمر الدين ، وتَحجب عنهم سماحته ، ووسطيته ، وقد كان السلف الصالح (رضوان الله عليهم) يتحرجون من الفتيا لخطورتها ، يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يُسألُ أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول.

وعلاج هذه الظاهرة يتمثل في توعية المجتمع المسلم بكافة أطيافه ، وأن نوضح له خطر هذا المنهج وضرره في الحاضر والمستقبل ، وأن نعالج الأفراد الذين وقعوا فيه بأن نزيل عنهم الشبهة والغشاوة التي طرأت عليهم ونوضح لهم الحق عن طريق التوعية الصادقة والنصيحة الهادفة ، فكم من أناس انخدعوا واغتروا بدعاة ظنوا أنهم على خير وأنهم محققون ؛ لكنهم على باطل وضلال ، فساءت أفهامهم وقلّ إدراكهم، فلا بد من توجيههم وإزالة كل الغشاوة التي علقت بأذهانهم.

كما ينبغي أيضًا عدم السماح لغير المؤهلين وغير العلماء المتخصصين في الدين بالفتوى ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا ، فَقَالُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) ، على أن التكفير قد يخرج إلى التفجير ، واستهداف الآمنين وترويعهم ، مما يجعلنا نؤكد أن كل الدماء معصومة ، وكل الأعراض مصانة ، وكل الأموال محفوظة ، فالاعتداء على أي منها إثم عظيم يعرض صاحبه لسخط الله (عز وجل) وغضبه ، حيث يقول الحق سبحانه : {أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا).

ويجعلنا نؤكد أيضًا أنه لابد من استخدام العقاب الرادع لأصحاب هذه الدعوات التكفيرية والتخريبية الذين يعيثون في الأرض فسادًا ، فشدة العقوبة هدفها منع الجريمة، وتركهم بدون رادع يزيدهم جرأة على دين الله (عز وجل) وعلى خلقه ، ومن ثمَّ أوجبت الشريعة الإسلامية على الأفراد والمجتمعات أن يقفوا بحزم وحسم أمام هذه الأفكار الضالة، وأن يواجهوا أصحابها بكل ما أوتوا من قوة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ).

ونؤكد أن من أعان أصحاب هذا الفكر بنشره أو الرضا به ، أو التشجيع عليه أو التستر عليهم فهو شريك لهم في الإثم أمام الله (عز وجل) والمجتمع كله، وقد نهى الله (تعالى) عن ذلك بقوله:{وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّة ، حتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيهِم، وهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوه ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك عذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

ما أحوجنا إلى اصطفاف وطني لمواجهة الإرهاب الغاشم وكل قوى الشر والظلام التي تهدم ولا تبني ، وتخرب ولا تعمر ، وطبعت قلوب أصحابها على الشر والإفساد ، مما يتطلب منا جميعًا التكاتف والتعاون لاستئصال قوى الشر ، والعمل على نشر سماحة الإسلام، وترسيخ أسس المواطنة الكاملة والعيش الإنساني المشترك ، وتحقيق الحياة الكريمة الآمنة لكل الناس، بعيدًا عن كل ألوان التكفير والتفجير والتخريب.

* * *

سماحة الإسلام ونبذه لكل ألوان العنف

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الدين الإسلامي دين يتميز بالسماحة واليسر في كل شئون الحياة ، والمتأمل في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) يجد أن اليسر والسماحة من أبرز خصائص هذا الدين ، حيث إنه لا حرج فيه ولا مشقة ، ولا شدّة فيه ولا عُسْر، يقول الحق سبحانه:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، ويقول تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

وقد رسَّخ الإسلام قيمة التسامح في قلوب أتباعه ، فدعاهم إلى السماحة بمفهومها الواسع الشامل لكل معاني السهولة واليسر في العبادات والمعاملات ، مع التحلي بمكارم الأخلاق ،كالعفو عند المقدرة ، والصفح عن المسيء ، وكظم الغيظ، وسعة الصدر ، والتعايش السلمي بين الناس، والرحمة، والتعاطف وغير ذلك مما يحمله التسامح من معانٍ راقية.

ولذلك انتشر الإسلام بتعاليمه السمحة ، وأخلاقه الكريمة ، وقيمه النبيلة ،

كما انتشر بأخلاق نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وأصحابه (رضي الله عنهم) ، مما يبرهن على أنه بريء من العنف والإرهاب والتطرف ، وأنه دين اليسر والسماحة ، وقد أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) على ذلك في سنته الشريفة فقال : (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) ، فتعاليم الإسلام كلها تدعو إلى اليسر والسماحة ونبذ العنف والتشدد في القول والعمل، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ).

على أن السماحة ليست كلمة تقال ، أو شعارًا يرفع ، وإنما هي منهج حياة ، ومبدأ من مبادئ الإسلام ، فهي تتجلى في أحكامه ، وتشريعاته ، وعباداته، ومعاملاته، وقيمه، وأخلاقه ، ومن ثمَّ كان لها أكبر الأثر في سرعة انتشار الإسلام وارتفاع رايته ، ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته ، لذلك امتن الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه وسلم) بإرساله رحمة للعالمين ، فقال سبحانه: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، وقال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}، وعندما سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: (الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ).

وتتجلى سماحة الإسلام في مظاهر كثيرة ، منها:

السماحة في العقيدة ، فالإسلام لم يجبر أحدًا على اعتناقه ، بل كفل حرية الاعتقاد للجميع ، قال تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...}، وقال تعالى:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، بل جعل الإيمانَ بالأنبياء جميعًا جزءًا من عقيدة المؤمن التي لا يكتمل إيمانه إلا به ، فقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، ويتجلى هذا التسامح في مخاطبة أهل الكتاب بالأسلوب اللين السمح ، قال تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}، ويتجلى أيضا في الأمر بحماية مقدساتهم ودور عبادتهم ، قال تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، وفي هذا النهج رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بقوله: (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ).

السماحة في العبادات التي تقوي العلاقة بين الإنسان وربه ، من صلاة ، وصيام وزكاة ، وحج ، فقد تميزت تلك العبادات بالسماحة واليُسْرِ في أحكامها وتشريعاتها وطرق القيام بها ، مُراعاةً للطَّبيعة البشريَّة ، فلا يكلف الله نفسا فوق طاقتها ، يقول سبحانه: {لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها مَا اكتَسَبَتْ}، ويقول (عز وجل) : {يرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}، فصلاة المسافر غير صلاة المقيم في عدد ركعاتها ؛ وصلاة الحرب والخوف غير صلاة السلم والأمن في كيفيتها.

وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإطالة في الصلاة مراعاة للمريض، والشيخ الكبير ، والطفل الصغير ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِه)، وكذلك رخص الإسلام للمسافر والمريض وغيرهما في الإفطار من رمضان وأو جب عليهم القضاء أو الفدية ، ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى

عَزَائِمُهُ)، ولم تفرض الزكاة إلا على من ملك النصاب وحال عليه الحول ، واكتملت فيه شروط وجوبها ، والحج لم يفرضه الله تعالى إلا على المستطيع الذي يملك زاد الحج وراحلته ، قال تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}.

السماحة في المعاملات بين الناس ، فقد جاء الإسلام بتنظيم المعاملات بين الناس، لأنهم أحوجُ إلى السَّماحةِ واليسر فيما بينهم ، ليعيشوا في أمن وعدل ورخاء ، لذا حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على السماحة ورفع المشقة والحرج عن الناس في البيع والشراء ، والاقتضاء ، فقَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى).

فالسماحة في البيع : ألا يكون البائع شحيحًا بسلعته ، مغاليًا في ربحه ، محتكرًا لسلعته ، **والسماحة في الشراء** : أن يكون المشتري سهلاً مع البائع فلا يبخس الناس أشياءهم ، **والسماحة في الاقتضاء** : أن يطلب الرجل حقه أو دينه بلين ورفق وسماحة ، قال تعالى :{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

كذلك حثَّ الإسلام على السماحة في القرض ، ورغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في التجاوز عن المعسر ، حيث قال: (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ مُوسِرًا ، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ : إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ).

ولم تقتصر السماحة في الإسلام على المسلمين فحسب ، بل شملت غيرهم، حتى في حالة الحرب ، فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن قتل غير المحاربين من الأطفال، والنساء ، والشيوخ ، والعجزة ، وكَانَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ: (وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدرُوا ، وَلَا تَمْثُلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...)، وفي رواية : (... ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ، ولا صغيرًا ولا امرأةً).

وقد حافظ الإسلام على دماء غير المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ولم يجعل عدم دخولهم في الإسلام سببًا في ظلمهم والاعتداء عليهم ، قال تعالى: {لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، والأمر بالبر في الآية دليل على سماحة الإسلام وعظمته ، حيث إنه حرّم الإساءة والتعرض بالأذى لكل معاهد أو مستأمن ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

ولو تتبعنا سيرته (صلى الله عليه وسلم) لوجدنا فيها ضروبًا من التسامح والموادعة ، فكان (صلى الله عليه وسلم) مثالًا للكمال البشري في حياته كلها ، وما أعظم التسامح في قوله (صلى الله عليه وسلم) يوم الفتح لمن ناصبوه العداء وقد ملأ الرعب قلوبهم: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ). وهكذا حثّ الإسلام على السماحة واليسر ، ونهى عن التطرف والغلو والعنف بكافة أشكاله وصوره.

*   *   *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإسلام بشريعته السمحة – منذ نزول الوحي على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) – يمنع أي اعتداء أو ظلم على أي أحد ، كما يتبرأ ممن يحملون السلاح على الأمة ويخرجون على المجتمع ؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا).

أما ما يحدث من تكفير وتطرف وغلو في مجتمعنا ، وما ينشأ عنه من ترويع وإرهاب وسفك للدماء البريئة ، وتفجير للمساكن والمركبات والمنشئات العامة والخاصة ، فكلها أعمال إجرامية دخيلة على بلادنا وعلى عاداتنا وتقاليدنا ، والإسلام بريء منها ، وكذلك كل مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر بريء منها ، فديننا الحنيف حذّر من إرهاب الآخرين ، ونهى عن ترويع الآمنين وتخويفهم ، وحرّم التعدي عليهم؛ لأنه إجرام تأْباه الفطرة وترفضه الشريعة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا).

لقد جَسَّدَ النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) السماحة في حياته عمليًّا ، فأصبحت صورة مضيئة تشهد بعظمة الإسلام ، فعندما أغلظ أعرابي لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قابل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه الغلظة بالتسامح لا بالعنف ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً ، حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ - أَوْ صَفْحَةَ - عُنُقِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ).

وكذلك سار الصحابة على نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجسَّدوا السماحة واقعًا عمليًّا ، فها هو أبو بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وَفَقْرِهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ المُنَافِقُونَ في عِرضِ ابنَتِهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) وَكَانَ مِسطَحٌ فِيمَن وَقَعُوا ، قَالَ الصِّدِّيقُ : وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ: (بَلَى وَاللهِ ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا).

إن الواقع المعاصر يتطلب من كل إنسان تطبيق تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه ، ردًا على من زعموا أن الإسلام دين يدعو إلى العنف والقسوة في عباداته ، ومعاملاته وتشريعاته، وتصحيحًا للمفاهيم الخاطئة حول هذا الدين ، وبيانًا لعظمته ، فسرعة انتشار الإسلام كانت بسماحته ونبذه لكل ألوان العنف ، ويسر أحكامه ، وقوة حجته ، فلم تكن القوة يومًا عاملًا في نشره ، وإنما انتشر بأخلاق دعاته وأتباعه ، فما أحوجنا إلى نشر هذا الخلق تطهيرًا لنفوسنا ، وحمايةً لأوطاننا ، وإسعادًا لمجتمعاتنا .

*   *   *

التسامح الديني
وضرورة تفويت الفرص على أعداء الدين والوطن

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} . وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من أبرز القيم الخُلُقية والإنسانية التي حرص القرآن الكريم على تأصيلها قيمة التسامح ، فقال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، وقد رسَّخ الإسلام لهذه القيمة في قلوب أتباعه ، فبيّن أنَّ الأنبياء إخوة ، نؤمن بهم جميعًا ولا نفرق بين أحد منهم ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، ويقول سبحانه:{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، وأكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على ذلك بقوله: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) .

إن الدين الإسلامي الحنيف يدعو إلى التواصل والتعايش والتسامح والتراحم

بين أتباع الديانات كافة ، وجعل العلاقة بين الناس قائمة على أساس التعارف والتآلف ، فقال سبحانه :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، وقال (صلى الله عليه وسلم): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى}. فالناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وعقائدهم إخوة في الإنسانية ، تنشأ بينهم علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية قوامها التعارف والتآلف وتبادل المنافع والمصالح المشتركة ، ونلمح هذا من خلال تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) مع مجتمع المدينة ، حيث أسس نظامًا عامًّا هدفه التعايش السلمي بين الناس جميعًا على أسس إنسانية خالصة.

بهذه النظرة الإنسانية وما فيها من محبة وتسامح ساد الإسلام وارتفعت رايته؛ لأنه جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسان وبما جبلت عليه العقول السليمة من حب الخير للناس أجمعين، فليس في ثقافة الإسلام ولا تعاليمه ما يدعو إلى العنف والكراهية ، يقول الحق سبحانه: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، للناس كافة على اختلاف عقائدهم وألوانهم ولغاتهم ، فهي دعوة للتعايش والتآلف وحسن المعاملة مع الخلق.

ومن أبرز صور التسامح الديني في الإسلام أن كفل للجميع حرية الاعتقاد وعدم الإكراهِ علَى الدخول في الإسلام ، قالَ تعالى :{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، وقال (عز وجل) :{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}، ويقول سبحانه : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ

رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}.

وقدْ طبَّقَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابُهُ (رضوانُ اللهِ عليهِمْ أجمعينَ) هذَا الأساسَ تطبيقًا عمليًّا، فلمْ يُكرهُوا أحدًا علَى الدُّخولِ فِي الإسلام ، ولَمْ يهدمُوا كنيسةً أوْ صومعةً أوْ أيَّ مكانٍ للعبادةِ، بَلْ كانَتْ أمكنةُ العبادةِ مُصانَةً عندَ المسلمينَ.

ولم يكتف الإسلام بحرية التديّن ، بل نجده قد ألزمنا بعدم السب أو التعرض لأي من أصحاب الديانات الأخرى ، بما يسيئ لهم أو لمعتقدهم ، أيًّا كان مصدر هذه الديانات ، فقال تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ومن أبرز صور التسامح الديني في الإسلام دعوته لضرورة التعايش مع الآخر على أساس المواطنة ، فحينما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وجد بها مزيجا إنسانيًّا متنوعًا فوجد بها يهودًا توطنوا ، ومشركين مستقرين ، فلم يتجه تفكيره (صلى الله عليه وسلم) إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة أو الخصام ، بل قَبِلَ ـ عن طيب خاطر ـ وجودهم وعاهدهم على حرية الاعتقاد والأمن والأمان ، والدفاع المشترك عن الوطن ، ووضع صحيفة المدينة التي تعد أفضل أنموذج عملي في فقه التسامح الديني، وهي وثيقة تشهد بحكمته (صلى الله عليه وسلم) في إرساء مبدأ التسامح والتعايش بين جميع طوائف البشر ، من خلال المبادئ التي تحقق العدالة المطلقة ، والمساواة التامة بينهم جميعًا، حيث جعل لغير المسلمين ما جعله للمسلمين من الحقوق والواجبات ، وقد اشتملت هذه الوثيقة على (أَنَّ يَهُودَ المدينة أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهُمْ ، وَأَنْفُسُهُمْ، وكذا كل

العهود والمواثيق والمكاتبات التي عهد بها (صلى الله عليه وسلم) إلى الرؤساء والملوك أصَّلَتْ للتسامح الديني والتعايش السلمي.

وكذلك تُعدُّ زيارة نصارى نجران لمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومقابلته (صلى الله عليه وسلم) ومحاورته لهم أنموذجًا رائعًا للتسامح الديني لا مثيل له ، فلما حانت صلاتهم سمح لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بإقامة صلاتهم في مسجده المبارك (صلى الله عليه وسلم)، فَأَرَادَ النَّاسُ مَنْعَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (دَعُوهُمْ)، فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ، فَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ ، كما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) استقبل وفدًا من نصارى الحبشة، وأكرمهم بنفسه وقال: (إِنَّهمْ كَانوا لأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ ، فإني أحبُّ أنْ أكافِئَهُمْ).

وجدير بالذكر أن العدل والإنصاف ، وحسن معاملة الناس جميعًا من أهم ركائز التسامح الديني ، فالإسلام قَدْ حفظَ حقوقَ الآخرينَ وصانَهَا، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ شاهِدَةٌ علَى هذَا، فقد جاءت آيات القرآن الكريم تأمر بالعدل والإحسان وتحثُّ عليهما وتدعو إلى التمسك بهما ، يقول تعالى: {إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}، ويقول تعالى:{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}، فالمسلم مطالب بأن يحقق العدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، وألا يظلم أحدًا من الناس أبدًا ، بل إن الإسلام يأمرنا ببرِّ كل من لا يتعرض لنا بأذى ، فقال سبحانه: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.

وليس أدل على ذلك من أن ينزل جبريل الأمين (عليه السلام) على قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) بآيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

ببراءة يهودي اتهمه مسلم بالسرقة ، فقال تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا *وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}.

وتُعد الوثيقة العمرية التي أبرمها الخليفة العادل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع أهل إيلياء صفحة مضيئة في تاريخ الحضارة الإنسانية على العموم ، فقد أعطاهم فيها أمانًا على أنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصُلبانهم، وقضى لهم بأنه لا تُسكَن كنائسهم، ولا تُهدم ولا يُنتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضام أحد منهم، و من أحب أن يبقى على دينه فعلى المسلمين أن يبلغوه مأمنه دون غدر أو خيانة، ففي هذا العمل نبل وشهامة وتسامح واحترام للأديان الأخرى.

هذا هو منهج الإسلام الذي يدعو إلى التسامح الديني والحفاظ على الآخرين وعلى حقوقهم وحرماتهم ، وتأمين المجتمع وقيمه ، ويحافظ على الأصل الذي على أساسه تُبنَى المجتمعات ، وهو التعارف والتآلف والتعايش والتسامح.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن من أهم عوامل الحفاظ على التسامح الديني هو الاصطفاف صفًّا

واحدًا لمواجهة المتطرفين والتصدي لهم بحزم ، ومحاربة أفكارهم الهدامة التي تؤدي إلى الفرقة والتنازع وضياع الوطن.

ومما لا شك فيه أننا في هذه الأيام في حاجة ملحة - أكثر من أي وقت مضى - إلى تعميق وترسيخ قيم التسامح الديني والانتماء الوطني ، وإعلاء المصلحة الوطنية على أي مصلحة أخرى ، والوقوف بحسم في وجه من يضر بالوطن ، أو يتآمر مع الغير ضد مصالحه ، والتحذير من المحاولات التي تعمل على إثارة الفوضى والشغب والفتن ، والعمل على تفكيكها فذلك أمر واجب على كل وطني شريف ، من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمر به الإسلام ، قال تعالى:{...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. فقد علمنا الإسلام منهجًا واضحًا لوقاية الأمة من القلة التي تفسد ولا تصلح ، وتهدم ولا تبني ، وتخرب ولا تعمر، قال تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

هذا وقد نهى ديننا الحنيف عن ترويع الآمنين أو التعرض لهم بأي سوء ، فكل الدماء حرام ، وكل الأعراض مصانة ، وكل الأموال محفوظة ، لا تمييز في ذلك على أساس الدين أو اللون أو الجنس ، فكل أنواع الأذى مرفوضة ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) ، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا).

إن رسول الإنسانية الأعظم (صلى الله عليه وسلم) الذي وقف لجنازة يهودي احترامًا لإنسانيته جعل من نفسه خصمًا لكل من يؤذي أحدًا من غير المسلمين ، مواطنًا ، أو معاهدًا ، أو ذميًّا ، في ماله أو نفسه أو عرضه ، حيث قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، بل وصل الأمر إلى أن كل من خالف مبادئ الإنسانية السوية وتعاليم الإسلام السمحة واستباح دم إنسان شريك له في الوطن لمجرد الاختلاف الديني فإن ريح الجنة محرم عليه ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا ليوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

ونؤكد أن الإسلام برىء من آفة الفكر التكفيري المتشدد الذي يدعو لسفك الدماء البريئة بغير حق ، أو يدعو إلى الإفساد في الأرض ، اتباعًا لأناس جُهَّالٍ ضلُّوا وأضلوا بغير علم ، أو أصحاب مصالح خاصة يوظفون الدين لمصالحهم وأهوائهم ومطامعهم السلطوية ، ولن يجني هؤلاء إلا حسرة وندمًا وسوء عاقبة في الدنيا والآخرة ، ومن ثم فإن مواجهة هذه الفئات الضالة وردعها عن ترويع الآمنين وتدمير البلاد ضرورة دينية وواجب وطني ، حتى لا يعيثوا في الأرض فسادًا.

* * *

أمانة الصانع والتاجر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد حثت الشريعة الإسلامية على الضرب في الأرض والمشي في سبلها لكسب الرزق الحلال ؛ للاستغناء به عما في أيدي الناس ، قال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ، وقال سبحانه:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، ولذا كان عراك بن مالك (رضي الله عنه) : إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال : (اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين).

كما حثَّت الشريعة على الاشتغال بالصناعة والتجارة ، والاستغناء بهما عن السؤال، فقال سبحانه في شأن الصناعة :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} ، وقال (عز وجل) في شأن التجارة :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

ولما كانت الصناعة من أهم أسباب ووسائل تحصيل الأرزاق فقد اتخذها بعض أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) حرفة ، فكانوا مضرب المثل في المهارة الصناعية والاحتراف والجدّ والعمل ، فكان نوح (عليه السلام) نجّارًا ، يقول تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مغْرَقُونَ}، وكان سيِّدنا موسى (عليه السلام) راعيًا للغَنَم، قال تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}، وكان داوود (عليه السلام) حدَّادًا ، يقول تعالى:{وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وكان إدريس (عليه السلام) خيَّاطًا ، وضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) بنبي الله داوود (عليه السلام) المثل والقدوة في العمل والاجتهاد ، حيث قال: (ما أكَلَ أحدٌ طعامًا قَطُّ خيرًا مِن أن يَأكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ ، وإنَّ نبيَّ اللهِ داوُدَ (عليهِ السلام) كانَ يأكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ) ، فكان لكل نبي مهنة أو حرفة من زراعة أو صناعة أو تجارة.

وعمل نبينا (صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم ، حيث قال : (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ) ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يا رسول الله؟ فَقَالَ: (نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ) ، ولأهمية الصناعة في تقدم الأمم ورقيها حثَّ عليها الإسلام وعُنِيَ بها عناية بالغة ، وأولاها اهتماما كبيرًا حين أشار إلى استخراج كنوز الأرض واستثمار خيراتها، فقال سبحانه : {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، ففي الآية الكريمة إشارات واضحة إلى العديد من الصناعات التي عليها قوام الإنسان ومعيشته.

وحتى تؤتي الصناعة ثمارها وتكون سببًا في تقدم الفرد ورقيِّ المجتمع لا

بد وأن يتخلق الصانع بالأخلاق الحميدة ، ويبتغي بصناعته نفع نفسه ورقيِّ مجتمعه.

ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الصانع والتاجر: **خلق الأمانة** ، فالأمانة في الصناعة تعني التزام الصانع بأخلاق الإسلام ومنهجه في إتقان العمل وجودة صنعته ، فقد خلق الله (سبحانه) كل شيء بإتقان مُعجز ، حيث يقول:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}.

ومن ثمَّ فإن الإنسان وهو يزاول مهنة أو عملًا لا بد وأن يكون أمينا فيه ، يعلم أنه تحت رقابة الله (عز وجل) يراه ويراقبه في عمله ، يراه في مزرعته وفي مصنعه وفي متجره وفي أي مجال من المجالات ، يقول الحق سبحانه:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، ويقول سبحانه:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

وكذلك أوضحت السنة النبوية أن إتقان العمل عبادة قبل أن يكون وفاءً بحق صاحب العمل ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) ، فالصانع الذي يتخلق بالأمانة في مهنته لن يضيع سعيه وجهده ، بل سينال جزاءً حسنًا في الدنيا والآخرة ، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، وقال (عز وجل):{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}، فالذي يسعى نحو الإجادة والإتقان في صنعته إنسان صالحٌ فاضل معتصم بالفضيلة.

أما من لم يتقن عمله ويخلص في صناعته وحرفته ومهنته فهو آثم ، ويتضاعف إثمه ووزره بقدر ما يتسبب فيه من ضياع للأموال ، فكل صاحب صنعة لا يتقي الله فيها فهو خائن لدينه ونفسه ووطنه، والله (عز وجل) لا يحب الخائنين ، بل إن الله (عز وجل) يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ).

وكما اهتمت الشريعة الإسلامية بالصناعة وأمانة الصانع اهتمت أيضًا بالتجارة وأمانة التاجر ، فالتجارة بيعًا وشراءً أحدُ طرق الكسب المباحة لتحقيق إعمار الكون واستقرار المجتمع وأمنه ، قال تعالى:{وأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}، ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم): يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ ؟ قَالَ : (كَسْبُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)، والبيع المبرور ما ليس فيه غش ولا خداع ، ولا ما يخالف الشرع.

وجدير بالذكر أن قضية التجارة في الإسلام قائمة على أساس الأمانة، بعيدًا عن الظلم والغرر واستغلال حاجات الناس وأقواتهم ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ)، وهذا هو الطريق لحصول البركة في التجارة والكسب ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا).

والأمانة في التجارة تعني: التزام التاجر بضوابط الشرع في البيع والشراء وسائر المعاملات المالية ، فلا يغش في بيعه وشرائه ، ولا يكتم عيبًا يعلمه في سلعته، فنبينا (صلى الله عليه وسلم) نهى عن ذلك حين مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلاً ، فَقَالَ : (مَا هذَا يَا صَاحِبَ

الطَّعَامِ ؟) قَالَ : أَصَابَتهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله . قَالَ : (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَهُ) ؛ لذلك جاءت الشريعة الإسلامية بتعاليمها السمحة تحث أتباعها بضرورة كسب المال من طرق مباحة ومشروعة ، فأباحت جميع صور الكسب الحلال التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الآخرين ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وقَالَ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

وقد قص علينا النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مثلاً راقيًا للأمانة في البيع والشراء حلت به البركة والألفة ، وتحققت به المحبة والمودة بين المسلمين ، حيث قال: (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ : خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ : إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا ؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا : لِي غُلاَمٌ ، وَقَالَ الآخَرُ : لِي جَارِيَةٌ ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) منزلة التاجر الأمين الذي يصدق في بيعه وشرائه ، حيث قال: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)، وإذا كانت الأمانة في التجارة تجلب لصاحبها الخير، فالخيانة تمحق البركة، لما يترتب عليها من فساد في المعاملات بين الناس، والقطيعة بين أفراد المجتمع، والتباغض الذي يفضي إلى النزاع والشقاق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَقُولُ اللَّهَ (عز وجل): أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا).

ومن صور الخيانة في التجارة: الغش ، والتطفيف ، والاحتكار ، واستغلال حاجات الناس ، وكلها أمور محرمة بإجماع المسلمين ، وصاحبها ليس على منهج النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)، ومما لاشك فيه أن احتكار السلع يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار ؛ لما يسببه من ظلم وغلاءٍ في الأسعار ، وإهدارٍ لتجارة المسلمين وصناعتهم ، وتضييقٍ لأبواب العمل والرزق ، وانتشار الحقد والكراهية بين الأفراد ، مما يساعد على تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده ؛ لذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ) ، (والخاطئ هو الآثم).

فالتاجر الذي يكتم ما في السلعة من عيوب ، أو يطفف في الكيل والوزن ، أو

يتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية يعد خائنًا للأمانة وآكلاً للحرام.

ولقد أعطى السلف الصالح (رضي الله عنهم) أنموذجًا رائعًا للتاجر الأمين، فهذا يونس بن عبيد الله (رحمه الله) كان تاجرًا ، وكان عنده ثياب مختلفة الأثمان، فذهب إلى الصلاة ذات يوم وترك ابن أخيه في متجره ، فجاء أعرابي وطلب ثوبًا بأربعمائة دينار ، فعرض عليه ثوبًا بمائتين فاستحسنها واشتراها ومضى بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف ثيابه ، فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال بأربعمائة دينار ، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها ، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى متجره ورد عليه مائتي دينار ، وخاصم ابن أخيه في ذلك ، قائلا: أما استحييت؟! أما اتقيت الله؟! تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين، فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك.

إن للأمانة في التجارة والصناعة آثارًا طيبة وثمرات نافعة تعود على المجتمع بالخير، فتسوده روح المحبة والمودة ، ويعم الرخاء ويتقدم المجتمع، أما الإنسان الذي لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة أو يراقب الناس ولا يراقب الله (عز وجل) فهو خائن ، والله لا يحب الخائنين، قال تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}، وقد نهانا الله (عز وجل) عن الخيانة ، فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

*   *   *

مال الوقف .. حرمته وتنميته
ودوره في خدمة المجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين: {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ، وأَشهدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمما لا شك فيه أنَّ المال نعمة من نعم الله (عز وجل) أنعم به على الناس لتستقيم شئون حياتهم، فهو قِوام الحياة الإنسانيَّة ، بحيث لا ينكر أحد ما للمال من أهمية في تسيير أمور الحياة، والنهوض بالأفراد والأمم لتحقيق وسائل العيش الكريم، والرقي إلى مدارج التقدم، ولله درّ الشاعر حيث قال:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ *** لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلال

ومع أنَّ المال يكتسب هذه الأهمية في الحياة ، إلا أن الإسلام جعله وسيلة لا غاية ، لحفظ الحياة وقضاء الحاجات ، ووسيلة للبر والصلة والتكافل بين الناس ، فالمال وسيلة إذا استخدم في الصلاح كان نعمة، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) ، وإذا استُخدم في الفساد كان وبالًا على صاحبه، كما قال (صلى الله عليه وسلم): (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شيكَ فَلاَ انْتَقَشَ) .

والمال الصالح هو الذي ينفع صاحبه في دنياه وأخراه ، فهو أحد الثلاثة التي يبقى أثرها بعد موت صاحبها ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ

يَدْعُو لَهُ) ، ولا شك أن المال الموقوف هو في صلب الصدقة الجارية.

ومن صور المال الممتد خيره وبركته على صاحبه : الوقف ، فهو قربة يتقرب بها العبد إلى خالقه ، في صورة من أعظم صور الإنفاق في سبيل الله (عز وجل) وأكثرها نفعًا ، وأبعدها أثرًا ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَن احْتَبَسَ فرسًا في سبيلِ اللهِ إيمانًا باللهِ ، وتصديقًا بوعْدهِ ؛ فإن شِبَعَهُ ، ورِيَّهُ في ميزانِه يومَ القيامةِ). ويقول الحق سبحانه : {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، ويقول عز وجل: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}.

ولقد سجل التاريخ بأحرف من نور صورًا مضيئة للصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) الذين أدركوا هذا الفضل في الوقف ، وأيقنوا أن ماعند الله خير وأبقى ، فتسابقوا في الخيرات ، وأوقفوا أموالهم في سبيل الله صدقة جارية ، فها هو الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يأتي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: (إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا ، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا) قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ).

وها هو سيدنا عثمان (رضي الله عنه) يشتري بئر رومة من اليهودي ويوقفها على المسلمين (سقايةً لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ) ، وأوقف سيدنا أبو طلحة الأنصاري (رضي الله عنه) أحب ماله إلى قلبه صدقة جارية ، يقول سيدنا أنس (رضي الله عنه) : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا

أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:{لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ) فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: (نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ) قَالَ: فَإِنِّي أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطًا فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَفِيهِ أُمُّ الدَّحْدَاحِ فِي عِيَالِهَا فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اخْرُجِي فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائطًا فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ. وهكذا تسابق الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) في وقف كثير من أموالهم وحبسها في أوجه الخير والبر ، حتى قال سيدنا جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) : (مَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ لَهُ مَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلاَّ حَبَسَ مَالاً مِنْ صَدَقَةٍ مُؤَبَّدَةٍ لاَ تُشْتَرَى أَبَدًا وَلاَ تُوهَبُ وَلاَ تُورثُ).

وللمصريين تاريخ مشرف في الوقف حتى قال بعض العلماء والكتاب : لقد مرَّ على مصر أزمنة كثيرة لم يكن فيها جائع لا من أهلها ، ولا من المقيمين بها ، أو الوافدين عليها أو حتى من مرُّوا بها لكثرة أوقافها ومحسنيها ، وقد سجل المصريون أروع الأمثلة في أوقافهم حتى أوقف بعضهم على حمام الحرم ، وأوقف بعضهم على دواب طلاب العلم ، وأوقف بعضهم على إيواء وإطعام الكلاب الضالة ، مما يؤكد عمق الحضارة المصرية ويجسد أعلى

درجات الرحمة حتى بالحيوان في ديننا الحنيف.

جدير بالذكر أن مال الوقف هو مال الله (عز وجل) ، وهو لما أُوقِفَ له ، فشرط الواقف كنص الشارع ، فهو واجب النفاذ ، مالم يُحِل حرامًا أو يُحَرّم حلالًا ، ومن ثمَّ تجب المحافظة عليه وتنميته واستثماره ، ويحرم أكله أو تضييعه ، أو التحايل بأي حيلة لاستباحته ، أو الاعتداء عليه أو تسهيل الاستيلاء عليه أو الإهمال في حقه وعدم المحافظة عليه فإن ذلك إثم كبير وجرم عظيم، ومن ثم فاحترام خصوصية الوقف ورغبة الواقف والحفاظ عليهما أمر لا مفر منه ولا محيص عنه ، والضرورات في ذلك تقدر بقدرها دون توسع ، كشأن من يضطر إلى أكل الميتة من أجل الحفاظ على الحياة ، كما أن مال الوقف بمثابة مال اليتيم وأشد ، فكلاهما نار تحرق جسد من يقترب منها بغير حق في الدنيا والآخرة ، حيث يحول هذا المال الحرام حياة آكله إلى جحيم في الدنيا {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، يقول الحق (سبحانه وتعالى) : {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}، ويقول سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}.

إن مال الوقف أمانة عند كل من يكون تحت يده منه شيء ، فيجب عليه أن يحافظ على تلك الأمانة، وأن يرعاها، وأن يردها كاملة غير منقوصة ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}.

ومال الوقف هو أمانة في أعناق المجتمع بأثره ؛ لأن نفعه يتعدى الأفراد إلى المجتمعات ، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة من الناس، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَناء في حِفْظه وتحصيله ، وصَرْفه لأهْله ، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه ، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ، لأن ذلك يعد خيانة وظُلمًا واعتداءً على جميع المسلمين ، ويبقى هؤلاء المتربصون بالوقف الذين يظنونه صيدًا سهلًا ومالًا لا صاحب له ، ولهؤلاء نقول : إن لهذا المال صاحبًا لا يغفل ولا ينام ، ولن ينتفع أحد بمال الوقف بغير حق فيهنأ به أبدًا ، إنما يكون عليهم حسرة في الدنيا قبل أن يقال يوم العرض على الله (عز وجل): {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}، فماذا هم لربهم قائلون؟ ، وعلى الجانب الآخر هناك من يحمل راية المحافظة على مال الوقف ويريدها عالية خفاقة ، ويعمل على استرداد جميع حقوقه ، خشية لله ، وإحقاقًا للحق ، وصونًا للوقف ، وتفعيلًا لدوره في العمل الخيري والاجتماعي وصالح الفقراء والمحتاجين ، وسائر أوجه البر التي أوقف لها.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن للوقف أثرًا كبيرًا ودورًا عظيمًا في بناء المجتمع في كثير من المجالات الاجتماعية ، من رعاية طلاب العلم ، وعمارة المساجد ، وبناء المدارس والمستشفيات ، وعلاج المرضى ، ورعاية المحتاجين من الفقراء والأيتام والأرامل ، وكفالة المحتاجين من ذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم،

فهو يسهم إسهامًا كبيرًا في بناء المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره ، ويقضي على الفقر من خلال رعاية الفقراء والمحتاجين ورفع مستواهم الصحي والتعليمي والمعيشي، ونشر روح التعاون والمحبة والتواصل والتراحم بين أبناء المجتمع ولا شك أن استثمار أموال الوقف وتنميته صورة من صور المحافظة عليه حتى لا تأكلها النفقات.

جدير بالذكر أن لمال الوقف خصوصية يجب أن تحترم وتصان ، فمن أكله أو ضيعه أو فرط فيه أو تساهل وساعد في إتلافه فهو شريك في الإثم، مرتكب لكبيرة أكل المال الحرام التي نهى الإسلام عنها بكل صورها وأشكالها نهيًا قاطعًا لا لبس فيه ، فأكل الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا والآخرة ، فهو في الدنيا وبال على صاحبه في صحته ، في أولاده ، في عرضه ، في أمواله ،{وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}، على أن آكل الحرام لا تستجاب له دعوة ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ). وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن سيدنا سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) .

وختامًا نؤكد أن من يعتدي على مال الوقف الذي هو مال الله بأي شكل من أشكال الاعتداء إنما يدخل في حرب مع الله (عز وجل)، وهي حرب مدمرة للمعتدين على مال الوقف وحق الأيتام والفقراء والمحتاجين.

الرشوة وأثرها المدمر على الأفراد والدول
وسبل القضاء عليها

الحمـد لله رب العـالمين ، القائـل في كتابـه العزيـز :{وَلا تَـأْكُلُوا أَمْـوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه، فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وقَالَ سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

والمتأمِّل في عالم الناس اليوم يرى أنه عالمٌ تغيَّرت فيه كثيرٌ من القِيَم والمفاهيم الصّحيحة ، عالمٌ سَيْطَرَت فيه المادة حتى تساهل بعض الناس في جمع الأموال، لا يهمهم أكان ذلك من حلال أو حرام ، وصدَق فيهم قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا

أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ) ، ومن ثمَّ ظهرت في المجتمعات بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي إلى تدمير المجتمع ونزع الخير منه ، من هذه السلوكيات :

الرشوة ، فهي من أخطر صور المال الحرام التي حذَّر منها الإسلام ، وهي من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بالأمم ، كما أنها تعود عليها بالوبال والدمار في الأفراد والأسر والمجتمعات في الدنيا ، ويوم العرض على الله (عز وجل) في الآخرة ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم وتجرأ الناس على تعاطيَها فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن الإيمان قد ضعف في النفوس والقلوب.

وقد شدّد الشرع على حرمة أخذها ، أو دفعها ، أو التوسط بين الراشي والمرتشي ، فالثلاثة مطرودون من رحمة الله (عز وجل)، متعرضون لسخطه وغضبه ، فما دخلت الرشوة عملًا إلا أعاقته ، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ولا بيتًا إلا خربته ، ولا جوف شخص إلا أهلكته ، فكلٌ من تعامل بها ظالم ، **المرتشي** لأخذه ما يحمله على الظلم والجور وضياع الحقوق ، أو التفريط في واجبات عمله ، والغلظة على من لا يدفع شيئًا ، **والراشي**: الدافع لها لأنه عون كبير على الظلم والفساد ، وعلى تشجيع الظالمين المفسدين ، ومفسد لقلوبهم على الآخرين ، الذين تأبى أذواقهم السليمة، وعقيدتهم الحية عن دفع الرشوة ؛ قال (صلى الله عليه وسلم) : (الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ) ، **والرائش** هو الوسيط بين الراشي والمرتشي ، الساعي بينهما بالرشوة ، وهو وعيد شديد لآكل الرشوة ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم جميعًا متعرضين لسخط الله تعالى وغضبه ، ولم يتوقف الأمر عند مجرد النهي عنها وذمِّها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى، قال

(صلى الله عليه وسلم) : (لعنةُ اللهِ على الراشِي والمرتَشِي) ، وفي رواية : (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ).

وسواء أكان اللعن من الله (عز وجل) أم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ففيه رسالة شديدة الوضوح لكل من شارك في إتمام الرشوة ، هذه الرسالة تلقى بظلال من الخوف والرهبة والشدة والطرد من رحمة الله (عز وجل) ، وذلك لأن الرشوة دعوة صريحة لقتل كفاءات المجتمع ، وهدم للأسس التي يقوم عليها ازدهاره وتقدمه.

إن الرشوة ليستْ جريمة شخصية ، وإنَّما هي جريمة في حق المجتمع كله، لذا كانت محرمة بأيّ صورة كانت ، وبأي اسم سُميت ، سواء تحت مسمى هدية أم غيرها ، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا ، والعبرة بالمضامين والمعاني لا بالأسماء ولا بالمسميات ، ولم يعبر القرآن الكريم عن الرشوة بلفظها صراحة ، لكنه ذم من كانوا يتعاملون بها وسماها سحتًا فقال سبحانه : {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}، ويقول (عز وجل) :{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالسحت : كل ما خبث كسبه وقبح مصدره ، كالتعامل بالربا وأخذ الرشوة وما إلى ذلك من وجوه الكسب الحرام.

وقد جاء النهي والتحذير من الرشوة في سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب تخويفي شديد الوطأة على قلوب المؤمنين ، إما بالنهي الصريح عنها أو بلعن كل من شارك فيها من قريب أو بعيد ، فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ

ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَة، فلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيه ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لا ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاء ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا).

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه ، وإن ألبسه أثوابًا مستعارة كالهدية أو الإكرامية وغير ذلك ، فذلك خيانة للأمانة ، وسحت لا يبارك الله تعالى له فيه ، ولا في نفسه ، ولا في أولاده ، ولا في عائلته ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ).

ومن الأساليب الملتوية للحصول على الرشوة : تعطيلُ مصالح الناس والتسويف في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة ، وفي ذلك خيانة للأمانة التي يقول الله تعالى فيها :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، وهكذا تضيع الأمانات بسبب الرشوة ، وتتحول الأعمال الشريفة إلى أعمال فاسدة تضر بالفرد والمجتمع ، وتؤثر فيه تأثيرًا سلبيًّا ، وتنخر في جسده حتى تهدم بنيانه ، ولأجل هذا حرّم الإسلام الرشوة ، تحذيرًا للمسلمين من شرها ، وإبعادًا لهم من ضررها ، وحماية لدينهم ، ولأموالهم ، وحماية للمجتمع عمومًا. فكم من محارم انتهكت ، وكم من دماء سفكت ، وكم من أمانات ضيعت ، وكم من حقوق طمست ، ما أضاعها وما طمسها إلا الراشون والمرتشون ، فويل لهم مما عملت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون.

وجدير بالذكر أن الرشوة لها آثارها المدمرة للأفراد والمجتمعات

والدول ، فهي شؤم ووبال على صاحبها في الدنيا والآخرة ، فبسببها يصاب القلب بالقسوة ، لأنها مال حرام يُذهِب الإيمانَ شيئا فشيئًا ، ويعمي البصيرة ، ويمنع إجابة الدعاء ، وهو مال ممحوق البركة ، إن أنفقه صاحبه في برٍ لم يُؤجر ، وإن بذله في نفعٍ لم يُشكر ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (رضي الله عنه) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)، وفي الحديث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) لكعب بن عجرة : (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : النَّاسُ غَادِيَانِ ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا) .

ومن أضرار الرشوة بالمجتمع : أنها تهدم ركيزة أساسية هي أساس الملك وبها قامت الدنيا وعليها تقوم الدول ، ألا وهى قيمة الحق والعدل، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِ}، فالرشوة حُرِّمَت لأنها من أهم العوامل التي تؤثر في مجرى العدل بين الناس وتغير موازينه ، فتحق الباطل وتبطل الحق ، وتمهد للظلم في تضييع الحقوق ، وتحرم الكفاءات .

وهى كذلك إعانة للظالم على ظلمه ، وتفويت للحق على صاحبه ، وبها يقدم السفيه الخامل ، ويُبعد المُجدَّ العامل ، فهي قضية خطيرة ينبغي التصدي لها والأخذ بقوة على يد متعاطيها والمتعامل بها.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد غزت الرشوة جميع مجالات الحياة وذلك بسبب ضعف الوازع الديني والأخلاقي ، وموت الضمائر ، فإذا ماتت الضمائر خربت الذمم ، وعمَّ الفساد ولا يبالي صاحب الضمير الميت أي شيء يأكله حلال أم حرام ، وهذا ما حذَّر منه النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قَالَ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ) ؛ لذا وجب على كل أفراد المجتمع التصدي لهؤلاء المفسدين ، فالتصدي لهم فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهمالهم وعدم التصدي لهم فيه الهلكة للمجتمع كله. والسكوت على الرشوة جريمة كبرى ومشاركة لفاعليها ، فينبغي علينا أن نأخذ على أيدي المرتشين ، ومعاقبتهم بالعقوبة الرادعة حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، وفي الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

فحري بكل إنسان أن يكون يقظ الضمير ، مراقبًا لله (عز وجل) ، وأن يؤمن بأن ما كان له سوف يأتيه ، فإن الرزق مقدر ، غير أنه بالرشوة يستعجله بالحرام ، وفي الحديث : يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي ، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟) هذا إذا كان المال حلالاً ، فكيف إذا كان حرامًا؟ ، فبالضمير الحي اليقظ ينضبط السلوك والتصرفات، فتقوى الله ومراقبته والخوف منه والاستعداد للقائه أقوى في النفس من كل شيء ، فإذا

همَّت نفس الإنسان بالحرام والإفساد في الأرض تحرك ضميره فيصده عن كل ذلك ويذكره بأن هناك من لا يغفل ولا ينام ، فيدرك أن الله معه حيث كان في السفر أو الحضر ، في الخلوة أو في الجلوة ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، وصدق الله حيث قال:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، ويقول سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ولا بد من تعاون الجميع في القضاء على الفساد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)، فاليد للحاكم أو السلطان، واللسان للعلماء، والقلب لعامة الناس ، إذ ينبغي أن تكون مواجهة الفساد بقوة وبلا أدنى هوادة مواجهة عامة وشاملة لكل ألوانه ، ولا سيما الرشوة والمحسوبية ، واستغلال النفوذ ، وأن نتعاون جميعًا في القضاء على الأدواء القاتلة ، والعمل على منع الفساد قبل وقوعه بالنصح ، وعدم المشاركة فيه أو الرضا به أو السكوت عنه بأي شكل من الأشكال .

* * *

فضل الصدقات
وسبل تعظيم ثوابها

الحمــد لله رب العــالمين، القائــل في كتابــه العزيــز:{إِنْ تُبْــدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الإسلام دين يحث على البذل والعطاء والإنفاق ، ويكره الشح والبخل والإمساك ، لذلك أمر أتباعه بالمسارعة إلى الإنفاق في سبيل الله من أموالهم التي استخلفهم الله فيها ، ثم وعدهم بالأجر العظيم ، يقول سبحانه :{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} ، ويقول (عز وجل) : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْك).

ولما كان الإنسان مدنيًّا بطبعه ، يعيش مع بني جنسه يؤثر فيهم ويتأثر بهم ، يأخذ منهم ويعطيهم ، جاء الإسلام بتشريعاته التي لم تعرف البشرية لها مثيلاً ليؤسس لهذا المبدأ ، حيث أمر الأغنياء بالإنفاق والصدقة من أموالهم التي رزقهم الله (عز وجل) إياها ، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، ثمَّ وعدهم بالزيادة والنماء ، ومضاعفة الأجر والثواب، فقال

تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، فإذا امتثلوا لذلك كانوا من الآمنين يوم القيامة ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وفي ذلك يقول سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

وجدير بالذكر أن الزكاة من شعائر الإسلام وأُسُسِهِ التي تنشر المحبة والألفة والتراحم بين الناس ، فهي عبادة مالية ، وشعيرة ربانية ، وقربة من أجلّ القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله (عزّ وجلّ) ، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (بُنِي الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ البَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) ، فهي فريضة إسلامية، جعلها الله تعالى دليلًا على صدق إيمان العبد، وكمال إسلامه ، يُعرف بها المؤمنون ، فتتآلف قلوبهم ، وتتضاعف أجورهم ، وتسعد نفوسهم ،كما أنها وسيلة لتحقيق التكافل والتعاون بين جميع أفراد الأمة ، دعا إليها الإسلام رحمة بالضعفاء ، ومواساة للفقراء ، إلى جانب ما فيها من مضاعفة الأجر والثواب يوم القيامة .

كما أن الصدقة طهرة للنّفس من الأخلاق السيئة والأدواء المذمومة ، فبها يطهر الغني من الشح والبخل ، ويطهر الفقير من الحقد والحسد ، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، والإسلام في دعوته للإنفاق حارب العامل النفسي الذي قد يمنع المسلم من الصدقة ، ألا وهو خوف الفقر ونقصان المال ، فأخبرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن المال لا ينقص بالصدقة ، بل يُبارك الله

(عز وجل) فيه وينفي عنه الآفات ، مع ما يدخر لصاحبه يوم القيامة من الأجر والثواب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ).

ولبيان فضل الصدقة وأهميتها ، ودورها في إصلاح الفرد والمجتمع ، قرنها الله (عز وجل) بالصلاة في مواضع عديدة ، فقال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وقال (عز وجل): {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، ولعل السر في الجمع بينهما أن الصلاة بيان لعلاقة المسلم بخالقه ، والصدقة بيان لعلاقة المسلم بإخوانه في الحياة ، فالصلاة حق الله تعالى ، والصدقة حق العباد ، يقول ابن عباس (رضي الله عنهما) : ثلاث آيات مقرونات بثلاث ، لا تقبل واحدة بغير قرينتها : قال سبحانه : {وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ، وقال سبحانه:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ، وقال سبحانه: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

ومن فضائل الصدقة التي وعد الله (عز وجل) عباده المتصدقين:

مضاعفة الأجر للمتصدق: فلا شك أن المتصدق يرجو عظيم الأجر والثواب الذي أعده الله تعالى للمتصدقين، حيث يقول سبحانه:{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}، ففضل الله تعالى واسع ، وعطاؤه غير محدود ، وهو سبحانه يقبل الصدقة ويربيها لصاحبها حتى تصير كالجبل في العِظَم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ) .

أنها سبب الفوز بظل عرش الرحمن يوم القيامة : وهو يوم شديد حره عظيم بأسه ، فقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن أهل الصدقة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَال: إِنِّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا ففاضت عَيْنَاهُ).

أنها سبب من أسباب الشفاء ودفع أنواع البلاء : يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاَءِ الدُّعَاءَ)، وجاء رجل إلى ابن المبارك (رحمه الله) وسأله عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين ، وقد عالجها بأنواع العلاج فلم ينتفع به ، فقال له : اذهب فاحفر بئرًا في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء ، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ، ويمسك عنك الدم ، ففعل الرجل ، فبرأ بإذن الله (عز وجل) ، ومن ثم يتضح أن الصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ، فإنّ الله تعالى يدفع بها أنواعًا من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند النّاس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنّهم قد جربوه.

أنها سبب لزيادة المال وبركته ونمائه، فقد جعل الإسلام الصدقة سبيلًا لحصول النماء والزيادة والبركة ، قال تعالى:{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، إضافة إلى أن المنفق يدعو له ملك كريم من جند الله (عز وجل) بالزيادة والبركة في ماله كل يوم جزاء ما أنفقه في سبيل الله ، بخلاف الممسك البخيل ، فيدعو عليه بالتلف لما بخل به ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تلَفًا) .

ومن أجل أن تؤتي الصدقة ثمارها يجب استثمارها فيما يخدم الدين والوطن ، ويلبي حاجات المجتمع ويحقق استقراره وتقدمه ، وأن يجتهد المتصدق في إيصالها لمن يستحقها حتى لا يضيع حق الفقراء ، مع مراعاة ترتيب الأولويات في توزيع الصدقة ، وتقديم الأعمِّ نفعًا على غيره ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري ، وعلاج المريض، وحفظ كرامة الإنسان ، وحفظ ماء وجهه من سؤال الناس مقدم على غيره ، فالصدقة التي تلبي حاجات المجتمع ، وما فيه مصلحة الدين ورفعة الوطن أكثر نفعًا وأعظم ثوابًا من غيرها، فكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم .

لقد جعل الإسلام بتشريعاته الحكيمة من الصدقة رباطًا قويًّا بين الغني والفقير ، وعلاجًا لمشكلة الفقر تحقيقًا للتكافل الذي يجعل المجتمع أسرة واحدة متماسكة تصان فيه الحقوق والواجبات ، وتسعد فيه النفوس بحياة كريمة وعيشة راضية ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ

لاَ زَادَ لَهُ) قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إذا كنا نتعرض لرحمات الله (عز وجل) في هذه الأيام المباركة فعلينا أن نتراحم فيما بيننا ، فمن لا يرحم لا يرحم ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وليس التراحم بمجرد كلمة أو سلام ، إنما التراحم سلوك ، يستوجب التعاون والتكافل ، وأن يأخذ قوينا بيد ضعيفنا ، وغنينا بيد فقيرنا ، وها نحن مقبلون على عيد الفطر المبارك ينبغي أن نوسع فيه على الفقراء ، وأن نغنيهم عن السؤال في هذا اليوم ، وأن نخرج صدقة الفطر إلى مستحقيها ، ومن كان ذا سعة زاد في الصدقة والبر والصلة ، موقنًا بأن ما أنفق من خير فإن الله (عز وجل) سيخلفه ويضاعفه ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

وصدقة الفطر شرعت في السنة الثانية من الهجرة ، وهي السَّنَةُ التي فرض الله فيها صومَ رمضان ، ومن حِكَمِ مشروعيتها : أنها تَجبر نقصان الصوم ، كما يجبر سجود السهو نقصان الصلاة ، فهي تطهير للصّائِمِ مِمّا يَحصلُ منه فِي صِيامِهِ مِن نَقصٍ وَلَغوٍ وَإِثْمٍ، ومنها : إغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد ، لِيُشَارِكُوا الأَغنِيَاءَ فِي فَرَحِهِم وَسُرُورِهِم ، فضلاً عما تؤدي إليه هذه الصدقة من

التكافل بين أفراد المجتمع ، والتراحم بينهم ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ) .

ويخرجها الإنسان قبل صلاة العيد ، عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم من أهله الذين لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم ، ويجوز إخراجها حَبًّا أو إخراجها نقدًا ، فمن أخرج الحبَّ أجزأه ، ومن أخرج النقد أجزأه ، والأولى منهما ما يكون محققا لمصلحة الفقير أكثر ، من غير إنكار على من يفعل هذا أو ذاك .

وتصرف صدقة الفطر إلى الفقراء والمساكين ، الذين اهتم بهم الإسلام ، وأمر بالإحسان إليهم تحقيقًا لسعادتهم ، وتلبية لحاجاتهم ، وإعانة لهم على متاعب الحياة وتهيئة الحياة الكريمة لهم ، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، وخص من هذه الأصناف الثمانية الفقراء المتعففين وبيَّن صفاتهم ، فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، إِنَّمَا الْمِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ) ، على أنَّ أفضل الصدقة ما كانت على الفقراء والمساكين من الأقارب والأرحام ، يقول رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (صَدَقَتُكَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ) .

* * *

المال الحرام
صوره وأثره المدمر على الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإنَّ المالَ من أعظم نعم الله (عز وجل) التي أنعم بها على عباده ، فهو عصب الحياة ، وأحدَ رُكنيّ زينتها ، قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}، وهو قِوام الحياة الإنسانيَّة ، فمن خلاله يؤدي الإنسان رسالته ، وبه ينال رغبته ، وبه تستقيم شئونه في الحياة ، وبه يتمكن من الوصول إلى غاياته وأهدافه ، وبه يستعان على كثيرٍ من أعمال البر والطاعة ، فالمال سلاح صاحبه في المهمات والملمات ، يقول سفيان الثوري (رضي الله عنه): (المال سلاح المؤمن) .

ولا ينكر عاقل ما للمال من أهمية كبيرة في تسيير أمور الحياة ، والنهوض بالأفراد والأمم لتحقيق حياة كريمة ، والرقي إلى مدارج التقدم ، ولله در الشاعر حيث قال:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ *** لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ

ومن هنا اهتمت الشريعة الإسلامية بأحكامه ، وتنظيم حركته في المجتمع ، بأن يُؤخذ من حِلّه ، ويُوضع في مَحلِه ، وكيف لا ؟ وبه تتحقق عمارة الأرض ،

وتيسير أمور الخلق ، وجلب السعادة لهم ، ودفع الضر عنهم ، فالمال في الإسلام وسيلة لعبادة الله تعالى وإقامة شرعه ، ووسيلة للصلاح والإصلاح ، والبر والصلة وتحقيق معاني التواد والتراحم والتعاون والتكافل بين أفراد الأمة ، حتى تكون جميعًا كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فالمال إذا استخدم في الصلاح كان نعمة ، كما قال (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) ، وإذا استُخدم في الفساد والإفساد كان وبالاً وشقاءً على صاحبه ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شيكَ فَلاَ انْتَقَشَ).

ولأهمية المال البالغة حثَّ الإسلام على تحصيله واكتسابه من طرق مباحة ومشروعة ، ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وقَالَ سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

كما نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه ، وحذر أشد التحذير من الأموال المحرمة لما فيها من شرٍّ ووبالٍ على صاحبها في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}، فالمال الحرام في الدنيا يمحق البركة ، وفي الآخرة يكون مآل صاحبه إلى النار وبئس القرار ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لكعب بن عجرة : (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : النَّاسُ غَادِيَانِ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا)، فأكل المال الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا ، {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}، وحتى لو تصدق به صاحبه فإنه لا يقبل ؛ لأن الله (عز وجل) طيب لا يقبل إلا طيبًا.

والمتأمل في حياة بعض الناس اليوم يجد أنهم ربما تساهلوا كثيرًا في جمع الأموال ، فراحوا يجمعونها من أي طريق كان بغض النظر عن الحل أو الحرمة ، دون وازع من دين أو خلق ، حتى صدَق فيهم قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ).

ولله در سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يوم أن جاء غلامه بطعام ، وكان (رضي الله عنه) لا يأكل من كسبه حتى يسأله عن مصدر هذا الطعام ، (فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ولم يسأله ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ : تَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بكر : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي ، فَأَعْطَانِي لِذلِكَ ، هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) ، وفي بعض الروايات أنه قال : (والله لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به) ، ولو أيقن الناس حقيقة المال الحرام لعلموا أنَّه

يضر ولا ينفع ، يُفسد ولا يُصلح ، ويهدم ولا يبني ، وإن رأى الغافلون غير ذلك ، ولله درُّ القائل :

جمع الحرام على الحلال ليكثره
دخل الحرام على الحلال فبعثره

على أن المال الحرام إما أن يكون حرامًا في كسبه وتحصيله ، وإما أن يكون حرامًا في إنفاقه وصرفه في غير محله ، واستخدامه في الأغراض المحرمة ، وإنفاقه في تمويل العمليات الإرهابية التي تعمل على تخريب وتدمير المجتمع ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ ؟) فكل صور المال الحرام لها أثرها المدمر على الفرد والمجتمع.

ومن صور الكسب الحرام: المال الناتج عن قبول الرشوة ، فالرشوة إحدى طرق كسب المال المحرم ، وهي جريمة مُهلكةٌ من أشد الأسباب فتكًا بالمجتمعات ، ونشرًا لأسباب الضعف والانهيار ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم وتجرأ الناس على تعاطيَها ، فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن الإيمان قد ضعف في النفوس والقلوب ، وما دخلت الرشوة عملاً إلا أعاقته ، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ومن أقبح أساليبها الملتوية : تعطيلُ مصالح الناس والتسويف في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة ، وفي ذلك خيانة للأمانة التي يقول الله تعالى فيها :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}، وقد لعن نبينا (صلى الله عليه وسلم) (الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) ، وهو الوسيط الذي يسعى بينهما ، لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع ، ودعوة صريحة لهدم بنيانه الذي يقوم عليه ازدهاره وتقدمه.

* **أكل المال الناتج عن الغش** ، سواء أكان غشًّا في الكم أم في النوع ، يقول الحق سبحانه:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وسواء أكان في الغذاء ، أم في الدواء ، أم في الأدوات أو الآلات الإنتاجية أو الاستهلاكية ، فمن يغش في ذلك وغيره ، كمًّا أو نوعًا ، فهو فاسدٌ مفسدٌ ، غاشٌّ لنفسه وللمجتمع ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنّا)، وفي رواية (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) بحذف المفعول ، ليشمل كل غش وغاش ، وما ذلك إلا لأن تلك الجريمة من أسباب هلاك الأمم ، ودمار المجتمعات .

*ومن صور الكسب الحرام : **الاعتداء على المال العام** ، فقد كثرت في الآونة الأخيرة صور الاعتداء على المال العام ، وإن تغيرت في الشكل والطريقة والأسلوب إلاّ أن مضمونها واحد ، ويتمثل ذلك في استئثار أحد الأفراد به وحده دون حق ، أو انتزاع ملكيته من مجموع الناس إليه دون حق، أو سوء استخدامه أو إتلافه ، أو سرقته ، أو نهبه ، أو اغتصاب الأرض المملوكة للدولة بوضع اليد عليها ظلمًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ) .

وكذلك الاعتداء على أي من مرافق الدولة بدون حق ، أو احتيال الإنسان على التهرب من التزاماته المالية تجاه الدولة بأي صورة من الصور ، سواء من كان متهربًا من الضرائب المستحقة عليه أم متهربًا من سداد قيمة استخدام المرافق من ماء ، أو كهرباء ، أو غاز ، أو خلافه ، ذلك أن المال الخاص قد يتعلق بشخص أو بعدة أشخاص ، أما المال العام فيتعلق بملايين الأشخاص الذين يصعب على الإنسان أن يتحلل من أكل حقوقهم يوم القيامة ، فعلى

الإنسان أن يراقب الله (عز وجل) ، وليعلم أنه إن أفلت من عقاب الناس في الدنيا فلن يفلت من عقاب الله (عز وجل) لا في الدنيا ولا في الآخرة .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الاعتداء علي المال العام أشد جرمًا من الاعتداء على المال الخاص؛ لأنه مِلْكٌ للناس جميعًا ، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة من الناس ، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَناء في حِفْظه وتحصيله ، وصَرْفه لأهْله ، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه ، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ ؛ لأن ذلك يعد خيانة وظُلمًا واعتداءً على حق الناس جميعًا ، لذا وجب علينا جميعًا أن نحافظ على المال العام ، وسائر مرافق الدولة من المدارس ، والمعاهد ، والمستشفيات ، والطرقات ووسائل النقل ، وغيرها من المرافق العامة باعتبارها ملك لنا جميعًا ، وأمانة في أعناقنا جميعًا ، مؤكدين على أن المساس بها تخريب وإفساد ، ويعد جريمة شرعية وخيانة وطنية.

إن صور أكل أموال الناس بالباطل متعددة ومتنوعة ، منها ما يكون بالظلم والقهر والغصب ، ومنها ما يكون بالنصب والاحتيال والغش والتدليس بيعا وشراء ، ومنها ما يكون بتضييع الحقوق وخيانة الأمانة ، والمماطلة في تسديد الديون ، وغير ذلك من الصور التي إن تنوعت فإنها محرمة ، على أن هناك صورًا مستحدثة لكسب المال الحرام لا تقل حرمة ووبالاً على صاحبها ، وأن

أسوأ أنواعها : المال الناتج عن العمالة أو الخيانة ، وبيع الذمم ، وشهادة الزور، أو كان ناتجًا عن القيام بعمليات التخريب والتدمير والإفساد ، والقتل وسفك دماء الأبرياء ، أو كان ناتجًا عن تسهيل أو تنفيذ العمليات الإرهابية التي تعمل على زعزعة أمن الوطن واستقراره ، وإشاعة الفوضى بين أبنائه ، والعمل على تدمير المجتمع وهدم بنيان حضارته .

فالمال الذي تباع به الأوطان ، وتشترى به الذمم ، مال حرام ، وكسب سحت خبيث يجلب الخزي والعار لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وآكل الحرام لا تستجاب له دعوة ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له".

* * *

المسئولية
دينية ووطنية ومجتمعية وإنسانية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد حدد الحق سبحانه وتعالى للإنسان مهمة عظيمة بجانب مهمة العبادة ، وهي مهمة إعمار هذا الكون ، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}أي: طلب منكم عمارتها وإصلاحها ، والنظر فيما أودع فيها من خيرات وما قدر فيها من أقوات.

إن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده منقطعًا في صحراء، أو منعزلاً في كهف ، بل يعيش مع غيره في مجتمع متماسك البنيان ، يتأثر به ويؤثر فيه ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، فإقامة الحياة وإنشاء الحضارة والعمران يتطلب التعايش والتعاون بين الناس ؛ لذا كان لابد من نشر قيم المسئولية المجتمعية التي يتحقق بها مبدأ إعمار الكون الذي دعا إليه الإسلام .

فالمسئولية مبدأ إسلامي أصيل ، يتربى عليه المؤمن من خلال معرفته بدينه حق المعرفة ، فيدرك الإنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، فيلتزم بالوفاء بها ، فيصبح إيجابيًّا في مجتمعه نافعًا لوطنه ، لا يعتدي على حقوق الآخرين ، ولا يمنعه أحدٌ شيئًا من حقه .

وما من لحظة من لحظات حياة الإنسان إلا وتتجسد فيها قيمة المسئولية بكل صورها ، سواء أكانت مسئولية فردية أم مجتمعية ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ، فبين الحديث الشريف أن المسئولية في الإسلام تمتاز بالشمولية ، فتعم كل أفراد المجتمع .

والمسئولية في الإسلام نوعان ، مسئولية فردية معني بها الأفراد ، ومسئولية مجتمعية وإنسانية معني بها المجتمع كله ، فالمسئولية الفردية تعني: أن يكون الإنسان مسئولاً عن نفسه وجوارحه وبدنه ، وعقله ، وعلمه وعمله وأسرته، وعباداته ومعاملاته ومسئولياته ، فإن أحسن ووفَّى بحقها أمام الله (عز وجل) وأمام نفسه ومجتمعه تحقق له الثواب ، ونال الأجر والعطاء ، وإن أساء وفرط في هذه المسئولية فقد باء بنفسه إلى الخسران المبين ، وإلى هذه المسئولية أشار (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ).

ومن لوازم المسئولية الفردية أن يكون الإنسان عفيف اللسان ، طاهر اليد ، مأمون الجانب مع كل البشر ؛ قال (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ).

أما المسئولية المجتمعية والإنسانية فتعني: قيام الجميع أفرادًا ومؤسسات بواجباتهم تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم ، والمحافظة على ثروات المجتمع ، والعمل على تنميتها ، ونشر قيم الأمن والأمان والسلامة والطمأنينة

والمواطنة القائمة على العدل والإنصاف والتسامح الديني ، ونشر ثقافة التعايش السلمي ، وغير ذلك بما يحقق نهضة الأمة والمجتمع والبشرية كلها.

وتقوم المسئولية المجتمعية على أساس فروض الكفايات التي إن قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع ؛ لأن فرض الكفاية لا يتعلق بشخص بعينه ، بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري ، ومداواة المريض ، وإغاثة الملهوف ، وتعليم الجاهل كل ذلك يدخل في فروض الكفايات ، يقول سبحانه :{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

والمسئولية المجتمعية لها الدور الأكبر في تحقيق التوازن المطلوب في المجتمع ، والمسئولية الإنسانية هي السبيل الأسمى لتقوية الروابط والعلاقات الإنسانية بين البشر ، ومن صورها : تعليم الجاهل ، ورفع الأمية بكل صورها : التعليمية ، والثقافية ، والدينية ، فكل صاحب قلم وفكر ، وكل عالم ومثقف ، وكل صاحب منبر دعوي وإعلامي مسئول عن رفع الجهل ، وحماية الأمن الفكري لأفراد المجتمع ، فالجميع في سفينة واحدة ، ولكي تصل إلى برِّ الأمان لا بد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعًا .

ومن صورها ـ أيضًا ـ : تحقيق كفاية الوطن في طعامه وشرابه وكسائه ودوائه ، وتوفير سلاحه وعتاده ، وتحقيق القوة في جميع المجالات العلمية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والإنتاجية ، يقول تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }، ولم يحدد الله تعالى نوع هذه القوة ، فهي شاملة لكل قوة تصلح الأمة ، سواء كانت قوة روحية، أم علمية ، أم جسدية ، أم اقتصادية ، أم عسكرية ، أم غير ذلك.

ومن صورها ـ أيضًا ـ :: قضاء حوائج المحتاجين ، ورعاية اليتامى والمساكين، وعلاج المرضى ، وبذل الجهد لإغاثة الملهوفين والمنكوبين ، وإزالة الكرب عن المكروبين ، حتى لا يجوع فقير ، ولا يضيع يتيم ، ولا يحتاج مسكين.

ومن صورها : **تقويم السلوك المعوجّ** ، انطلاقا من قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ، وامتثالاً للتوجيه النبوي في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَن رَأَى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) ، فالتغيير باليد يكون للسلطان ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب لعامة الناس ؛ لأن المجرم إذا استشعر أن المجتمع كله سيكون لافظًا له ، رافضًا لسلوكه ، متجنبًا التعامل معه ، فإنه سيراجع نفسه ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على عمل إجرامي ، وأما إذا استشعر عكس ذلك فإنه سيتمادى في إجرامه ، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد ، أم على مستوى الدول.

ومن صور المسئولية المجتمعية والإنسانية : **قيام التاجر بواجبه تجاه وطنه** ، فلا يغش ولا يحتكر ، ولا يفعل ما من شأنه استغلال حاجة الناس ، ومن النماذج التي ينبغي أن يقتدى بها في المشاركة المجتمعية وتحمل المسئولية تجاه المجتمع ، ما فعله سيدنا عثمان بن عفان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، حيث اشترى بِئْرَ رُومَةَ لحاجة المسلمين إليه ، ثم أوقفه عليهم ؛ ولذا أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء ، وكذلك قيام كل من العامل ، والصانع ، والطبيب والمهندس ، والمعلم ، ورجل الأعمال بواجبهم تجاه وطنهم، وكذلك قيام الأغنياء بواجبهم تجاه الفقراء والمحتاجين ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ).

إن قيام الإنسان بواجبات مسئوليته تجاه مجتمعه عبادة يتوجه بها إلى الله تعالى قبل كل شيء ، فهي صورة من صور الأمانة التي أمر بها الشرع الحنيف ، وحذر من خطر خيانتها أو الإخلال بها ، حتى تسوده روح الألفة والمودة ، والرحمة والتعاون ، والتكاتف والتكافل وغيرها من القيم الخلقية والإنسانية التي تحقق الخير للفرد والمجتمع ، وهذا من صفات المجتمع المسلم ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

والإخلال بالمسئولية يُزعزِعُ القِيَم الأخلاقيَّة، وينشُر السلبيَّة ، مما يُؤدِّي إلى حالاتٍ من الاحتِقانِ والحِقدِ والتوتُّر والإحباط واليأسِ من الإصلاح ، ويضعُفُ الولاء الصادق للأمة وللدولة ، ويُهدِّدُ الترابُط الأخلاقي ، وقِيَم المُجتمع الحميدة المُستقرَّة ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّة ، حتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم، وهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوه ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك عذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

ولنعلم أنه ما ضاعت أمة ولا هلك مجتمع إلا حينما تغافل الناس وتركوا مبدأ القيام بالمسئوليات المجتمعية ، وتعالت فيهم نزعات النقيصة والأنانية ، وقد قالوا ما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من أهم جوانب المسئولية : مسئوليتنا الوطنية في حفظ الأمن واستقرار الوطن كل في موقعه وميدانه ، والعمل على تقدمه ورخائه ، وتحقيق كفايته في جميع جوانب الحياة ، حفاظا على كيان الدولة وبنائها قويا صلبًا متماسكًا ، والعمل على ردِّ كيد أعدائها المتربصين بها في نحورهم ، وأول واجباتنا في ذلك هو إجهاض مخططات الأعداء الذين يعملون على إفشال دولتنا ، أو إضعافها ، أو إسقاطها ، أو تمزيق دولنا إلى كيانات لا تنفع ولا تضر ، فإضعاف دولنا وإسقاطها يصب في مصلحة أعدائنا ، ولا يخدم قضيتنا ، ولا قضايا أمتنا .

أما العمل على قوة وطننا ودولنا فإنه يخدم جميع قضايانا ، وقضايا أمتنا العادلة ، ومن أهمها قضية الأقصى ، فإن لكل أمة مقدسات تعتزّ بها ، وتلتفّ حولها ، وتدافع عنها بكل غالٍ ونفيس ، والمسجد الأقصى أحد أهم مقدسات الأمة وله مكانته ومنزلته العظيمة في الإسلام ، فهو ثاني المساجد التي أسست على وجه الأرض ، فعن أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ)، وهو أحد المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم)، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) ، وهو أرض المحشر والمنشر، فعَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: (أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ) قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: (فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ) ،

وهو منتهى إسراء سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبداية معراجه إلى الملأ الأعلى، وقد شرف الله البقعة المحيطة به وحفها بالبركة، فقال سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن يعرفوا منزلته، ويستشعروا مسئوليتهم نحوه ، ومن ثم تجب حمايته ، وعدم التفريط فيه ، فهو أمانة في أعناق المسلمين جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله (عز وجل) وتقواه أولًا ، ثم بوحدة صفِّها ، وبامتلاك أسباب القوة بالعلم والعمل .

ونؤكد أنه لا أمان بلا عدل ، وأن عاقبة الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين وخيمة ، سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم ، كما نؤكد على أهمية التحرك على المستوى الدولي؛ لدعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ؛ ولحماية جميع دور العبادة وفي مقدمتها المسجد الأقصى حتى لا تتسع دائرة الحروب الدينية ، ويزداد العالم صراعا فوق صراعاته ، ثم إن كلا منا مسئول أمام الله (عز وجل) عما قدم لدينه ووطنه ، وعمارة الكون ، وصالح الإنسانية .

* * *

مفهوم المواطنة والانتماء
وواجبنا تجاه السائحين والزائرين والمقيمين

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ العزيزِ :{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد جُبِل الإنسان بفطرته على حب الوطن والانتماء إليه ، يشترك في هذا جميع الناس على تنوع أعراقهم واختلاف مشاربهم ، ولأن الإسلام هو دين الفطرة والإنسانية فلم يقف في وجه هذا الميل الطبيعي بل أقره ورغَّب فيه وحضَّ عليه ، وجعله سبيلاً لزيادة التماسك بين أبناء الوطن الواحد .

وقد اقترن حب الوطن في القرآن الكريم بحب النفس ، فقال تعالى : {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}، فليس غريبًا أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكانٍ آخر ، فما ذلك إلا دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء للوطن.

وهذا ماحثَّت عليه الشرائع السماوية ، وأكده ديننا الحنيف ، ولعلَّ خير دليلٍ على ذلك : ما أعلنه نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن حبِّه ووفائه لوطنه مكة المكرمة ، وهو يغادرها مهاجرًا إلى المدينة ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) ، وفي رواية :

أنه (صلى الله عليه وسلم) وَقَفَ عَلَى الْحَزْوَرَةِ – موضع بمكة – فَقَالَ لمكة : (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) .

ألا ما أروعَها من كلمات عبر بها النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) وهو يودِّع وطنه فكشفت عن عظيم حبِّه لوطنه ، وتعلُّقه الكبير به لِمَا له مِنْ مَكَانَةٍ فِي نَفْسِهِ ، فمكة هي الأرض التي ولد ونشأ وشبَّ فيها ، وتزوَّج فيها ، وله فيها (صلى الله عليه وسلم) ذكرياتٌ لا تُنسى ، فالأوطان ذاكرة الإنسان .

إن حقيقة المواطنة هي انتماء الإنسان إلى وطنه الذي يعيش فيه ، وأرضه التي تربى عليها وترعرع في خيراتها ، وهي ليست مجرد علاقة بين فرد أو جماعة وبين الدولة وحسب ، ولكنها دعوة إلى التمتع بالحقوق ، وأداء الواجبات ، والعيش ، والتعامل المشترك من خلال المشتركات الإنسانية بين جميع أبناء الوطن الواحد على اختلاف ألوانهم ، وأجناسهم ، ومعتقداتهم ، وثقافاتهم.

ولقد تجسَّد مفهوم المواطنة من خلال وثيقة المدينة التي كانت بمثابة الدستور الأول المنظم للعلاقات بين البشر ، والتي تعد أفضل أنموذج في فقه التعايش السلمي بين البشر جميعًا على اختلاف أديانهم وأعراقهم ، لذا حققت نجاحًا على أرض الواقع ، فحينما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وجد بها مزيجًا إنسانيًّا متنوعًا من اليهود والوثنيين والمشركين ، فلم يقم (صلى الله عليه وسلم) بعزلهم عن المجتمع أو إقصائهم أو المصادرة على عقولهم ، وإنما دعاهم إلى الإسلام، فمَنْ أبى منهم الدخول فيه ؛ ترك له النبي (صلى الله عليه وسلم) حرية الاعتقاد ، مع توفير الأمن والأمان له ، ومعاملتهم معاملة إنسانية كريمة ، والواقع خير شاهد على أن الدول والشعوب التي

أرست قيم المواطنة والتزم أفرادها بما عليهم من واجبات وتمتعوا بما لهم من حقوق في إطار التعايش السلمي هي أكثر الدول أمنًا وأمانًا وتقدمًا اقتصاديًّا وعلميًّا وتحقيقًا للاستقرار والعدل ، وأن الدول التي دخلت في فوضى الصراعات الدينية ، أو العرقية ، أو القبلية ، أو المذهبية ، واشتعلت فيها نيران العصبية قد ذهبت إما إلى تفكيك وانقسام وقتل وتشريد ، أو إلى سقوط لا قيام منه .

على أن المواطنة تتضمن حقوقًا وواجبات : فمن حقوقها :

* **حرية العقيدة والعبادة** وممارسة الشعائر الدينية لكل أبناء الوطن الواحد، فقد أعطى الإسلام لكل إنسان الحرية في اختيار الدين الذي يعتقده ويؤمن به ، دون إكراه أو إجبار ، وأساس هذه الحرية قوله تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، ويقول سبحانه :{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}.

* **كذلك من حقوق المواطنة : المحافظة على الدماء والأموال والأعراض،** والمتأمل في جوهر الشريعة الإسلامية ليلحظ بوضوح أنها قد جاءت لتحقيق مصالح العباد بالأمن والاستقرار ، فالأمن على الحياة مطلب إنساني أكد عليه الإسلام حتى مع غير المسلمين ؛ لذا جعل الله (عز وجل) قتلَ نفسٍ واحدةٍ بمثابةِ قتلٍ للناسِ جميعًا ، فقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّن رَجُلاً عَلَى دَمِهِ ، ثُمَّ قَتَلَهُ ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا) ، والأمر لا يقف عند حد القتل المادي فقط ،

بل يشمل أيضًا القتل المعنوي في شتَّى صوره وأشكاله ، سواء كان ذلك بالإذلال، أم بالقهر والتعذيب ، أم بسلب الحرية ، أم بغير ذلك من الصور .

وقد نهى الشارع عن أكل أموال الناس بالباطل لحرمتها ، فأوجب قطع يد السارق ، حفاظًا على المال من الضياع والسرقة ، وحذر الأمة من أن يأكل بعضهم مال بعض ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ}.

وكذلك حفظ الشارع للأعراض حرمتها فأوجب صيانتها ، وتوعد المخالف باللعنة فقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ويقول سبحانه في شأن الخوض في الأعراض : {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}، كذلك نهى الشارع عن الاقتراب من الفاحشة ، فقال تعالى : {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}.

* ومن حقوق المواطنة أيضًا : **العدل والإنصاف بين أبناء الوطن الواحد** في ضوء أسس المواطنة المتكافئة والتعايش السلمي واحترام الحقوق والواجبات المتبادلة تجاه الوطن والمواطن ، وقد جاء الإسلام بحفظ الحقوق وصيانتها لتحقيق العدل المأمور به ، قال تعالى : {إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}، وقال تعالى: { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}، والإنسان مطالب بأن يعدل حتى مع أعدائه ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتّقْوَى}.

وكما أن المواطنة تمنح المواطنَ حقوقًا فإنها تلزمه ببعض الواجبات ، منها :

* **التضحية من أجل الوطن** ، فالتضحية من أجل الأوطان علامة على حبها ، وحب الوطن ليس كلامًا ، أو ادعاءً ، أو مجرد شعاراتٍ رنانةٍ ، إنما هو فطرةٌ صادقةٌ تظهر في إخلاص العمل ، والتضحية بكل غالٍ ونفيسٍ .

وللتضحية صورٌ متعددة ، منها : التضحية بالنفس ، وهي أعلى وأغلى صور التضحية من أجل المحافظة على الأوطان ، فحراسة الأوطان والدفاع عنها واجب شرعي وضرورة وطنية عدّها الشرع من أفضل الأعمال عند الله (عز وجل) ، وقد بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) حراس الوطن الذين يضحون بأنفسهم دفاعًا عن الوطن بقوله : (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) .

وجدير بالذكر أن هناك فرقًا بين التضحية بالنفس في سبيل الدين والوطن وبين من يفجر نفسه لإيذاء الآخرين ، فليس هناك شرع يبيح أو يجيز ذلك ، فمفجر نفسه سواءٌ أصاب غيره أم لم يصب منتحر ، يعجل بنفسه إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.

* **كذلك من واجبات المواطنة: العمل الجاد المثمر** ، واستثمار ثروات الوطن من أجل تحقيق نهضته وازدهاره ، ولن يتحقق ذلك إلا برجال مخلصين قادرين ، يشاركون في تشجيع الاستثمار ، وتنمية المجتمع ، وفي الوقوف بجانب الفقراء والمحتاجين ، فهذا واجب وطني ومطلب شرعي يتحتم عليهم أن يقوموا به ، قال تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى

اللَّهِ سُرُور تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا...).

* **ومنها : تقديم مصلحة الوطن العامة على المصلحة الخاصة** والمشاركة في المحافظة على أمنه واستقراره ، والتصدي بحزم لكل حملات التخريب والإفساد ، وهذا لا يكون إلا بوحدة الصف والهدف وأن نكون جميعًا على قلب رجل واحد ، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...}.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الانتماء للوطن يحتم على المواطن الوفاء بكل حقوقه وعهوده ومواثيقه وقوانينه ومن أهمها : الحفاظ على كل من دخل بلدنا سائحًا ، أو زائرًا ، أو مقيمًا ، لأن الإذن الذي يحصل عليه بدخول بلدنا إنما هو بمثابة عهد أمان وضمان من أن يؤذى أو يعتدى عليه بأي نوع من أنواع الاعتداء ، وأن الاعتداء على أي من السائحين ، أو الزائرين ، أو المقيمين ، إنما هو خيانة دينية وطنية وجريمة نكراء .

ونؤكد أن السياح والمقيمين لهم جميعًا أمان الله وأمان رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأمان الوطن ، ولهم حق الحماية الكاملة ، وأن الاعتداء على أي منهم قولًا أو فعلًا أمر يرفضه الشرع الحنيف ويجرمه القانون ، ويستوجب أشد العقوبات ، فقد أمرنا الله تعالى بالوفاء بالعقود ، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}، وقال سبحانه : {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً ، أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا) ، وتوعد النبي (صلى الله عليه وسلم) كل من خالف ما عاهد الناس عليه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن رب العزة سبحانه : (ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَي مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ).

ومن ثمّ فإن التعامل مع السائحين والمقيمين والزائرين لبلادنا ينبغي أن يكون بالحسنى ، مع وجوب حمايتهم وكفِّ الأذى عنهم ، لأن الخروج على ذلك إنما هو خروج على مقتضيات الشرع والوطنية والإنسانية السوية.

* * *

قيمة العمل في الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد حثَّ الإسلام على عمارة الأرض واستخراج كنوزها ؛ تحقيقًا للبناء والتعمير ، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، أي : طلب منكم عمارتها وإصلاحها ، والنظر فيما أودع فيها من خيرات وما قدر فيها من أقوات.

ولقد اهتم الإسلام بوسائل عمارة الكون ، فحث على الضرب في الأرض والسعي في مناكبها ، والتنقيب عن موارد الرزق في البر والبحر ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ).

هذا وللعمل في الإسلام مكانة عظيمة ، حيث جاء الأمر به من الله (عز وجل) بعد الأمر بالصلاة ، فقال الحق سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي ، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)، وكذلك أباحه الإسلام في كل وقت ، فقال (عز وجل) : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ...}، ولقد عرف الصحابة (رضي الله عنهم) قيمة العمل فقاموا به خير قيام ، فلم يتكاسلوا أو يتواكلوا ، فهذا عُمر بن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قد لَقِيَ نَاسًا لا يعملون ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟. قَالُوا : نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ: بل أَنْتُمُ الْمُتَوَاكِلُونَ ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الأَرْضِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ).

ولأهمية العمل من أجل البناء والتعمير جاءت آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة زاخرةً بالحديث عنه، فحثت على الجدِّ والاجتهاد والعمل والبناء ، وترك الخمول والكسل ، وبينت أن العمل سبيل لحفظ ماء الوجه والرفعة والعزة والكرامة الإنسانية، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام ، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله ، ولا تكونوا عيالًا على المسلمين.

ولقد بين الإسلام الحنيف أن من يسعى على كسب معاشه ورزق أولاده من حلال فهو في درجة المجاهد في سبيل الله تعالى ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ !! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ

يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ).

كما رغَّب الإسلام في العمل من أجل نهضة الوطن ورفعته ، وتقدمه وازدهاره ، فحثَّ المسلم أن يكون عاملًا معطاءً معمرًا في الأرض ولو لم يدرك ثمرة هذا العمل ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) ، كما بين النبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) قيمة العمل وأهميته ، حيث كان يعمل بنفسه ، ويقوم على خدمة أهله ، قالت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) (يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ مَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ) .

على أن العمل الذي أمر به الإسلام ، ورغب فيه يشمل جميع مجالات الحياة مالم يكن حرامًا ، ففي مجال الزراعة حثَّ الإسلام على العمل ورغب فيه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ - يأخذ منه أحد فينقص- إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)، وقال أيضًا : (مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ مِنَ الأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْغَرْسِ) ، وفي مجال استصلاح أرض الموات قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ مِنْهَا أَجْرٌ وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي - كلُّ طالب رزْقٍ من إنسانٍ أو بَهِيمةٍ أو طائرٍ- مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ) ، فنحن في حاجة ماسة إلى العمل في استصلاح الأرض وزراعتها ، رغبة في الأجر ، وسدًّا للفجوة الغذائية الكبيرة بين ما ننتجه وما نستورده من الخارج ،

وقد أحسنت الدولة صنعًا حين قامت باستصلاح مليون ونصف المليون فدان ؛ لكي تزيد الرقعة الزراعية لبلادنا الحبيبة.

وقد كان لكل نبي عمله وحرفته ، فكان سيدنا نوح (عليه السلام) نجَّارًا ، وكان سيدنا داود (عليه السلام) حدَّادًا ، وفيه قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) عمل بالتجارة ورعي الغنم، وعلى منهجه (صلى الله عليه وسلم) في الحث على العمل وضرورة إتقانه سار الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) من بعده ، والتابعون من بعدهم ، وكان الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول:

لحمل الصخر من قمم الجبــــال *** أحــب إليّ من منن الرجـــــال

يقول الناس لي في الكسب عيب *** فقلــت العيــب فــي ذل السؤال

فبالعمل الجاد المشروع يكفي الإنسان مؤنة نفسه ومن يعول ، من خلال الحصول على المال الحلال الذي هو عصب الحياة ، ويقي نفسه من عقاب ربه ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) ، وفي رواية : (كَفي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ).

ولم يكتف الإسلام بدعوته للعمل فحسب كقيمة شرعية وضرورة وطنية ، وإنما دعا إلى إتقانه ، ويعدُّ ذلك أمانة ومسئوليَّة في عنق العامل والصانع ، أو الموظف ، وسائر ما يكلف به الإنسان من أعمال أيًّا كان نوعها، صانعًا ، أو زارعًا أو طبيبًا، أو مهندسًا، أو معلمًا، أو إداريًّا، أو غير ذلك ، فليس المطلوب في الإسلام القيام بالعمل فحسب، بل لا بُدَّ من الإخلاص والإتقان والإجادة فيه وأدائه بكل أمانة ؛ فذلك سبب للوصول إلى محبَّة الله تعالى، ومن أحبه الله هداه واجتباه ، وحفظه ووقاه ، وأسعده في الدنيا والآخرة ، يقول النبي (صلَّى

الله عليه وسلَّم) : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) ، فهذا يعني أن إتقان العمل عبادة قبل أن يكون وفاءً بحق صاحب العمل، فنعامل الله تعالى في أعمالنا وعلاقاتنا قبل أن نعامل العباد ، وفسر بعض العلماء قوله تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} بأن أصلح العمل أخلصه وأتقنه .

ونؤكد أنه بالعمل المتقن نتبوأ الصدارة بين الأمم ، ولنعلم أن النجاح والإصلاح في الدنيا مرتبط بالعمل ، فارتباط السعادة والفوز بالعمل الصالح ليس مقصورًا على الآخرة وحدها ، فلا يخيب سعي ساعٍ ، ولا جهد مجتهد في الدنيا ، يقول الله تعالى:{إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَات إِنّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، فمن عمل أُجر ومن قعَد حُرم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام** :

لقد حث الإسلام على العمل ورغَّب فيه وحارب البطالة ، وحثَّ على النشاط واستثمار الطاقات المعطلة ، خدمة للدين ورفعة للوطن ، حتى يتم القضاء على البطالة والكسل وكل المظاهر السلبية التي لا تليق بأمة الإسلام التي أقامت أعظم حضارة عرفتها الإنسانية ، وهذا أنموذج في غاية الروعة للحث على العمل ومحاربة الكسل والبطالة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : أَمَا

فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ : ائْتِنِي بِهِمَا ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) عُودًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا ، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ).

وجدير بالذكر أن الإسلام بتعاليمه السمحة وتشريعاته الحكيمة حارب كل مظاهر الكسل التي لا تساعد على البناء والتعمير ، بل واعتبر الكسل صفة ذميمة يمتد خطرها إلى أفراد المجتمع ؛ لذلك استعاذ منه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ) ، وقد قرن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في استعاذته بين الكسل والعجز ؛ لأنهما قرينان فكل منهما يؤدي إلى التثاقل عن إنجاز المهمات المطلوبة من الشخص إنجازها ، ويقول الإمام علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " التواني مفتاح البؤس ، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ، ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد ".

إن الأمـة اليـوم أحـوج ما تكون إلى العمل الجاد ، واستثمار الطاقات المعطلة وتعظيم الموارد ، وترشيد الاستهلاك ، وهذا هو عين ما كان يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويوجه الأمة إليه فيستثمر كل شيء فيه نفع يعود بالخير على صاحبه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : تُصُدِّقَ عَلَى مَوْلاَةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (هَلاَّ أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ) فَقَالُوا : إِنَّهَا مَيْتَةٌ ، فَقَالَ : (إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا) ، فالعمل يرفع من شأن صاحبه ، ويجعله عزيزًا مكرمًا بين أقرانه ، رافعًا هامته عالية لا يخفضها إلا لربه ، وتواضعًا لخلقه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ)، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟. قَالَ: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلاَءِ لِمَا لاَ يُطِيقُهُ)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرٌّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام ، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا : فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله ، ولا تكونوا عيالًا على المسلمين.

ويكفي العمل شرفًا أنه يعصم صاحبه من الحاجة إلى ذل السؤال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ - جمع الكدح وهي الخدوش- يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ) ، قَالَ: (مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله).

* * *

العمل التطوعي
أهميته وضوابطه

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من أهم سِمات المُجتمعات الراقية أن تكون مترابطة، متماسكة في بنيانها ، يشد بعضها بعضًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)، فالمُجتمع القوي هو ما يكون كالبنيان الواحد في ترابُطه وتعاونه ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، فعند الشدائد تظهر معادن الرجال ، ونحن في حاجة إلى التعاون والتكافل والتكامل والعمل التطوعي أكثر من أي وقت مضى.

ولا شك أن قضاء حوائج الناس باب واسع من أبواب الفضل ، لما فيه من تقويةٍ لروابط الأخوة ، وتنمية للألفة والمحبة بين الناس ، يقول سبحانه: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ) ،

ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

والمتأمل في ديننا الإسلامي الحنيف يجد أنه دين يأمر بكل ما فيه صلاح الفرد والمجتمع ، فحثَّ على العمل التطوعي ، ودعا أتباعه إلى فعل الخير ، والتسابق إليه ، والمسارعة فيه ، بعيدًا عن الفردية أو الأنانية أو السلبية ، يقول الحق سبحانه:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ويقول (عز وجل): {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}،كما حث على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، يقول سبحانه:{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}. ويقول (عز وجل) في صفات المؤمنين:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

وقد أرشدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أهمية العمل التطوعي وبين مكانته بدعوة صريحة إلى بذل الفضل الذي يأتي بالخير ، والذي يعود نفعه على الإنسان ، فيقول (صلى الله عليه وسلم): (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّك إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَك وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَك وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحرص على متابعة أصحابه في فعل الخير ، وخدمة الناس والسعي في مصالحهم ، وقضاء حوائجهم فيسأل عمن فعل واستجاب ، وعمن حرص واقتدى ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى

الله عنه) : أَنَا. قَالَ : (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا) ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

فالعمل التطوعي يرفع عن الناس تعب الحياة ويفرج كربهم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)، ولما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحبّ إلى الله (عز وجل)؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ (يعني المسجد النبوي) شَهْرًا ...).

ولا يقتصر الأمر على التطوع بالمال وحده ، وإنما يتعدى إلى مجالات متنوعة ، منها : **السعي على الضعفاء والمحتاجين** كالأرامل والمساكين واليتامى وغيرهم، يقول النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْل الصَّائِمِ النَّهَار).

ومنها: **المنافسة في الخيرات** ، ولو تأملنا حياة الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) لوجدناها زاخرة بالبذل والعطاء وفعل الخير والتضحية في سبيل الله ، بل إنهم ضربوا أروع الأمثلة في ذلك ، فقد كانوا يسارعون ويتنافسون في هذا المجال ، فها هو عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) يقول: (أَمَرَنَا رَسُولُ

الله (صلى الله عليه وسلم) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا).

وقد كان عمر (رضي الله عنه) يتعاهد الأرامل فيسقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة يدخل بيت امرأة بالليل، فدخل إليها نهارًا فإذا هي عجوز عمياء مقعدة فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندكِ ؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك يا طلحة! عثرات عمر تتبع!!.

ولا ننسى موقف الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وعمله التطوعي بتجهيز جيش العسرة ، وشراء بئر رومة ، وذلك حين قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَن يحْفِرُ بئرَ رُومَةَ فلهُ الجنةُ)، فحَفَرَها عثمانُ. وقالَ : (مَن جَهزَ جيشَ العُسْرَةِ فلهُ الجنةُ)، فجهَّزَهُ عثمانُ (رضي الله عنه)، ولكل عصر أمة ورجال.

إن العمل التطوعي دليل على الإيجابية التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، والتي تعني الشعور بالمسئولية والمشاركة الفاعلة في المجتمع بالتوجيه والإصلاح والارتقاء بالفرد والوطن ، ومن ثم يتحقق فيه قول الله تعالى : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

إن دروب العمل التطوعي كثيرة ، تشمل جميع مناحي الحياة من

إطعام الجائعِ وكساء العاري ، وتعليم الجاهل ، وإنظار المعسر ، وإعانة العاجز ، وقضاء حوائج ذوي الاحتياجات الخاصة ، والحفاظ على المرافق العامة للدولة والإسهام في صيانتها ، كل ذلك تطوع بالخير ، وتكافلٌ في المنافع ، وتضامنٌ في التخفيف من المتاعب ، وتأتي مجالات الرعاية الاجتماعية والصحة والتعليم في مقدمة مجالات العمل التطوعي التي ينبغي أن تنال رعايتنا واهتمامنا . فما أحوجنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير، واعية بحقِّ ربِّها عالمة بحقوقِ من حولها ، في حاجةٍ إلى أن نتآلف من أجل أن نعيش إخوة متحابين آمنين.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإسهام في خدمة المجتمع بالعمل التطوعي وخاصة وقت الأزمات والشدائد والمحن له أجر كبير عند الله سبحانه وتعالى ، حيث وعد سبحانه وتعالى أهل الإيمان المسارعين إلى فعل الخيرات بجنة عرضها السموات والأرض ، فقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

وللعمل التطوعي عدة ضوابط لا بد منها حتى تتحقق ثمرته، ومن ذلك :

- **إخلاص العمل لله (عز وجل)** ، وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}. فلابد وأن يكون العمل التطوعي خالصًا متقنًا ، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه ، بحيث لا يوظف العمل التطوعي لمكاسب سياسية أو حزبية أو طائفية ، أو لصالح جماعة ، أو أية مصالح خاصة على نحو ما تفعل بعض الجماعات التي تتاجر بدين الله وبحوائج الناس.

ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يصاحب العمل التطوعي أو يتبعه مَنٌّ ولا أذى ، سواء أنفق من المال أم الجهد ، يقول سبحانه:{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

- **أن يكون العمل قائمًا على مرضاة الله** (عزّ وجلّ) وخدمة المجتمع، نافعًا محققًا العفاف والكفاف لأفراد المجتمع.
- **أن يكون العمل وفق الأطر القانونية المشروعة** حفاظًا عليه من المتلاعبين والمستغلين وأصحاب الأغراض، وبهذا يحقق العمل التطوعي التكافل والتكامل بين أفراد المجتمع ، ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يتوانى الإنسان في العمل التطوعي وفي فعل الخير الذي يعود بالنفع على الناس ، بل ولا يحتقر أي صنيع من صنائع المعروف حتى ولو كان قليلا أو صغيرًا فله فيه أجر ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ).

* * *

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الصدق من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّب فيها ، فهو جماع كل خير ، به يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، قال تعالى :{فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}، لذا أمر الله (عز وجل) به أهل الإيمان ، فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وكذلك أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).

والصدق كذلك طريق الفائزين وصفة من صفات المتقين، قال تعالى:{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وهو سبب النجاة من أهوال يوم الدين ، قال تعالى:{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ولمنزلة الصدق وبيان مكانته عند الله (عز وجل) جعل الله تعالى الصديقين

مع النبيين في المنزلة ، فقال تعالى:{... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، وهو أحد أمور ستة إذا حُفظت ضمن النبي (صلى الله عليه وسلم) لصاحبها الجنة ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)، ولله در من قال:

أصدق يريك إله العرش جنته **** يوم المعاد ولا تولع بتكذيب

إن الصدوق لدى الرحمن منزله *** دار الخلود بلا موت وتعذيب

وكما أن الصدق من الصفات المحمودة فالكذب من السلوكيات المذمومة التي حذَّر منها القرآن الكريم ، فهو علامة من علامات النفاق ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) ، فاقتران الكذب بالخيانة دليل على شدة حرمته ، ولقد نفى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الكذب عن المؤمن ، حين سئل: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ فَقَالَ : (نَعَمْ) فَقِيلَ لَهُ : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلاً ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟ فَقَالَ: (لاَ). وما ذاك إلا لأن الكذب صفة ذميمة تعرض الإنسان لعقاب الله (عز وجل) ، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}، وقال سبحانه:{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}.

وجدير بالذكر أن الصدق له مجالات متعددة ، منها : تحري الصدق في المعاملات المالية ، فإن الصدق في البيع والشراء يورث البركة في كل شيء ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى

يَتَفَرَّقَا ـ فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) .

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعلو منزلة ودرجة التاجر الصدوق الأمين في بيعه وشرائه ، فقال: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا، وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا، وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا ، وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَذُمُّوا، وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا). والتاجر الصدوق في ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، قال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وقد اشتغل النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالتجارة حينًا من الدهر مع أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) ، فكان خير مثال للتاجر الصادق الأمين في بيعه وشرائه وسائر أحواله ، فعَنِ السَّائِبِ بن أبي السائب (رضي الله عنهما) قَالَ : (أَتَيْتُ النبي (صلى الله عليه وسلم) فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا أَعْلَمُكُمْ) يَعْنِي بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لاَ تُدَارِي وَلاَ تُمَارِي) أيْ : لا تُخْفِي عيبًا في سلعة ولا تُجادِل بالباطل، وجاء في مكاتبته (صلى الله عليه وسلم) للْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدٍ (هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدٍ ، بَيْعَ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمَ ، لاَ دَاءَ ، وَلاَ خِبْثَةَ ، وَلاَ غَائِلَةَ) ، والخِبثة نوع من أَنْوَاع الْخبث ، وَقيل: المُرَاد الْأَخْلَاق الخبيثة ، (وَلَا غائلة) أَي: وَلَا فجور ، وقيل: معنى الغائلة : الحيلة ، أي : لا حيلة عليك في هذا البيع. ونفي هذه الأشياء بيان بأن المبيع سالم عنها وليس فيه كتمان شيء من ذلك.

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة لصدق وأمانة متعاقدين فحلت بسببهما البركة والألفة وتحقق الود المطلوب تحقيقه بين المسلمين، فقد قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر التجار بالصدق والأمانة ، ويحذرهم من سوء العاقبة لمن كذب وخان في معاملاته مع الناس ، فقد خَرَجَ (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ) ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ : (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا ، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ) .

وكما رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) التجار في الصدق حذرهم من خطورة الكذب في البيع والشراء ، وخاصة من يروج بضاعته بالحلف الكاذب ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه : (إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ) ، وهذا يدل على أن التاجر المسلم يجب أن يتحرى الصدق

ويتحلى به في معاملاته ، وأن يكون قدوة حسنة لغيره ، ولقد حدثنا التاريخ عن بلاد فتحها المسلمون ودخل أهلها الإسلام دون قتال ، ولكنها فُتحت ببركة صدق التجار المسلمين وأمانتهم ، وحسن أخلاقهم ،كبلدان جنوب شرق آسيا كأندونيسيا وماليزيا والفلبين وغيرها ، فالصدق والأمانة في التجارة مِنْ أهم العوامل التي تَجْلِبُ الثقةَ وتحقق التوادَّ ، وتنشر الخير ، بينما الكذب والخِداع في التجارة مِنْ أكبر معاول الهدم في بنيان الاقتصاد الوطني ، فيبدد الثقة ، ويمحق البركة ، وهو نذير شؤم لهلاك المجتمعات كما أهلك من كان قبلنا ، ومِنْ أجْلِ ذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما) لأصحاب الكيل والوزن: (إنّكم قد وُلِّيْتُمْ أمْرًا فيه هَلَكَتِ الأممُ السالِفةُ قَبْلَكُمْ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن التجارة في الإسلام تحكمها قيم أخلاقية وضوابط شرعية ينبغي على التجار التحلي بها، فقضية البيع والشراء في الإسلام قائمة على أسس الصدق، والأمانة، والعدل، والرضا والقبول، والتراضي بين المتعاقدين ، والوضوح التام، بعيدًا عن الكذب والخيانة ، والظلم والغرر ، واستغلال حاجات الناس، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لأَلْقِيَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ).

والتاجر الصدوق هو الذي يكشف للمشتري ما في السلعة من عيب ، إذ لو كتمها لكان كاذبا في بيعه ظالما لنفسه ولغيره ، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك قائلاً : (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ).

ألا فليعلم كل تاجر كَذِبَ في بيعه ليحقق ربحا من حرام أن هذا المال الحرام لا ينتفع به أبدًا ، بل فيه هلكته وخسارته في الدنيا والآخرة ، حتى ولو كان إنفاقه في وجوه الخير ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ مَأْثَمٍ، فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جُمِعَ ذَلِكَ جَمْعًا، فَقُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ).

ولقد تبرأ الإسلام من كل صور الكذب والغِشّ والخداع التي تصدر من بعض التجار بغير حق ، سواء بالثناء عَلى السلعةِ بالباطل ، أو بِكِتْم عيوبها، أو بتطفيف كيلها ووزْنِها ، وهذا ما وضحه النبي الأمين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقَالَ: أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ ثُمَّ قَالَ : (مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنّا)، إنه تحذير من النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحاب الضمائر الفاسدة التي لا تراقب ربها سرًّا ولا علانية ، وتحذير لكل من تسول له نفسه الخبيثة غش الناس وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل .

فالصدق في البيع مِن الأخلاق الكريمة ، والقيم النبيلة والسلوك القويم التي

يتقدم بها المجتمع ، وهذه أخلاق المؤمن الحق الذي يراعي حقوق العباد في بيعه وشرائه ، فتكون تجارته نافعة ، ومكسبه طيبًا حلالاً ، فيسعَد في دنياه وأخراه ، أما الكذب والخداع والتدليس والغش وغيرها فهي من الأخلاق السيئة ، ومن الأساليب الخبيثة التي ينبغي على كل تاجر أن يترفّع عنها طاعةً لربّه، وصيانة لعرضه ودينه، ومحافظة على أموال الناس كما يحافظ على ماله ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

* * *

حرمة المال العام
وثواب صيانته وتنميته

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد :

فإنَّ المال نعمة جليلة أنعم الله (عز وجل) بها على عباده لتستقيم به شئون حياتهم ومعاشهم ، فهو أحد ركني زينة الحياة الدنيا ، كما قال الحق سبحانه وتعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً} ، فالمال عصب الحياة الإنسانيَّة ، به يؤدي الإنسان رسالته ، وبه يقضي حاجاته ، ولا يمكن أن يعيش المرء عيشة كريمة بدونه ، لأنه من خلاله يستطيع الإنسان أن يحقق الخير لنفسه ولمجتمعه ، ومن هنا تحدث القرآن الكريم عن المال وأهميته ، فوصفه بأنه خيرٌ جُبِلَ الإنسان على حبه ، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ، ولله درُّ القائل:

بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ *** لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ

ومع أنَّ المال اكتسب هذه الأهمية ، إلا أن الإسلام جعله وسيلة لا غاية، وسيلة للبر والصلة والتكافل بين المسلمين ، وسيلة للصلاح والإصلاح ، وسيلة لدعم قضايا الوطن ، فالمال وسيلة ، إذا استخدم في الصلاح كان نعمة ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي

يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) ، وإذا استُخدم في الفساد والإفساد كان وبالًا ، وشقاءً وتعاسةً على صاحبه ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شيكَ فَلاَ انْتَقَشَ) أي : (إذا أصابته الشوكة فلا أخرجت منه بالمنقاش) ، ومن ثم فلا يجوز للإنسان أن يجعل المال غاية في حياته.

والمال إما أن يكون مالًا عامًّا أو خاصًّا ، فالمال العام هو ما تملكه الشعوب من الأعيان والمنافع مما لا يقع تحت ملكية فردية ، والمال العام ركيزة الأمم به تُدير شُئونَها، وتقيم مؤسساتها ، وتحفظ أرضها ، وتقدم خدماتها ، وترتقي بأفرادها ، وتسهم من خلاله في بناء الحضارة الإنسانية ، وبه تطعم الجائع ، وتكسو العاري ، وتداوي المريض ، وتعلم الجاهل ، وتنشر الخير والأمن والاستقرار في جنباتها.

ولأهمية المال العام جعل الإسلام حِفْظَه مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء التي عُنيت بتنظيم حركته في المجتمع ، ولم تترك طريقًا يحفظ موارده ، ويصون حرمته إلا سلكته مثل حماية المال الخاص ؛ بل إن حرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص ؛ لكثرة الحقوق المتعلقة به ، وتعدد الذمم المالكة له ، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه أو سرقته أو الإضرار به ، قال تعالى : {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}.

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية من الأحكام والمبادئ التي تكفل حماية المال والحفاظ عليه وتنميته وتحريم الاعتداء عليه ، وطلبت من الفرد حماية ماله حتى ولو استشهد في سبيله.

فالمال العام مِلْكٌ للناس جميعًا ، وليس مِلْكًا لفِئَة معيَّنة منهم ، والقائمون عليه إنَّما هم أُمَناء في حِفْظه وتحصيله ، وصَرْفه لأهْله ، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه ، أو يأخُذَ منه ما لا يستحقُّ ، لأن ذلك يعد خيانة وظُلمًا واعتداءً على الناس جميعًا.

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة في الحفاظ على المال العام ، حيث جاء في الحديث أن رجلًا سرق شملةً من الغنيمة قبل تقسيمها – وهي مال عام – فبيَّن (صلى الله عليه وسلم) أنه يتقلب في النار بسببها ، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (رضي الله عنه) : أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قِيلَ لَهُ فِي رَجُلٍ كَانَ يُمْسِكُ بِرَأْسِ دَابَّتِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ: اسْتُشْهِدَ فُلَانٌ ، فَقَالَ : (إِنَّهُ الْآنَ يَتَقَلَّبُ فِي النَّارِ) قِيلَ: وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: (غَلَّ شَمْلَةً يَوْمَ خَيْبَرَ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَذْتُ شِرَاكَيْنِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ: (شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ). والغَلُول معناه : السرقة في خفية من المتاع من خلف الإمام ، وهو السرقة من المال العام ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَمَنْ انْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا) .

ولقد تربى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الحفاظ على المال العام ومراعاة حرمته ، فها هو سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حين حضرته الوفاة قال لابنته: (يَا عَائِشَةُ انْظُرِي اللِّقْحَةَ الَّتِي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا ، وَالْجِفْنَةَ الَّتِي كُنَّا نَصْطَبِحُ فِيهَا ، وَالْقَطِيفَةَ الَّتِي كُنَّا نَلْبَسُهَا ، فَإِنَّا كُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حِينَ كُنَّا فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا مِتُّ فَارْدُدِيهِ إِلَى عُمَرَ) ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَى عُمَرَ (رضي الله عنه) ، فَقَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه) : "رَضِيَ اللهُ عَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ".

وعلى دربه سار الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في خلافته ،

حيث سار بالمسلمين أعظم سيرة محافظًا على المال العام مراعيًا حرمته ، فقال (رضي الله عنه): " إنّي أنزلت مالَ الله – تعالى– مني بمنزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت".

ودَخَلَ عُمَرُ (رضي الله عنه) يومًا السوق ، فَرَأَى إبلاً سِمَانًا ، فقال: لِمَنْ هَذِهِ الإِبِلُ؟ قِيلَ : لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بَخٍ بَخٍ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَجِئْتُهُ أَسْعَى ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : مَا هَذِهِ الإِبِلُ؟ قَالَ قُلْتُ : إِبِلٌ أَنْضَاءٌ (هزيلة) اشْتَرَيْتُهَا وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى الْحِمَى أَبْتَغِي مَا يَبْتَغِي الْمُسْلِمُونَ قَالَ : فَقَالَ – فوالله ما سمنت إلا باسم أمير المؤمنين ، إذا رعت هنا أو هناك قالوا –: ارْعُوا إِبِلَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْقُوا إِبِلَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ اغْدُ عَلَى رَأْسِ مَالِكَ وَاجْعَلْ بَاقِيَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وكما أمر الإسلام بضرورة المحافظة على الأموال العامة ، حذَّر أشد التحذير من الاعتداء عليها أو تضييعها أو إفسادها بأي صورة من الصور ، فقد رأينا صورًا عديدة للاعتداء على المال العام : **ومنها : الاعتداء على المرافق العامة** ، كالطرق العامة ، أو المدارس ، أو المستشفيات ، أو وسائل المواصلات، أو شبكات المياه ، أو الكهرباء أو الصرف الصحي ، وغير ذلك ، فكلها مرافق عامة ، فالواجب علينا المحافظة عليها وحمايتها والعمل على تنميتها وتطويرها؛ لأنها ليست لفرد دون فرد ، ولا لجماعة دون جماعة ، بل هي لنا جميعًا وللأجيال القادمة ، ويعتبر الاعتداء عليها اعتداء على مجموع الأفراد والمجتمع ؛ لأن الذي يسرق من المال العام يسرق من الأمة كلها ، وعليه إثم كل من له حق فيه فسرقته أعظم جرمًا من سرقة المال الخاص .

ومنها : عدم الوفاء بحق الخدمات العامة كالكهرباء ، أو الماء ، أو الغاز

ونحـو ذلـك ، أو التلاعـب في عـداداتها ، أو الامتنـاع عـن سـداد فواتيرهـا المستحقة ، فمـن يفعـل ذلـك فهـو آكـل للسحت ، مخـل بـالعقود الـتي أمـر الله سبحانه وتعالى بالوفاء بها ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُـوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}، فهذه الآية الكريمة عامة تشمل كل العقود والعهود والالتزامات التي يلتزم بها الإنسان مع غيره ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلًا ، أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا).

ومنها : الاعتـداء علـى أمـلاك الدولـة استيلاءً ، أو إفسادًا ، أو إضاعةً ، أو تقصيرًا فيما كلف به الإنسان مـن الحفـاظ عليهـا ، وهكـذا يحـذر الإسـلام أتباعـه من الاعتداء على المال العام بأي وسيلةٍ كانـت ، ويحـثهم بالعمـل علـى حفظـه وصيانته من الفَساد ؛ حتـى يـؤدِّي المـال دورَه باعتبـاره قيمـةً لا غِنـى عنهـا في حِفْـظ نظـام الحيـاة الإنسـانية ، فمـن خـالف ذلـك فهـو داخـل في وعيـد قولـه سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُـونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَـلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن المال العام أمانة عند كل فرد من أفراد المجتمع سواء أكان مسئولًا عنه أم مستخدمًا له ، فيجـب عليـه أن يحـافظ علـى تلـك الأمانـة ، وأن يرعاهـا ،

وأن يردها كاملة غير منقوصة ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ، ومن هنا وجب على كل إنسان أن يحترم المال العام وسائر مرافق الدولة من المدارس ، والمعاهد ، والمستشفيات ، والطرق ، ووسائل النقل ، وغيرها من المرافق العامة باعتبارها ملك لجميع الناس ، فعلينا أن نتصدى لكل ألوان التخريب أو الإفساد ، مؤكدين أن المساس بها يعد جريمة شرعية وخيانة وطنية.

لقد بلغ من وبال جريمة الاعتداء على المال العام وسوء مصيرها أنها تمحق ما للشهيد من فضل– رغم عظمة مكانته وعلو شأنه عند الله (عز وجل) – فكيف بمآل مَن تقاصرت بهم الهمم ، وتفرقت بهم السبل ، ففرطوا في المسئوليات واتبعوا الشهوات ، ويأتي من استباح المال العام وأخذه بغير حقه يوم القيامة يحمل ما أخذه على كتفه فيفضحه الله (عز وجل) على رءوس الأشهاد ، ويتبرأ منه سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ) ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ ، يَقُولُ : (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ) .

إن الحفاظ على المال العام لا يقف عند حدِّ الوفاء بحقه ، أو عدم الإهمال في شأنه ، وإنما يجب أن نتحول إلى العمل الإيجابي بالحفاظ على هذا المال كمالنا الخاص وزيادة ، وأن نعمل على صيانته وحفظه من الضياع ، وعلى حسن استخدامه واستثماره على الوجه الأكمل إن كان في نطاق الاستثمار ، وعلى الجملة يجب أن يتعامل الإنسان مع المال العام في مجال

الحفاظ عليه وحسن استثماره كما يتعامل مع ماله الخاص وأشد ، ذلك أنه لو قصر في حق ماله الخاص لكان مردود التقصير عليه وحده ، أما لو قصر في حق المال العام فالخسارة أفدح والمسئولية أشد ، والإثم أكبر .

* * *

حماية الأوطان وسبل بنائها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز على لسان يوسف عليه السلام: { ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من أعظم نعم الله (عز وجل) علينا أن جعل لنا وطنًا نعيش فيه آمنين مطمئنين ، ومن حق هذا الوطن وواجبه علينا أن نحافظ على أمنه وأمانه واستقراره ، وأن نعمل على حمايته ، والدفاع عنه بكل ما أوتينا من قوة حتى نترجم حبنا له إلى واقع معيش وعمل ملموس.

وإذا كان الوطن هو مهد الإنسان ، ومَرتع صباه ، فلا بد أن يشعر الإنسان الصادق بحبه لهذا الوطن ، اعترافًا بجميله ، فيجتهد في حمايته ورفع شأنه ، ويعمل جاهدًا على رفعته ورقيه ، ويردّ عنه كيد الكائدين.

وقد علَّمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حب الوطن في أرقى صوره في مواقف كثيرة ، منها: ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) حين أخرجه قومه من بلده مكة التي وُلد فيها ونشأ وترعرع بين جنباتها ، وهاجر إلى المدينة المنورة، فخاطب مكة متأثِّرًا لفراقها ـ وكأنها عاقل يسمع ويجيب ـ : (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)، وفي رواية : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ).

ومن هنا نؤكد أن حماية الأوطان والمحافظة على أمنها وسلامتها ،

والدفاع عنها واجب على كل إنسان ينعم بالعيش فيها.

وجدير بالذكر أن حماية الأوطان ليست قاصرة على حمل السلاح ومواجهة العدوان والأخطار الخارجية فحسب ، بل هناك وسائل أخرى لحماية الأوطان ، تتمثل في عدم السماح لأحد بالمساس بها أو النيل منها ، أو العبث بها ، أو الإفساد فيها ، أو الكيد لأهلها ، أو ترويع أبنائها ، بل على العكس من ذلك فإنه ينبغي العمل على النهوض بها ، وبنائها في كافة المجالات والقطاعات ، ومن ذلك:

- **البناء الاقتصاديّ** : فلا شك أننا في حاجة إلى أن نتعاون جميعًا من أجل بناء الوطن اقتصاديًّا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالعمل الجاد المثمر ، وزيادة الإنتاج حتى يكون الإنسان في حياته عاملاً معطاء ومعمِّرًا في الأرض حتى يدركه الموت أو تأتيه الساعة ، وقد حثَّ على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا).

ولن تتحقق حماية الوطن اقتصاديًّا إلا بتضافر الجهود للعمل والإنتاج وتهيئة المناخ المناسب للاستثمار ، و منع كل صور الغش ، والاحتكار ، واستغلال حاجة الفقراء ، فهذه كلها أمور تتنافى مع الدين والخلق والوطنية التي تقتضي أن يرعى الناس حقوق بعضهم البعض ، وأن لا يكون كل منهم سببًا في تضييق العيش على الآخر والإضرار بمصالحه ، فهذا أمر محرم في كل الشرائع والأديان ، لما يسببه من نشر للبغض والكراهية بين الناس .

كما أن بناء الوطن اقتصاديًّا يتطلب ترشيد الإنفاق والاستهلاك ، وعدم الإسراف والتبذير ، فقد أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى كل ذلك ، قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ، وقال عز وجل :

{وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}، وعن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ).

• **ومنها**: **البناء الاجتماعي**: الذي يقوم على التعاون المثمر بين جميع أفراده بالمحبة والمودة والاحترام الكامل ، بحيث يتمكن الشباب من الاستفادة من حكمة الشيوخ ، ويستفيد الشيوخ من طاقة الشباب ، فيوجه كل واحد منهما طاقاته إلى ما يعود نفعه بالخير على البلاد والعباد ، وهذا التعاون أحرى ما يكون بين كافة أطياف المجتمع وفئاته وطبقاته.

ويتحقق أيضًا بالمساواة بين جميع أفراده في الحقوق والواجبات ، إذ لا مجال للمجاملة أو المحسوبية ، أو أكل المال بالباطل ، فلا يجوز لأحد أن يأخذ مال غيره بدون حق ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}، كما يتطلب البناء الاجتماعي التراحم والتعاون ، بحيث يرحم الكبير الصغير ، والغني الفقير، فيعود الغني بفضله على أخيه الفقير ممتثلًا لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ).

ولكي يتحقق الحفاظ على الوطن اجتماعيًّا لا بد من أن يتحلى كل أبنائه بالمشاركة الإيجابية في إصلاحه ، والإسهام في النُّهُوضِ به ، فإن الإسلام دعا إلى الإيجابية في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته طوال حياة الفرد منذ نعومة أظفاره حتى نهاية حياته، فالمسلم لا يقف من الأحداث موقف المشاهد فحسب ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا ، يسعى إلى محاربة الفساد

والإفساد والتخريب ، ممتثلاً لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)، فاليد للسلطان ، واللسان للعلماء ، والقلب لعامة الناس ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ).

فما استحق المسلمون الخيرية إلا بإسهامهم الإيجابي في بناء أوطانهم وابتغاء النفع للإنسانية جمعاء ، يقول تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}.

إن المسلم الحق لا ينبغي أن يكون سلبيًّا متكاسلا أو متقاعسًا عن الإسهام في بناء وطنه وحمايته ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا متحملا مسئوليته تجاه مجتمعه ، حتى يسهم في رقيه ورفعته ، فالإسلام لم يعف أحدًا من المسئولية حتى الخادم جعله مسئولاً في مال سيده ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

- **ومنها**: **البناء السلوكي**: ولا يكون ذلك إلا بنشر القيم الخلقية والإنسانية بين جميع أفراد المجتمع ،كالصبر ، والحلم ، والرفق ، والرحمة ، والوفاء، والصدق والأمانة ، وغيرها من مكارم الأخلاق التي هي جوهر رسالة الإسلام ، فقد سُئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال : (حُسْنُ الخُلُقِ)، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاها عناية فائقة ، حين أعلن أن الغاية من بعثته إنما

هي إتمام مكارم الاخلاق، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ).

ومن البناء السلوكي الذي يحمي الأوطان: عدم السخرية والاستهزاء بالآخرين، أو التقليل من شأنهم غمزًا أو لمزًا أو بث الشائعات الكاذبة بين الناس ، قال تعالي:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،ويقول سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} فبهذه القيم الخلقية تُحمى الأوطان وتعصم من كل مظاهر الفوضى والانحلال، وتصان من الضياع ، فسلامة الوطن وقوة بنيانه، وسمو مكانته وعزة أبنائه، بتمسكهم بالقيم الفاضلة والأفعال الحميدة.

*　*　*

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن من وسائل حماية وبناء الأوطان : **البناء العلميّ والفكريّ** ، فلا شك أن ذلك من أهم سبل البناء وتحقيق التقدم لأي مجتمع ، لذلك حرص الإسلام على نشر العلم بين أبناء الأمة ، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، وبعدها نزلت سورة القلم الذي هو أول أداة من أدوات تحصيل العلم ، قال تعالى: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة، كما قال ربنا في كتابه:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

فالعِلم هو أحد أهم أعمدة بناء الأوطان وحمايتها والنهوض بها ، فبه يُقضى على التخلّف والفقر والجهل والأمية وغيرها من الأمور الّتي تؤخّر الوطن ، ولا ينكر أحد أن النمو الاجتماعي والاقتصادي في أي دولة من الدول مرهون بالعلم.

كما أن البناء الفكري يسهم في تنمية العقول وتصحيح المفاهيم الخاطئة ويعمل على حماية المجتمع من أصحاب الدعوات الهدامة والأفكار المتطرفة التي تصدر من مرضى القلوب وضعفاء النفوس ، الذين لا يحبون وطنهم ، بل يعملون على زعزعة أمنه ، وهدم بنيانه وتمزيق أوصاله ، وتفريق كلمته، وليس لهم هدف سوى نشر الفوضى التي تؤدي إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب ، وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع.

فالإنسانُ إذَا أحبَّ وطنَهُ استشعَرَ مسئوليةَ المحافظةِ علَى أمنِه واستقرارِه، ولاَ يستجيبُ لِمَنْ يَسْعَى لِتخريبه مِنَ الأدعياء ، فكم يحتاجُ وطنُنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير ، وكم يحتاجُ وطنُنا إلى جموعٍ متآلفة متعاونة تقية ، تتعاملُ فيما بينها بإحسانٍ وأمانٍ واطمئنان.

* * *

دور المرأة في بناء المجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن البشرية لم تعرف دينًا ولا حضارةً عنيت بالمرأة كعناية الإسلام بها ؛ حيث اهتمت شريعة الإسلام بالمرأة وأكدت على مكانتها وعظم منزلتها ، فقد جعل الله (عزّ وجلّ) الإنسان خليفة في أرضه ذكرًا كان أو أنثى ، ولم يفرق بينهما ، قال تعالى:{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ...}، كما أكدت الشريعة الإسلامية على أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة شقين متكاملين وليسا ندين متصارعين ، قال سبحانه:{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) ، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في سوء الفهم لبعض نصوص الكتاب والسنة ، وفي اقتحام غير المؤهلين وغير المتخصصين للدعوة أيضًا ، فيُظهرون الإسلام على أنه يجعل من النساء إماءً تُباع وتُشترى ، وبعض أصحاب الفهم الخاطئ يبنون أحكام المرأة على الضرورة فلا تتكلم إلا لضرورة ، ولا تخرج إلا لضرورة حتى صارت كل أحوال المرأة تخضع للضرورة.

إن المرأة لها مكانتها ، فهي نصف المجتمع ولها دورها في خدمته ، فكيف نسمح بأن يكون نصف المجتمع معطلًا؟!، وعندما ننظر في ديننا

الإسلامي الحنيف نجد أنه قد كرم المرأة أمًّا وأختًا وزوجةً وبنتًا وإنسانة ، فهي أمٌّ تحت أقدامها الجنة ، فقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يستأذنه في الجهاد ، فسأله أحية أمك؟ فقال الرجل: نعم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الْزَمْ رِجْلَهَا ، فَثَمَّ الْجَنَّةُ) ، وهي بنت تحجب النار عن أبيها إن أحسن إليها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا ، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ: يَعْنِي الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ). وزوجة تكمل نصف دين زوجها يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي).

فالمرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة، فهي والرجل في الإنسانية سواء ، فقد خُلقا من أصل واحد يَسعد كل منهما بالآخر ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ، وأوصّى بهن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) ، ولرفعة شأن المرأة ومكانتها نهى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عما يفعله بعض الناس من تمييز الأبناء على البنات في المأكل أو المشرب أو الملبس أو المسكن أو المعاملة الكريمة ، فعندما كان أحد الناس يجلس إلى جانب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَهُ ابْنٌ لَهُ ، فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، وَجَاءَتِ ابْنَةٌ لَهُ ، فَأَخَذَهَا فَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (هَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟).

وكما أن للرجل دورًا هاما في خدمة المجتمع ، فللمرأة كذلك دور لا يقل أهمية عن دور الرجل ، ومن الأدوار المهمة التي تؤديها المرأة في بناء المجتمع:

مشاركتها في العمل والإنتاج ، فالمرأة تعمل بجوار الرجل ، بما يصون كرامتها ولا يسيئ إليها ، كالتمريض، والتطبيب ، والتدريس، والحياكة، وبعض الأعمال الزراعية وغيرها ، وقد قصّ علينا القرآن الكريم أنموذجًا لعمل المرأة حيث يقول سبحانه:{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} .

وقد ضربت السيدة خديجة (رضي الله عنها) أروع الأمثلة في الوقوف بجوار زوجها بمواقف عظيمة دلّت على رجاحة عقلها وشجاعتها في مواجهة التحديات التي واجهت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فأيدته وثبّتته وأعانته على المضي في دعوته ، وكانت تحرص على راحته ، وتطمئن على سلامته، وتعمل كل ما في وسعها لإسعاده ، فكان الجزاء من جنس العمل، حيث أَتَى جِبْرِيلُ (عليه السلام) النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ). وكذلك أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) مع زوجها الزبير بن العوام (رضي الله عنه) حيث قالت: (تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ...).

ومن ثم فإن دور المرأة ، ومسئوليتها تجاه بيتها وزوجها مسئولية عظيمة ، يقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ،

وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...).

ولا يتوقف دور المرأة على مساعدة زوجها فحسب ، بل تعدى دورها إلى مشاركتها في العمل العام ، فقد ذكر القرآن الكريم أنموذجًا عظيمًا للمرأة يبين فيه حكمتها ، كما ورد في قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) وجنوده ، يقول سبحانه: {قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}.

وكذلك مشاركتها في الشأن السياسي العام ، ففي العهد النبوي كان للسيدة أم سلمة (رضي الله عنها) دور في معالجة وقوع الصحابة في مخالفة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث أشارت على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في عام الحديبية بعد صدّ المشركين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والصحابة عن زيارة المسجد الحرام ، والتصالح على أن يعودوا من عامهم بدون أداء للعمرة ، وشعور الصحابة أن بنود الصلح فيها إجحاف لهم ، فلم يبادروا بالتحلل من إحرامهم ، فأشارت على نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يبدأ هو بنفسه فيتحلل من إحرامه أولًا ، فحينئذ يتحلل الصحابة من إحرامهم خلف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا ما حدث بالفعل.

ومن ثمَّ فإن دور المرأة له أهميته ، فقد وقفت السيدة نسيبة بنت كعب (أم عمارة) موقف الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أحد

حتى أصيبت بالعديد من الطعنات والضربات؛ وقال عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم): (مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلا شِمَالا إِلا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي) .

إن المشاركة في الحياة العامة والإسهام في القضايا الوطنية لا تقتصر على الرجال دون النساء ، فدور النساء في العمل الوطني والخيري والتطوعي قد يسبق عمل الرجال ، فالطبيبات إلى جانب الأطباء ، والمعلمات إلى جانب المعلمين ، والمهندسات إلى جانب المهندسين ، يكمل بعضهم بعضًا في أداء الرسالة والواجب الوطني والمهني.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن دور المرأة لم يقتصر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي فحسب، بل كانت حريصة على طلب العلم والاهتمام به منذ عهد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى العصور الزاهية بالعطاء والإشعاع العلمي، والإسهام في البناء الحضاري ؛ إذ كانت تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يخص النساء بمجلس علم ، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، قال: جَاءَت امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِك، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيه، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فقال: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ

رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قال : (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَة، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ واثْنَيْنِ ، قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْن، ثُمَّ قال : (وَاثْنَيْن، وَاثْنَيْن، وَاثْنَيْنِ). وغير ذلك كثيرات ممن حملن العلم والحديث رواية ودراية ، منهن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) التي تُعدُّ من أكثر رواة الحديث بعد أبي هريرة (رضي الله عنه) ، وأم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) ، وأسماء بنت يزيد ثالث امرأة في رواية الحديث بعد عائشة وأم سلمة (رضي الله عنهن أجمعين) ، وأم عطية الأنصارية التي تُعدّ من فقيهات الصحابة ، وغيرهن ممن روين الحديث كالصماء بنت يسر ، وميمونة بنت سعد مولاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ومن ثم تعلمت وعلمَّت علومًا شتى، فأسهمت إسهامات فعالة في الحركة العلمية منذ عصر النبوة ، وكان لها دور كبير في تعليم العلوم الشرعية ، واللغوية ، بالإضافة إلى العلوم الطبيعية كعلم الطب والفلك والرياضيات وغيرها ، فبرزت منهن نساء عالمات ، وفقيهات، ومحدثات، ومفتيات، وأديبات، وشاعرات، وطبيبات.

وبعد أن تحدثنا عن دور المرأة بصفة عامة فمن الطبيعي أن نخص ما خصه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله أحد الصحابة قائلًا: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ) ، فبرّ الوالدَيْنِ من أعظمِ الحقوق التي أمرَ اللهُ تعالى برعايتِها ، حيثُ جعله اللهُ (عز وجل) في المرتبة الثانية بعد الوفاء بحقَّه سبحانه في العبادة، فقال:{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}،وقال سبحانه:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى أمرنا بالبر والإحسان إلى الوالدين معًا فإنه سبحانه قد أوصى بالأم خاصة ، وكرر تلك الوصية لفضلها ومكانتها ، ولصبرها على المشقة والتعب ، وما لاقته من صعوبات في الحمل ، والولادة والرضاعة والتربية ، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

وقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الإحسان إلى الأم من مكفرات الذنوب، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ لِيَ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ : (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ). قَالَ لاَ. قَالَ : (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ) قَالَ نَعَمْ. قَالَ (فَبِرَّهَا)، وغير ذلك من النصوص التي تؤكد ضرورة الإحسان إلى الأم ، فالأم مصدر الحنان ومنبع الإحسان ، لذلك أوكل الإسلام إليها تنشئة الأجيال وإعدادها ، فهي التي يقع عليها عبء تربية النشء، ولله درّ القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها **** أعددت شعبًا طيب الأعراق

فطوبى لمَنْ أحسن إلى أمّه واجتهد في رضاها ، فرضا الله من رضاها وسخط الله من سخطها.

*   *   *

حرمة الاعتداء والتخريب
وضرورة البناء والتعمير

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز : {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الدين الإسلامي دين يدعو إلى البناء والتعمير ، لا إلى الهدم والتخريب والتدمير ، دين الرحمة والأمن والسلام للناس جميعًا ، يأمر بحفظ النفس والمال والعرض ، وينهى عن القتل والاعتداء وترويع الآمنين ، كما ينهى عن الفساد والإفساد في الأرض ، فشتان بين من يخرب ويدمر ويكدر حياة الناس بالفساد والإفساد ، وبين من يعمر ويبني ويتنافس في إسعاد الآخرين وإدخال السرور عليهم .

فقد خلق الله (عز وجل) الإنسان لعبادته وطاعته ، فقال سبحانه : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وجعل من مظاهر هذه العبادة تزكية النفس البشرية وتهذيبها بالأخلاق الحسنة ، وكذلك إعمار الأرض وإصلاحها ، واستخراج كنوزها ، والحفاظ عليها وتنميتها ، وعدم الاعتداء على مقومات الحياة وعمارتها ، قال تعالى : {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، فكل ما من شأنه أن يحدث فسادًا ، أو اعتداءً ، أو تخريبًا وتدميرًا ، أو ترويعًا للآمنين، يُعَدُّ إفسادًا في الأرض .

ومن ثمَّ فإن الاعتداء على الدين ، أو النفس ، أو العقل ، أو المال ، أو العرض أو ترويع الآمنين هو فساد وإفساد حذَّر منه الإسلامُ بكل صوره وأشكاله، فقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}، وقال سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}.

ولقد جاءت رسالات السماء كلها داعيةً إلى الإصلاح والحفاظ على هذه الكليات الخمس ، ومحذرةً من الفساد والتخريب ، فقال تعالى على لسان نبيه صالح (عليه السلام) لقومه:{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}، وقال تعالى أيضًا: {فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

وقال تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) : {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، وقال تعالى : {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} ، وقال سبحانه على لسان موسى (عليه السلام) : {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، ثم هو يقدم النصيحة الغالية لأخيه : {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}.

إن الفساد والتخريب والاعتداء على الأنفس وترويع الآمنين ما هو إلا نشر للفوضى ، وتخريب للمجتمعات ، فهؤلاء العملاء والخونة الذين يريدون تخريب الأوطان والاعتداء على الآمنين ، هم فئة ضالة منحرفة ضلت الطريق ، وانسلخت من كل معاني المروءة والإنسانية ، إلى الاعتداء والتخريب والتدمير والتفجير ، وتعريض حياة الناس للخطر ، هؤلاء لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا بالأديان ، ولا بالإنسانية ؛ فهم يلبسون الباطل ثوب الحق ، ويظهرون في صورة المصلحين ، لكن الله (عز وجل) كشف أمرهم بقوله تعالى : {وَمِنَ

النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}، فهو سبحانه وتعالى يعلم حالهم ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ }.

ولقد بيَّن الحق سبحانه وتعالى ضلال هؤلاء الذين يَظهرون بمظهر الإصلاح ، ويتخذون من العنف والقتل والتخريب ، وإشاعة الفوضى والرعب بين الناس سبيلًا لهم ، متوهمين أنهم على الحق ، فقال تعالى : {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

وقد تنوعت صور الإفساد والاعتداء والتخريب في الأرض ، فمنها : **قتل النفس التي حرَّمَ اللَّهُ (عز وجل) قتلَهَا إلا بالحقِّ** ، بغض النظر عن اعتقادها ودينها ، فالنفس البشرية معصومة أيًّا كانت ديانتها ، وقَدْ حَرصَ الإسلامُ كُلَّ الحِرصِ عَلَى حِفْظِ الدِّمَاءِ والأمْوالِ والأعراضِ، فقال تعَالى : {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، فحرَّم كُلَّ اعتداءٍ أو تَرويعٍ للآمنِينَ وكُلَّ ما يُهدِّدُ الأمنَ والاسْتِقرارَ من إرهابٍ أو إفسادٍ في الأرضِ أو اعتداءٍ على الأبرياءِ.

بل جعل الإسلام الاعتداء على النفس الواحدة بمثابة الاعتداء على الناس جميعًا ، فقال جل شأنه:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْ أَنَّ أَهْلَ

السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا في دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ في النَّارِ) ، فقتل النفس البشرية لا يقره دين سماوي ولا عقل مستنير .

وقد أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على عصمة الدماء وحرمة النفس البشرية بقوله في حجة الوداع : (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ).

كما كفَلتْ شريعةُ الإسلامِ للإنسانِ الحق في عيشٍ آمنٍ مطمئن ، فنهتْ عن ترويعِهِ وتخويفِهِ ، وحرَّمَتِ التَّعدِّي عليه أو التعرضَ لهُ بالإيذاءِ والضررِ في نفسِهِ أو مالِهِ أو عرضِهِ أيًّا كان جنسُهُ أو لونُهُ أو معتقَدُهُ ، لأنَّ ذلكَ من مظاهر الفساد ، يقولُ نبيُّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مسلمًا) ، ويقولُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لاَ يُشِرْ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) ، حتى ولو كانَ الترويعُ على سبيلِ المِزاحِ ، يقولُ نبيُّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) .

وكذلك نهى الإسلام عن ترويع المُعَاهَد ، والمستأمن ، لما كفله لهم الإسلام من حقوق وواجبات ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) ، فالإيمان الصحيح يمنع الإنسان من حمل السلاح على الآمنين وترويعهم.

بل إن الإسلام نهى عن مجرد الإيذاء باللسان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)، وفي رواية عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله

عنهما) أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ قَالَ : (مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ، فلا خير فيمن يدعي الإسلام وهو يؤذي الناس بالقول والفعل.

والحق الذي لا مراء فيه أن الإسلام دين الصلاح والإصلاح ، دين الأمن والأمان ، والسلم والسلام ، دين يصون النفس الإنسانية ويحرم الاعتداء عليها ، فلفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام ؛ لأن الإسلام والسلام يحققان الطمأنينة والأمن وصيانة الحرمات ، والله تعالى من أسمائه السلام ، ورسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس إلى السلام الذي يجمع القلوب على المحبة ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيء إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن صور الفساد والتخريب : **الاعتداء على رجال الأمن المرابطين** سواء في أرجاء الوطن أم على حدوده ، ومنها : **زعزعة الاستقرار في البلاد** ، ونشر الأقوال المغلوطة والمعتقدات الفاسدة والتشكيك في الإنجازات الوطنية ، ومنها : **العمل على بثّ الفتنة والفرقة** بين أبناء المجتمع الواحد .

وأبشعُ أنواعِ الإفسادِ هو ما استُبيحَتْ به الدماءُ باسمِ الدينِ ، والدينُ

منه بَراءٌ ، فقد ابتُلِيتِ الأمَّةُ بأُناسٍ يُفسِدونَ في الأرضِ ولا يُصْلِحونَ ، وهؤلاء قد ذمَّهمُ القرآنُ الكريمُ وتوعَّدَهُمْ بالعذابِ العظيمِ ، فقال تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

ونؤكد أنه لا بد من التصدي وبحزم وحسم لكل صور الفساد ، فالمفسدون هم مِعول هدم للمجتمع ، والتصدي لهم فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهمالهم وعدم التصدي لهم فيه الهلكة للمجتمع كله ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)، فالله (عزّ وجلّ) يدفع بالمصلحين فساد المفسدين، قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}.

فالتصدي للفساد مسئوليَّةُ الجميع ، وأول صور التصدي للفساد عدم قبوله ورفضه وبيان خطورته وأثره على الفرد والمجتمع ، فلابد من التآزر والتعاون والتناصر والتضامن بين جميع أبناء الوطن لتصل سفينة الوطن إلى بر الأمان.

كما نؤكد أن من أعان المفسدين ، أو رضي بأفعالهم ، أو تستر عليهم ، أو دافع عنهم ولو بكلمة – وخاصة من يفسد باسم الدين– فهو شريك لهم في الإثم ، وقد نهى الله (تعالى) عن ذلك بقوله: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ}، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّة، حتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم، وهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا

يُنْكِرُوه، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك، عذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

وفي مواجهة هذا الفساد والتخريب لا بد من البناء والتعمير ، فنحن نواجه صناعة الموت بصناعة الحياة ، ونعمل على تحقيق الأمن والأمان والحياة الكريمة للجميع ، وعلى كل منا أن يؤدي واجبه تجاه دينه ووطنه ، وأن ننمي روح العمل والإتقان ، وعمارة الكون ، وبناء الحضارات ، كما يجب أن نعلي من روح التعاون والتكافل بما يحقق الأمن والسلام والطمأنينة ، والتقدم والرخاء والازدهار للوطن جميعًا ، بل للإنسانية جمعاء .

* * *

المبادأة والمبادرة نحو القيم والأخلاق وخدمة المجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمن مظاهر عظمة الدين الإسلامي أنه دين يجمع بين القيم الفاضلة والمُثُل العالية ، فلم يترك فضيلة من الفضائل ولا قيمة من القيم تسمو بها النفوس إلا دعا إليها وحثَّ على التمسك بها ، وما ترك خلقًا ذميمًا إلا نهى عنه وحذَّر منه.

وقد أمر الله تعالى عباده بالمبادرة إلى التحلي بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمسارعة إليها حتى توصلهم إلى مغفرته ورضوانه، قال سبحانه:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وقال عز وجل:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وقال تعالى:{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

كما حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على المبادرة إلى الطاعات وفعل الخيرات ، بقوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا)، وقوله: (بَادِرُوا بِالأَعْمَال فتنًا كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي

مُؤمِنا ويُصبحُ كَافِرًا ، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا)، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)، فالمسلم الحق حريص على المسارعة إلى فعل الخير ولا يؤجله فإنه لا يدري ماذا سيحدث غدًا ، ولله در القائل:

بَادِرْ بِخَيْرٍ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرًا *** فَلَيْسَ في كُلِّ وَقْتٍ أَنْتَ مُقْتَدِرُ

ولا شك أن المبادرة إلى التمسك بالقيم الخُلُقية والإنسانية واجب ديني، ومطلب شرعي ، ومبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ، وسمة من سمات الصالحين ، وأساس من أسس التقدم والرخاء واستقرار الحياة.

ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في المبادأة والمبادرة بالأخلاق والأعمال الصالحة، فعَنْ عُقْبَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ : (ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ) ، ولما سُئل (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ أكد أن عِظم الأجر يكون بسبب المبادرة والمسارعة إلى فعلها وعدم تأجيلها ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم):(أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ).

فالإنسان لا بد وأن يبادر إلى التحلي بحسن الخلق ، ويبدأ بنفسه في تطبيق منهج الله (عز وجل) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وهذه المبادأة والمبادرة لها عدة مجالات متنوعة ،كي تؤتي ثمارها المرجوة ، ومنها:

مبادرة الإنسان إلى القيم الأخلاقية: فهي لبُّ الدين وجوهر رسالته التي دعا إليها ورغَّب فيها وحثَّ على التخلق بها ، لما لها من مكانة رفيعة ومنزلة عالية، فقد سئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال: (حُسْنُ الخُلُقِ). ووصف عَبْد اللَّهِ بْن المُبَارَكِ حُسْنَ الخُلُقِ فَقَالَ: (هُوَ بَسْطُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى)، ولقد أولاها النبي (صلى الله عليه وسلم) عناية فائقة، حيث أعلن أنها الغاية الأولى من بعثته ورسالته ، فقال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) مثلًا أعلى في التخلق بالقيم الأخلاقية السامية التي تدل على صفاء النفس وكمال العقل، لذا وصفه ربه بقوله:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فاجتمعت فيه الفضائلُ كلُّها، وهذا ما أكدته أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ (رضي الله عنها) حين سئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ).

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تُرغِّب في التحلي بالقيم الأخلاقية ، وما ذلك إلا لأن الأخلاق ميزان شرعي يهذِّب الإنسان ، ويرقى به إلى مدارج الكمال ، ومن ذلك قوله سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وسلم):{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، وقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، وقوله عز وجل : {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن مجالات المبادأة والمبادرة: المبادرة إلى القيم الإنسانية التي تحافظ على كرامة النفس الإنسانية واحترامها ، ولاشك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسانية سواء في أخلاقه أم في تشريعاته، فعندما كرم الإسلام الإنسان كرَّمه على أخلاقه الإنسانية بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه، فقال

سبحانه:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، لم يقل: كرمنا المسلمين وحدهم، أو المؤمنين وحدهم ، أو الموحدين وحدهم ، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى) ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن خيرية هذه الأمة ربطها بالقيم الإنسانية، فخير الناس أنفعهم للناس ، قال سبحانه :{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم}، وحين سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله (عز وجل)؟ قال: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تطْرد عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا...).

والقيم الإنسانية في الإسلام متعددة شاملة ، فلا فرق بين المسلم وغيره ، فالكل تجمعهم الأخوة الإنسانية ، فحين مرت جنازة من أمام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لها، فقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟).

وقد ربَّى النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أصحابَه على هذه القيم السامية حين سألهم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه): أَنَا. قَالَ : (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا. فَقَالَ (صلى الله عليه

وسلم): (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

ومن تأمل في خطبة الوداع وجد أنها أكمل أُنموذج في التاريخ البشري لنشر القيم الإنسانية ، فهي تعد أول وثيقة لحقوق الإنسان بغض النظر عن دينه أو معتقده أو لونه أو جنسه، وتأتي على رأس القيم الواردة بها قيمة المحافظة على النفس الإنسانية وحرمة دمها ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ) ، فالإسلام لا يرضى ـ بأي حال من الأحوال ـ بسفك الدماء ، بل يُحرِّم قتل النفس البشرية بغير حق.

ومن مجالات المبادأة والمبادرة: **مبادرة الإنسان إلى البناء والتعمير** ، فالإسلام دين يُقَدِّس البناء والتعمير ويدعو إليهما حتى في وقت الشدة، لأنهما عصب الحياة ومن أهم سبل تقدم الأمم والمجتمعات، ولم تعرف البشرية دينا ولا شريعة أمرت أتباعها بالعمل الجاد المثمر كشريعة الإسلام ، فقد أمر الله (عز وجل) الإنسان بضرورة السعي في الأرض والبحث عن الرزق والأخذ بالأسباب، وعدم الركون إلى الخمول والكسل من أجل تحقيق قيم البناء والتعمير ، قال سبحانه: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}، ولا يتوقف السعي والعمل على وقت معين، بل لا بد وأن يسعى الإنسان حتى آخر نَفَسٍ في حياته، وإلى ذلك أشار الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله : (إِنْ قَامَتِ السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) ، ولم يكتف الإسلام بمجرد دعوة أصحابه إلى العمل فحسب، بل دعاهم لإتقانه وإحسانه رجاء محبة الله تعالى ورحمته، قال

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنّ اللهَ (عز وجل) يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) ، فالإنسان الذي يسعى لتحقيق عمارة الكون هو إنسان إيجابي، لا يقبل أن يكون عالة على غيره يسألهم فيعطوه أو يمنعوه ، فالمسلم لا بد أن يكون إيجابيًّا في حياته.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من مجالات المبادأة والمبادرة: مبادرة الإنسان إلى خدمة المجتمع بالتكاتف والتعاون ، لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، ولكي تتحقق هذه القيم لابد وأن يتحلى كل أبناء المجتمع بروح الجسد الواحد وخاصة في وقت الأزمات، وليبدأ كل منا بنفسه، مع ضرورة القيام بدوره المطلوب منه تجاه مجتمعه.

وإذا أردنا نماذج عملية للمبادرة الأخلاقية والإنسانية والسلوكيات الراقية التي لها أكبر الأثر في النهوض بالمجتمع والوطن، **فلنبدأ بقيمة النظافة :** فالنّظافةُ سُلوكٌ إسْلاَمِيٌّ إنْسانِيٌّ مُتَحَضّرٌ يَعْكِسُ رُقِيَّ الأفْرَادِ وحَضَارةَ المُجْتمَعَاتِ، فَعَلَىَ كُلٍّ منَّا أنْ يَعْمَلَ عَلَى نَظَافَةِ جَسَدِهِ ، وثوبِهِ، ومكانِهِ ، ومحلِّ عمَلِهِ ، وأن يُسْهِمَ قَدْرَ استِطَاعَتِهِ في نَظَافَةِ مجْتَمَعِهِ، حتى نَكُونَ مُجتَمَعًا راقِيًا نَظِيفًا مُتَحَضِّرًا، يُتَرجِمُ إيمَانَهُ بدِينِهِ وقِيَمِهِ إلى سُلوكٍ عَمَليٍّ وواقِعيٍّ ، يقول

نبيُنَا (صلى الله عليه وسلم) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ).

وكذلك قيمة النظام، فهي قيمةٌ إنسانيةٌ وضرورةٌ اجتماعيةٌ تحرص عليها المجتمعات والأمم الراقية، ومن ثمَّ يجب الالتزام بها والمحافظة عليها ، وأن لا يتخطى كل إنسان دوره ، وأن يكون أسوةً طيبةً لمن حوله، فاحترام الإنسان لدوره هو احترام للنفس وللغير .

وكذلك الالتزام بحق الطريق من حيث إماطة الأذى عنه ، واحترام إشارات المرور ، والالتزام بالسرعة المقررة على الطرق وسائر ضوابط السير والمرور ، فإذا بدأ كل إنسان بنفسه ملتزمًا بتلك القواعد كان قدوة طيبة لغيره ، ومن ثمَّ ينصلح حال المجتمع ، فالقيم الخُلُقية هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال، وتصونها من الفوضى والضياع ، فسلامة الأمة وقوة بنيانها ، وسمو مكانتها وعزة أبنائها بتمسكها بالقيم الأخلاقية والمبادرة إليها.

فما أحوجنا إلى استعادة وترسيخ هذه القيم التي دعا إليها ديننا الحنيف لنحقق بصدق خيرية هذه الأمة كما أرادها الله (عز وجل)، فنستحق بها رحمته سبحانه، وأن نغير الصورة القاتمة التي رسمها المنتسبون إلى الإسلام الحنيف زورًا ، وهو منها براء ، ولنعلم جميعًا أن المبادرة نحو القيم والأخلاق لها ثواب عظيم ، دائم لا ينقطع لا يعلمه إلا الله (عزّ وجلّ)، قال تعالى:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا }.

* * *

الإسراء والمعراج
دروس في الفرج بعد الشدة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد أكرم الله تعالى نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بآيات عظيمة ومعجزات باهرة تؤكد على صدق نبوته (صلى الله عليه وسلم) ، وتكريم الله تعالى له ، ومن هذه الآيات معجزة الإسراء والمعراج بسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) فهي رحلة حافلة بالدروس والعبر ، غير أن الدرس الأعظم منها هو: **الفرج بعد الشدة** ، وأن المحن تتبعها المنح ، فكل محنة وشدة وراءها منحة وعطاء وتكريم من الله (عز وجل) ، فبعد المحن والشدائد التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة قبيل الإسراء والمعراج ، وبعد عام من الامتحان والابتلاء عرف في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن ، حيث فقد (صلى الله عليه وسلم) زوجَه الحانية خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) التي كانت تخفف عنه (صلى الله عليه وسلم) ما يلاقيه من أهل مكة ، وعمَّه أبا طالب الذي كان يعضده ويقويه ويدفع عنه الأذى في هذه المرحلة، فاشتد الأذى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولاقى من أهل مكة ما لاقى، مما اضطره (صلى الله عليه وسلم) إلى الخروج إلى الطائف علَّه يجد فيهم استجابة لدعوته ، غير أنهم كانوا أكثر غلظة وأشد قسوة عليه من قومه ،

فسلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدّم من قدميه الشريفتين، فاتجه (صلى الله عليه وسلم) إلى ربه بدعواته المشهورة (اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي ، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ ، إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أُعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك ، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك) ، ومن هنا ، ومن قلب المحن كانت المنحة الربانية العظيمة ، فكانت رحلة الإسراء والمعراج ، التي سجلها رب العزة وخلدها بقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، حيث يقول الحق سبحانه : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، ويقول سبحانه : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

لقد جعل الله (عز وجل) هذه المعجزة تسرية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتكريمًا له ، وتثبيتًا لقلبه ، ولكي يزداد إيمانًا ويقينًا وثقةً في أن الله (عز وجل) لا يتخلى عن عباده المؤمنين ، حيث أطلعه الله فيها على

حقائقَ غيبيةٍ ، وأسرارٍ كونيةٍ ، لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل ؛ لتعلن عن معية الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ونَصره له ، وهذا درسٌ عظيم لكل من يتعرض لشدة أو تصيبه محنة أو كرب ، فإذا صبر وتحمل الشدائد فلا شك أن الله سيكرمه بالعطاءات الإلهية والمنح الربانية ، وستظل هذه المعجزة يقف أمامها العقل البشري عاجزًا ، لأنها لا تخضع لقوانين طبيعية أو بشرية ، وإنما تتعلق بقوانين إلهية.

أكدت معجزة الإسراء والمعراج على **أن الإسلام دين الفطرة** ، ويتجلى ذلك حين عُرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) اللبنُ والخمرُ فاختار اللبنَ ، فبشره الأمين جبريل (عليه السلام) بقوله: (هُدِيتَ الفِطْرَةَ ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ) وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) : (... وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ).

كما أكدت هذه الرحلة المباركة **أن مقامَ العبودية الخالصةِ لله تعالى أسمى المراتب** التي يصلُ إليها الإنسان في حياته ، وشرف لا يدانيه شرف ، وصف الله تعالى به نبيه (صلى الله عليه وسلم) في قوله:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: (جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟، فَقَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا)، فكان (صلى الله عليه وسلم) في كل لحظات حياته عبدًا لله ، حتى صار وصف العبودية علمًا عليه (صلى الله عليه وسلم) ، فعندما قالت

أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) يَا رَسُولَ اللهِ ، كُلْ مُتَّكِئًا جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، فَإِنَّهُ أَهونُ عَلَيْكَ ، قَالَتْ: فَأَصْغَى بِرَأسِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: (لا ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ) ، ولله درُّ القائل:

ومما زادني شرفًا و تيهًا *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك : يا عبادي *** و أن صيَّرت أحمد لي نبيّا

ومن الدروس المستفادة من ذكرى الإسراء والمعراج : ما وضحته هذه الرحلة من أن **مفهوم الصداقة ليست كلمة ولا شعارًا** ، وإنما هي مبادئ ومواقف وقد ضرب سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أروع الأمثلة في الصداقة الحقة في أسمى معانيها والتي تتجلى أوضح ما تتجلى عند الشدائد ، فعندما عاد النبي (صلى الله عليه وسلم) من رحلته ، أخبر أهل مكة أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد في ليلته ، وهنا تتجلى صداقة الصديق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وثبوته على اليقين والحق عندما قال المشركون له : (هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق) ، فالصداقة لها قدرها ومنزلتها ، وتظهر الناس على معادنهم وحقيقتهم ، ولله درُّ القائل :

جزى الله الشدائد كل خير * * * عرفت بها عدوي من صديقي

إن موقف الصديق (رضي الله عنه) وثباته على المبدأ ونصرته لصديقه في الحق عند الأزمات فيه رسالة لكل من وجد أخاه في أزمة أو شدة أو ضيق

فليسرع إلى مساندته وتأييده وبكل ما يملك من قوة ، وأن يسهم في رفع هذه الشدة عنه ، فعند المحن والشدائد يظهر العدو من الصديق الصادق.

ومن الدروس المستفادة: **التحذير من الفواحش وبيان عقوبتها** ، فقد رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في رحلة الإسراء والمعراج أحوال الزناة ، وأهل الغيبة والنميمة ، والمتثاقلين عن إقامة الصلاة ، ومانعي الزكاة ، ومضيعي الأمانة ، وخطباء الفتنة ، وأكلة أموال اليتامى والربا ، ومآل كل واحدٍ منهم ، فحذر من انتشار هذه الفواحش وبين آثارها على الفرد والمجتمع ، ومن ثمَّ فيجب أن نأخذ العبرة والعظة من هذه الرحلة المباركة حتى يشملنا الله تعالى بعنايته ورحمته.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام

من الدروس المستفادة أيضًا : **بيان مكانة المسجد الأقصى** عند أمته (صلى الله عليه وسلم)، فهو جزء لا يتجزأ من المقدسات الإسلامية ، انتهى إليه إسراء نبينا (صلى الله عليه وسلم)، ومنه بدأ معراجه إلى السموات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، فلبيت المقدس مكانة عند الله تعالى، ومكانة في قلوب أمة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله

عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) ، وهو ثاني مسجد بني على الأرض ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى) قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً). ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ). فالمسجدَ الأقْصَى أمانَةً في أعْناقِ عُمومِ المسلمينَ ، فلا يَحِلُّ للمسلمين أن يفرطوا فيه أو يتهاونوا في حمايته.

ولعل أهم درس نأخذه من دروس الإسراء والمعراج هو : **درس الأمل وعدم اليأس** ، فقلب المؤمن لا يجزع ولا ييأس ، وأمور العباد والبلاد بيد الواحد الأحد ، الذي{أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، شريطة أن نسعى وأن نأخذ بالأسباب ، لأن الأمل بلا عمل أملٌ أعرج ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم ارزقني ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة) ، فالإسلام دين لا يعرف التواكل، بل يحاربه وينبذه، ولا يعرف التواني والكسل والخمول، وإنما هو دين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) ، فالطير هنا لا تبقى ساكنة في أوكارها ، إنما تأخذ بالأسباب فتغدو وتروح، وقد علَّم النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة أن الأخذ بالأسباب أمر ضروري لاستقامة الحياة واستقرارها ، فضرب (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في الأخذ بالأسباب حين ركب البراق ، واقتدى في المسيرة بجبريل (عليه السلام)، ثم ربط البراق قبل الصعود إلى السماء ولم يتركه هملاً ، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم): (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِها الْأَنْبِيَاءُ).

تحويل القبلة دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد شاءت إرادة الله (عز وجل) أن فضَّل بعضَ الشهور على بعض ، وجعل لها من المزايا ما يحث المؤمن على استثمارها بالأعمال الصالحة، وشهر شعبان من الشهور المفضلة التي يتشعب فيها الخير وتكثر فيها النفحات ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) ، والمؤمن الذي يتعرض لنفحات الله تعالى في هذا الشهر الكريم هو الكيس الفطن الذي يغتنم تلك الأيام بالطاعات والعبادات.

وإن لشهر شعبان مكانته ومنزلته الرفيعة عند النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث كان يخصه بمزيد من العبادة ، ويكثر فيه من الصيام ، فعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ) ، ولما سُئل عن ذلك بيَّن (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله (عز وجل) ، ويغفل أكثر الناس فيه عن التزود بالطاعة ، فعَنْ

أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ: قُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : (ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) ، ومن الأحداث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر المبارك ، **تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام** ، استجابة لرغبة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحقيقًا لرجائه ، ويُعد هذا الحدث من أبرز مظاهر التكريم الإلهي للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث استجاب الحق (سبحانه وتعالى) لرغبة حبيبه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم) بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة المشرفة ، قبلة أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يتوجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وهو في المدينة المنورة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يتلهف شوقًا إلى نزول الوحي عليه بالتوجه إلى المسجد الحرام ، فكان يرجو الله بقلبه ، ويدعوه بلسان حاله ، موقنًا بأن ربه سيحقق رجاءه ، فاستجاب الله تعالى له، وحقق له رجاءه ، فأمره أن يتوجه في صلاته إلى الكعبة المشرفة ، يقول الحق سبحانه:{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.

على أن ذلك يدل على أمرين : أولاً : عظيم مكانة النبي (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) ورفعة شأنه ، وبيان منزلته عند ربه ، ثانيًا: مكانة الكعبة المشرفة ورفعة قدرها ، وليس ذلك غريبًا ولا مستغربًا ، ألم يقل الحق سبحانه على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم): {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، ويقول سبحانه:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}، ويقول (عز وجل):{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، ويقول سبحانه :{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وقد كان لحادث تحويل القبلة أكبر الأثر في النهوض بالمجتمع والارتقاء الإنساني ؛ لما فيه من الدروس والعبر ، وإن من تلك الدروس والعبر :**أن الابتلاء والاختبار من سنن الله** (**عز وجل**) **في خلقه** : فقد كان تحويل القبلة اختبارًا من الله تعالى لعباده ، ليرى مَن يتَّبعُ الرسول ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيه ، ولمعرفة مدى استجابة الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وتصديقهم لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أمرًا شاقًّا على النفوس ، إلا على الذين هدى الله ، وذلك بتسليم الأمر لله (عز وجل) ، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، يقول الحق سبحانه:{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لم يرتابوا في أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنهم على يقين جازم بأن كل ما جاء به رسول الله حق لا مرية فيه ؛ لذلك قالوا: سمعنا وأطعنا ، وتحولوا في صلاتهم إلى الكعبة المشرفة دون تردد ، استجابة لأمر الله (عز وجل) ، ولم ينتظروا حتى يُتموا صلاتهم!! وإنما تحولوا في الحال وهم في هيئة الركوع ، حيث أراد الله لهم.

وهكذا شأن المسلم الصادق يدور مع أمر الله حيث دار ، وحيثما اتجه فوِجْهَتُهُ نحو الله :{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : (بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ ، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أُنزل عليه الليلة قُرْآنٌ ، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة).

لقد علّمنا الصحابة (رضي الله عنهم) كيف نستقبل أوامر وتعاليم الإسلام بهذه السرعة استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلنتحول كما تحول الصحابة في حادث تحويل القبلة إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته تحوُّل إيجابي إلى ما يرضي الله (عز وجل) ، وإلى ما فيه النفع للناس جميعًا.

أيضا من الدروس المستفادة من تحويل القبلة : **وسطية الأمة** ، فلقد أصّل هذا الحدث العظيم مبدأ وسطية هذه الأمة ، حيث يقول الحق سبحانه:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}، وإن وسطية الأمة وسطية شاملة جامعة ، وسطية في الاعتقاد والتصور ، ووسطية في الشعائر والتعبد ، ووسطية في الأخلاق والسلوك ، وفي النُّظُم والتشريع ، وفي الأفكار والمشاعر ، بعيدًا عن الغلو والتقصير ، أو الإفراط والتفريط.

ثم إن شهادة أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) على سائر الأمم على قدر ما تقتضي من التكريم تقتضي أن تكون أهلاً لهذه الشهادة ، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ) ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا}، وقد قال سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ) قال ابن مسعود: يَا رسول اللهِ ، أقرأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟! قَالَ : (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ ، حَتَّى جِئْتُ إِلى هذِهِ الآية : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهيدًا} قَالَ : (حَسْبُكَ الآنَ)، فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان.

فحري بنا أن نعود إلى الوسطية التي شرفنا الله (عز وجل) بها ، وأن نكون حقًّا وسطيين في جميع شئوننا دون إفراط أو تفريط ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}، وحيث يقول سبحانه:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، ويقول الإمام الأوزاعي (رحمه الله): "ما أمر الله (عز وجل) في الإسلام بأمر إلا حاول الشيطان أن يأتيك من إحدى الجهتين لا يبالي أيهما أصاب الإفراط أو التفريط "، ومن هنا يجب أن نكون مع التيسير والسماحة ، لا مع التسيب والتفريط ، ومع الالتزام الديني والقيمي والأخلاقي دون أي تشدد أو تطرف.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الدروس والعبر المستفادة من تحويل القبلة ، **الرباط الوثيق بين**

المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس ، وإظهار العلاقة القوية بينهما ، حيث جعلهما الله سبحانه وتعالى شقيقين ، فالمسجد الحرام هو أول مسجد وضع لعبادة الله (عز وجل) في الأرض ، والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد ، فعن أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ :(الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ).

لقد ربط تحويل القبلة بين المسجدين كما ربط الإسراء والمعراج بينهما ، فقال سبحانه:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} ، ومن ثم يجب حمايتهما معًا، وعدم التفريط في أي منهما ، فهما أمانة في أعناق المسلمين جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله (عز وجل) وتقواه أولاً ، ثم بوحدة صفِّها ، وبامتلاك أسباب القوة من خلال العلم والعمل والإتقان والإنتاج ، حتى تمتلك قوتها وغذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها ، فتمتلك كلمتها وحريتها وإرادتها ، فالأمم التي لا تملك مقومات حياتها لا تملك كلمتها ولا إرادتها ولا استقلال قرارها.

على أن هناك أمرًا هاما يجب أن نتنبه له ، **وهو أن التحول ليس مجرد تحول مكاني** إنما هو اختبار للعقيدة الصلبة والإرادة القوية والثقة في الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا أردنا أن يحول الله أحوالنا إلى الأفضل والأصلح في كل مجالات الحياة فعلينا أن نغير من أنفسنا بحسن التوكل على الله (عز وجل) واللجوء إليه ، وأن نعْمَل ونكِدّ ، وأن نتحوَّل من

الهدم إلى البناء، ومن البطالة والكسل إلى مزيد من العمل والإنتاج ، ولنتحول من التشدد والغلو إلى السماحة واليسر ، ومن الجمود والتقليد إلى التأمل والتفكير ، لأن الله (عز وجل) يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

* * *

رمضان شهر الدعاء والإجابة والنصر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فمن خصائص شهر رمضان المبارك أنه شهر الدعاء ، وشهر الإجابة ، وشهر الإنابة إلى الله (عز وجل)، لأن الإنسان فيه يكون أقرب إلى الله تعالى من أي وقت آخر ، فكلَّما عظُمت معرفة الإنسان بربه وقويت صِلتُه به كان دعاؤُه له أعظم.

فالدعاء من أفضل العبادات التي يقوم بها الإنسان المؤمن ، شأنه عظيم ، ونفعه عميم ، ومكانته عالية في الدين، فهو قمة الإيمان ، وسرّ المناجاة بين العبد وربه ، وهو من أعظم أسباب دفع البلاء ، كما أنه سبب لانشراح الصدر وتفريج الهم وزوال الغم، به تفرج الكروب ، وتستجلب النعم ، وتدفع النقم ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا . قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ).

والدعاء سلاح المؤمن في كل وقت ، وهو أكرم شيء على الله (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ)، لذا فإن

الله (عز وجل) يحب من يدعوه ، ويغضب ممن لا يدعوه ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)، وقد أحسن الشاعر العربي حين قال:

لا تسألنَّ بُنيّ آدم حاجة *** وسلِ الذي أبوابُه لا تُحجب .
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ *** وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ .

ويقول آخر:

وإني لأدعو اللهَ والأمرُ ضيقٌ *** عليَّ فما ينفك أن يتفرّجا
وربَّ فتى ضاقت عليه وجوهُهُ *** أصاب له في دعوة الله مَخْرَجا

ومما يبين مكانة الدعاء وعلوَّ شأنه في شهر الصيام أن الحق سبحانه وتعالى ربط بين الصيام والدعاء برباط وثيق ، ففي ثنايا حديث القرآن الكريم في سورة البقرة عن الصيام وفرضيته وبعض أحكامه يأتي قول الله تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، ليؤكد على ربط الدعاء بالصيام والصيام بالدعاء ، وعلى أهمية الصيام في إجابة الدعاء، فالآية تدل دلالة واضحة على ارتباطهما معًا ، وتبين أن من أعظم الأوقات التي يُرجى فيها الإجابة والقبول شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الدعاء ، وخاصة عند ساعة الفطر ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (للصائم دعوة لا ترد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

ولا شك أن الدعاء من أعظم الطاعات ، وأنفع القربات ، لذلك سَمَّاه الحق سبحانه وتعالى عبادة في قوله:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه

وسلم) : (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)، ثُمَّ قَرَأَ :{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} .

ولما كان للدعاء هذه المكانة العظيمة ، والمنزلة الجليلة ، جاء آيات القرآن الكريم ، وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) مبيِّنة فضله ومُنَوِّهة بمكانته وعظم شأنه ، ومرغِّبة فيه، لأنه أساسُ العبادة وروحُها ، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الله (عز وجل) وإظهار الافتقار إليه ، يقول الحق سبحانه: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ، ويقول تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) ، فهذه النصوص الشرعية تبين عظم شأن الدعاء وفضله.

وجدير بالذكر أن للدعاء آدابًا ينبغي المحافظة عليها والتأدب بها حتى تتحقق ثمرته ، **ومن هذه الآداب:**

* **الإخلاص لله سبحانه وتعالى**، يقول تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، ويقول سبحانه: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} .

* **حضور القلب وحسن الظن بالله عند الدعاء** ، قال (صلي الله عليه وسلم): (الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ)، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة سبحانه: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ).

* ومن هذه الآداب: **تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس** ، قال (صلى الله عليه وسلم): (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ...).

* ومنها: **أن يكون الدعاء مشتملاً على شيء مشروع** ، ليس فيه تجاوز على أحد من خلق الله، مع عدم استعجال الإجابة والمداومة على الدعاء. لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟. قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ (أي ينقطع عن الدعاء)عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ).

* **تخير الأوقات الفاضلة كثلث الليل الآخر** ، قال (صلى الله عليه وسلم): (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) ، ووقت السجود بين يدي الله (عز وجل) في الصلاة، قال (صلى الله عليه وسلم): (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) ، ويوم

الجمعة، قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)، ويوم عرفة، قال (صلى الله عليه وسلم) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وعقب الانتهاء من الصلاة المكتوبة ، لقول أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) : قِيل: يا رسولَ الله أي الدُّعاء أَسْمَعُ ؟ قال : (جَوفُ اللَّيلِ الآخِرُ ، ودُبُرَ الصلواتِ المكتوباتِ) ، وغير ذلك من الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة التي ينبغي على المسلم استثمارها.

إضافة إلى شهر رمضان المبارك وما له من خصوصية بالدعاء ، وما فيه من منح ربانية وعطاءات إلهية في كل أوقاته ليلاً أو نهارًا ، فهو شهرٌ عظيمٌ مرجوَّةٌ فيه الإجابة ، وحريٌّ بعباد الله المؤمنين أن يكثروا فيه من الدعاء ، وأن أفضل وقت للصائم يدعو الله (عزَّ و جلَّ) فيه هو وقت الإفطار ، بعد أن أنهى ذلك الصوم لله وما أصابه في ذلك اليوم من ظمأ وتعب لله (عزَّ و جلَّ) ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ)، فعلى العبد أن يغتنم الفرصة ويطلب من الله ما يريد فإن الله تعالى يجيب له دعاءه ، فلا يبخل العبد على نفسه في أن يسأل ربّه كل ما يحتاجه ، فالبخيل من بخل بالدعاء .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

كذلك من آداب الدعاء: أن يبدأ العبد دعاءه بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم يدعو بما شاء ، لحديث فضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ (رضي الله عنه) قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ، لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (عَجِلَ هَذَا . ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ).

وكما أن رمضان شهر الدعاء والإجابة فهو أيضًا شهر النصر الذي لا يأتي إلا مع الصبر والعمل والجد والاجتهاد ، ففي شهر رمضان نصر الله المؤمنين ببدر وهم قلة في العدد والعتاد حيث يقول الحق سبحانه: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}،انتصر المسلمون في شهر رمضان بفضل إيمانهم بالله (عز وجل)، وحسن التوكل على الله ، مع الأخذ بالأسباب المتاحة .

وفي شهر رمضان كان فتح مكة الذي ضرب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع المثل في مكارم الأخلاق وخاصة في العفو والصفح والتسامح والرحمة ، حين قال لأهل مكة: (ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم– : اذهبوا فأنتم الطلقاء).

وفي شهر رمضان ـ أيضًا ـ كان توفيق الله (عز وجل) لقواتنا المسلحة الباسلة

بنسيجها الواحد في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، وكان شعار المحارب: الله أكبر ، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق ، فكان النصر المبين، وطرد المعتدين .

وهنا نذكر بما قدمته قواتنا المسلحة ومصرنا الغالية من شهداء عظام رووا أرض الوطن بدمائهم دفاعًا عن الدين والوطن والأرض والعرض ، ومازال العطاء مستمرًا في مواجهة الإرهاب الغاشم حتى تقتلعه من جذوره بإذن الله تعالى، دفاعا عن ديننا ووطننا وأمتنا العربية.

ونؤكد أن الإرهاب خطر داهم لا دين له ولا وطن ، فهو يضرب الأخضر واليابس ، ويستهدف شق الصف الوطني وإحداث الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ، فعلينا أن نتكاتف ونتعاون معًا في مواجهة هذا الإرهاب الأسود الغاشم ؛ لتخليص الإنسانية من شره وخطره ، فنحن جميعًا شركاء في الوطن والمصير ، وأن هذا الوطن لنا جميعًا وبنا جميعًا على أسس إنسانية ووطنية راسخة ومتكافئة .

* * *

الإدمان والمخدرات سم قاتل
ورمضان فرصة للإقلاع عنهما وعن سائر الموبقات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وأنعم عليه بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى ، ومن هذه النعم نعمة العقل الذي يميز به الإنسان بين الخير والشر ، والضار والنافع ، وبه يدبر أمورَه وشئونَه ، وبإعماله يسعد الإنسان في دنياه وأخراه ، فهو مناط التكليف ، وهو طريق الهداية ، قال تعالى:{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

وقد أكد الإسلام أن صلاح المجتمعات واستقرارها لا يتحقق إلا بالمحافظة على العقول من الآفات والعلل ، وأصبحت قادرة على التفكير الصحيح والتخطيط السليم، ومن ثمَّ فإنه يجب على المسلم أن يحافظ على عقله وأن لا يتعاطى ما يفسده أو يعطل وظيفته ، لذا كان من محاسن الشريعة الإسلامية أنها أحلت الطيبات وحرمت الخبائث التي تؤثر على الإنسان.

ومن هذه الخبائث التي حرمها الله (عز وجل) المخدرات والمسكرات ، لأنها تتسبب في ضرر النفس وهلاكها ، والله سبحانه وتعالى يقول :{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ

ضِرَارَ)، ولما كان من مقاصد الشريعة الإسلامية الحفاظ على العقل من كل ما يؤدي إلى إفساده والإضرار به فقد حرَّمت كلَّ ما يُذهبُ العقل ، أو يخرجه عن وعيه وإدراكه – حفاظًا على مصالح العباد والبلاد– كالخمر ، والمخدرات ، وسائر المسكرات ، وأكدت الشريعة أن من تعاطى هذه الأشياء ينسلخ من إنسانيته ويتحول إلى مِعْوَل هدمٍ لنفسه وأسرته ووطنه وأمته ، ويصبح وبالًا ونقمة على المجتمع الذي يعيش فيه.

وفي شأن تحريم الخمر وبيان مضارها يقول سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنْتَهُونَ}.

وقد وضع النبي (صلى الله عليه وسلم) قاعدة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا الأحوال والأشخاص ، وتبين الوصف الذي ينطبق على الخمر أو أي نوعٍ من أنواع المسكرات ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ في الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ) .

ومن هنا نعلم أن الخمر شاملُ لكل ما يُسكر مهما استحدث الناس له من أسماء ، وسواء أكان مائعًا أم جامدًا ، طالما توافر فيه المعنى المحرم وهو الإسكار ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ) ، فالخمر حرمها الله (عز وجل) فهي حرام إلى يوم القيامة ، بل إن اللعنة تصل إلى كل من امتدت يده للخمر من قريب أو بعيد ، بائعًا ، أو مشتريًا ، أو تاجرًا أو حاملاً ، أو شاهدًا ، أو كاتبًا فقد شمله اللعن والطرد من رحمة الله (عز وجل) ، وسبب لعنته أنه خالف أمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فإن مات

شارب الخمر ومدمن المخدرات على ذلك مات ملعونا مطرودًا من رحمة الله (عز وجل) ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا) ، وفي الحديث يقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ) ، فقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) حرمةَ كلِّ مسكر على وجه العموم ، لأن بعض الناس يسمون الأشياء بغير أسمائها ، فيقولون: لقد حرم القرآن الخمر ، ونحن نشرب شيئًا آخر ، وهذا ما أخبر به سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال (صلى الله عليه وسلم) : (لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا).

وهنا نؤكد أن العبرة ليست بالأسماء ، وإنما العبرة بما يذهب العقل ويغيبه ، فكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، ومن ثم تُلْحَق المخدرات بجميع أنواعها ومسمياتها بالخمر في تحريمها ، وكذا كل ما يتناوله المتعاطون ممَّا يُغَيِّب العقل أو يفتِّر الجسم فهو حرامٌ ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ) ، فالمخدرات سمٌّ قاتل وداء عضال يفتك بشباب مجتمعنا فيجعلهم جثثًا هامدةً ، وعقولًا خاوية ، وقلوبًا فارغةً ، لا يستطيعون الدفاع عن أرضهم وعرضهم ، ولا يستطيعون الإسهام في تنمية وطنهم ، حيث إن المخدرات لها أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع .

وجدير بالذكر أن إدمان الخمر والمخدرات له أضرار وآثار متعددة ، منها:

الأضرار الدينية : ففي تناول المخدرات نسيان لذكر الله الذي تحيا به القلوب وتطمئن إليه النفوس، فالمدمن لا عقل له يذكره بربه ، أو يؤدي به فرائضه على الوجه الذي أراده الحق سبحانه وتعالى ، لذا نهى الله (عز وجل)

شاربها عن القرب من العبادة وخاصة الصلاة ، فقال (عز وجل) : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}.

الأضرار العقلية: فإن إدمان المخدرات والمسكرات بكل صورها واختلاف أنواعها أكبر أداة هدم للفرد والمجتمع ، حيث تعمل المخدرات على تعطيل القوة العاقلة والمفكرة في الإنسان ، فلا يدرك أفعاله وأقواله ، فالمدمن- نظرًا لغياب عقله- قد يرتكب جرائم وآثامًا خطيرة ، كالقتل ، أو السرقة ، أو التخريب، أو التدمير ، ولذا سعى أعداؤنا لإفساد شبابنا عن طريق الإدمان والمخدرات. وقد يرتكب الفواحش والمحرمات دون إدراك لأثرها على دينه وإيمانه ، فعن عثمان (رضي الله عنه) قال: (اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلاَ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ : أَنَا أَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلاَمَ ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا ، فَقَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لاَ يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ). فالإدمان يفسد العقل، وينشر العداوة والبغضاء ، ويحدث فتورًا في الجسم ، وإرهاقا في الأعصاب ، وزعزعة في الفكر ، وقلة في العمل، ويضعف مدارك الإنسان.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من أضرار الخمر والمخدرات : أنها تتسبب في الكثير من الأمراض الصحية والنفسية منها : القلق، والاكتئاب، والتوتر العصبي، والنفسي، واضطراب الذاكرة وكثرة النسيان، والانطواء والعزلة، والشعور بالإحباط، وانفصام الشخصية ، وغيرها من الأمراض النفسية والعقلية.

الأضرار الاجتماعية: فالخمر تذهب العقل ، وتذهب الهيبة والمروءة ، فتخل بمروءة الإنسان ، وتذهب البهاء ، وتذهب الحياء ، ويؤدي تعاطيها وإدمانها إلى انهيار الأسرة ، وانحراف أفرادها وتعدد حالات الطلاق ، وبسبب الإدمان تضيع الإرادة الإنسانية عند المتعاطي للمخدرات ، وتقتل فيه العواطف السامية ، مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة التحرش، والتفكك الأسري ، ومن ثم تنتشر الجرائم بصورها المختلفة من سرقة ، وقتل ، واغتصاب ، لأن المدمن لا يبالي أثر فعله ، فكل ما يهمه أن يتحصل على المخدرات بأي طريق وأي وسيلة.

على أن الإدمان والمخدرات أحد الأسلحة التي يستخدمها أعداؤنا لتدمير شبابنا وقيمنا وأخلاقنا ، وتعطيل مسيرة إنتاجنا وبناء نهضة وطننا ، فكم من حرب أوقدت المخدرات نارها ؟، وكم من غني أفقرته؟ وكم من صحيح أسقمته؟ وكم من شريف وضعته؟ وكم من عزيز أذلته؟ وكم فرقت بين الزوج وزوجه؟ كم أورثت من حسرة؟ وكم جرّت على شاربها من بلية ومحنة؟ فهي أم

الخبائث ورأس الرذائل ، وهي مفتاح كل شر ، كما ورد في وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) حيث قَالَ: (...وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ) ، فهي سمٌّ قاتل ومدمر للفرد والمجتمع ، وهي سلاح فتاك خطير بيد فاقدي الضمير ، يُحارَبُ به شبابُنا على مرِّ التاريخ ، فيسلب قوة البدن ، وقوة العقل في وقت يحتاج فيه وطننا إلى الشاب القوي الذي يحقق النصرة للدين والوطن ، ويعمل على استقراره وتقدمه ورفعته .

فلابد من تكاتف الجهود للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة المدمرة ومكافحتها، فقد وضع الإسلام ضوابط لوقاية الإنسان وحمايته من الإدمان ، تبدأ بحسن تربية الأبناء ورعايتهم ، وضرورة تعاون كل مؤسسات المجتمع في مكافحة الإدمان عن طريق المدارس ، وجميع المؤسسات التعليمية ، ووسائل الإعلام المختلفة ، وعن طريق العلماء والأدباء والمفكرين ، وأن تتضافر جهودهم جميعًا في التوعية بخطر الإدمان وأضراره الجسمية والنفسية والاجتماعية الناتجة عنه ، قال تعالى : {..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

ومن هنا يجب على المجتمع أن يحافظ على عقول أبنائه وشبابه وأن يجنبهم مخاطر الإدمان والمخدرات ، حتى ينتشر الأمن والأمان ، ويسود السلم والسلام ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، فترك المخدرات لو لم يكن واجبًا شرعيًّا لاعتبره العقلاء من مكارم الأخلاق ، فعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضي الله عنه) فِي مَجْمَعٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ ، قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ أَصُونُ عِرْضِي وَأَحْفَظُ

مُرُوءَتِي، لِأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ كَانَ لِعِرْضِهِ وَمُرُوءَتِهِ مُضَيِّعًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : (صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ، صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ).

على أن الإقلاع عن المخدرات والإدمان وسائر الموبقات يحتاج إلى عزيمة قوية وصبر ومجاهدة للنفس، وشهر رمضان المبارك يُعدُّ فرصةً عظيمة للتخلص من كل الأدواء، وعلى رأسها المخدرات والإدمان بصوره المتعددة ، وهذا من باب التخلية قبل التحلية ، فعلينا أن نقبل على شهر رمضان طائعين لله (عز وجل) بعيدين عن كل ما نهى الله (سبحانه وتعالى) عنه حتى يتقبل منا صيامنا وطاعتنا ونفوز برضوان الله (عز وجل) في هذا الشهر الكريم.

* * *

العشر الأواخر من رمضان
عبادة وسلوكا وتربية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات ، وتكثر فيها النفحات والخيرات ، ومن هذه المواسم شهر رمضان ، والعشر الأواخر منه على وجه الخصوص، قال تعالى:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، فهذه الأيام فرصة للمحسن أن يتزود فيها من الخير ، وللمسيء أن يستدرك ما فات ، ويغتنم هذه الأيام العشر في الطاعات ، حتى يكون من الفائزين المقبولين في هذا الشهر الكريم.

فليحرص العبد على أن يختم شهره بطاعة الله تعالى ، والتقرب إليه بأنواع القربات ، فمن كان مقصرًا فيما مضى فليحفظ ما بقي من هذا الشهر بالطاعة والإحسان ، ومن كان محسنًا فيما مضى فليحرص على سلامة القصد وصحة النية.

ومن الأمور التي يجب على العبد أن يحرص عليها في العشر الأواخر من رمضان:

إحياء الليل بالعبادة والطاعة ، بالصلاة ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والاستغفار ، والسعي في قضاء الحوائج ، والتعاون على البرّ والتقوى ... وغير ذلك من أعمال الخير والصلة ، فقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من الطاعة والعبادة والإقبال على الله (عز وجل) ، حيث كان (صلى الله عليه وسلم) يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها من الأيام ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا دخل العشرُ شدَّ مئزرَه، وأحيَا ليله ، وأيقظَ أهلَه) ، ومعنى شد المئزر : أي اجتهد في العبادة ، وقيل: كناية عن اعتزال النساء ، وفي رواية قالت : " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتهدُ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ ما لا يجتهدُ في غيرِه ".

ولعل الحكمة من ذلك أن هذه الأيام تحوي بين لياليها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، والتي يتجلى فيها أعلى مظاهر العطاء الرباني والكرم الإلهي على الخلق ، أو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يكثر من العبادة في العشر الأواخر من رمضان لقرب انتهاء هذا الشهر الكريم ، والأعمال بخواتيمها ، فمن ختم له بخير فقد أفلح ونجح ، ومن ختم له بشرّ فقد خاب وخسر .

والعبادة في الليل أبعد عن الرياء المحبط للأعمال ، وهي دأب الصالحين لمن أراد أن يلحق بركبهم ، فقد أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم أن دأب المؤمنين الصالحين قيام الليل ، والتهجد والوقوف بين يدي الله سبحانه قال (عز وجل) : {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا

سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وقد أشار الحق سبحانه إلى حال عباده المتقين في قيام الليل وهجر الفراش ، ولذلك استحق هؤلاء المؤمنون جنات وعيون ، كما وعدهم الحق سبحانه وتعالى فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا من اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

ويوصينا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقيام الليل فيقول: (عليكم بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ) ، على أن إحياء الليل وقيامه لا يتوقف على الصلاة وفقط ، فتلاوة القرآن قيام ليل ، ومذاكرة الحديث قيام ليل ، وذكر الله قيام ليل ، وكل نافلة يتقرب بها إلى الله بعد العشاء فهي قيام ليل .

ومنها: إيقاظ الأهل : للمشاركة في قيام الليل ، وتلمس ليلة القدر ، لأن الإنسان مسئول عن أهله ، انطلاقا من قوله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكلُّكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِه ، فالإمامُ راعٍ ، وهو مسئولٌ عن رعيَّتِه، والرَّجُل في أَهلِهِ راعٍ، وهو مسئولٌ عن رعيَّتِه ...) ، وقد كان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يوقظ أمهات المؤمنين للعبادة والطاعة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزعًا ، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّين - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ) ، وعن زينب ابنة أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: (...كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشَرَةُ أَيَّامٍ لَمْ يَذَرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ).

فحري بنا أن نقتدي بفعل النبيّ (صلى الله عليه وسلم) تحقيقًا لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}، فإيقاظ الأهل للتعبد والطاعة سبب من أسباب رحمة الله (عزّ وجلّ) التي نتلمسها في هذا الشهر الكريم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، ورَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ).

ومنها: **شدّ المئزر**: وهو كناية عن شدة اجتهاده (صلى الله عليه وسلم) في العبادة زيادة على عادته في غير رمضان ، والمراد به : التشمير في العبادة ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: (كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا جَاءَتِ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ ، وَشَدَّ مِئْزَرَهُ وَاجْتَنَبَ النِّسَاءَ ، وَجَعَلَ عَشَاءَهُ سَحُورًا) .

ولم يقف الأمر عند مجرد إحياء الليل ، وإيقاظ الأهل ، وشد المئزر ، بل تعدى ذلك إلى بيان الحالة والهيئة التي ينبغي أن يكون العبد عليها من جدٍّ واجتهاد ، ليكون من الفائزين المفلحين ، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

إن إحياء العشر الأواخر من رمضان بهذه الكيفية ، وبهذا الهدي النبوي الكريم لهو ترجمة حقيقية للإيمان الصادق ، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، ومن ثم تترسخ القيم الخلقية، والإنسانية ، ومكارم الأخلاق التي تنظم سلوك الإنسان، وتجعله مستقيما في كلّ شئون حياته ، في العقيدة ، والآداب ، ومعاملة الناس.

وإذا كانت العشر الأواخر من رمضان أيامًا عظيمةً امتن الله تعالى بها على عباده بأن أعطاها نفحات ربانية ، حيث تتضاعف فيها الحسنات، ويعظم فيها الأجر والثواب، ويغفر الله تعالى فيها الذنوب والسيئات ، فقد جعل الله تبارك وتعالى فيها ليلة القدر ، إكراما من الله (عز وجل) لأمة حبيبه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حتى تكثر حسناتها، وترتفع درجاتها ، ولا تسبقها الأمم الأخرى ، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ * لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}.

ولهذا كان من سُنةّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) الاجتهاد في العبادة والطاعة في تلك العشر ، وبذل الوسع في تحري تلك الليلة الفاضلة – ليلة القدر – التي هي خيرٌ من ألف شهر ، فينقطع الإنسان عن كل الخلائق ، مشتغلاً بقيامها وإحيائها بالذكر، والتلاوة ، والدعاء، ويتخلى عن جميع ما يشغله، ويعكف بقلبه على ربه وما يقربه منه، طلبًا لفضله وثوابه، وإدراكًا لليلة القدر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوتْرِ مِنَ العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) ، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) السيدة عائشة (رضي الله عنها) بالدعاء فيها ، حين قالت (رضي الله عنها) للنبي (صلى الله عليه وسلم): أرأيت إن وافقت ليلة القدر مَاذَا أقول فيها ؟ قال: قُولِي: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) .

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم لعظم قدرها عند الله (عز وجل) ، وقيل: القدر بمعنى الضيق ، لضيق الأرض عن الملائكة التي تنزل فيها ، ففي الحديث : (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى) .

وليلة القدر لها قدسية خاصة ، حيث جعل الله قيامها سببًا لمغفرة الذنوب ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذَنْبِهِ)، ومن ثم فعلى المسلم أن يحرص على إحياء هذه الليلة العظيمة ، ويستثمرها في طاعة الله (عز وجل) ، فقد جعل الحق (سبحانه وتعالى) العبادة فيها خيرًا من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ففيها أنزل الله كتابًا ذا قدر، على نبي ذي قدر ، بواسطة ملك ذي قدر ، على أمة ذات قدر .

فلنغتنم هذه الأيام بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، وكل ما يقربنا إلى الله (عز وجل) ، حتى لا نكون من المحرومين من رحمات الله تعالى في هذه الليلة ، فإن الحرمان في هذه الليلة هو الحرمان الحقيقي ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (...لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ..).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ما أحوجنا ونحن نتحدث عن العشر الأواخر من رمضان وإحياء ليلة القدر أن نتعلم من صيامنا معاني الرحمة ، والتكافل ، وصلة الرحم ، وضبط النفس ، ومن أهم هذه المعاني : معنى المراقبة ، فمراقبة الله تعالى في السر والعلن من أهم القيم السامية والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام .

وإذا كان شهر رمضان مدرسة تهذب السلوك وتسمو بالأخلاق إلى أحسنها ، فالصيام يربي النفس على مراقبة الله (عز وجل) في السر والعلن ، حيث يغرس في نفس الصائم الصبر على طاعة الله سبحانه ، ويعلمه قوة الإرادة ، وضبط النفس ، ففي كثير من الأوقات يكون الطعام والشراب بين

يدي الصائم بعيدًا عن أنظار الناس ، ومع ذلك يمتنع عن تناولهما خوفًا من الله (عز وجل) وخشية منه سبحانه ، وعلمه بأن الله تعالى يراه ، ومطلع عليه في سره وعلانيته ، فيزداد إيمانه فلا يخاف غير الله ، ولا يخشى سواه ، وهذا ما فسره الحديث الشريف : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ ، قَالَ الله تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي)، وقد حثنا الله تعالى على مراقبته في كل أحوالنا وتصرفاتنا، فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، فإذا راقب الإنسان ربه في كل أحواله انضبط سلوكه وتصرفاته ، وحسن عمله واستقامت حياته ، سواء رآه الناس أم لم يروه ، وسواء أثنوا عليه أم لا ، فلا يظلم نفسه ولا يظلم غيره ، حتى وإن غابت عنه رقابة البشر ، لأنه يدرك أن الله تعالى معه حيث كان في السفر أو الحضر ، في الخلوة أو في الجلوة ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، وقد عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المراقبة بالإحسان كما ورد في حديث جبريل (عليه السلام) حين سأله قائلاً : (فأخبرني عَنِ الإِحْسَانِ؟. فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ، لذا وجب علينا جميعًا أن نراقب الله تعالى ، ولنحذر أن تكون أجسادنا بلا ضمائر حية متصلة بالحق والخير والمعروف ، حتى تتنزل علينا رحمة الله تعالى ومغفرته ، فكما بدأنا شهر رمضان بالطاعات فلنختمه أيضًا بالطاعات ، فالأعمال بالخواتيم.

* * *

خطبة عيد الفطر المبارك ١٤٣٨هـ

الحمد لله ، والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد انقضى رمضان بأيامه الفاضلة ، ولياليه العامرة ، وفاز فيه من فاز بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ، نسأل الله تعالى أن نكون منهم ، وأن يتقبل منا صلاتنا وصيامنا ، وركوعنا وسجودنا ، وأن يكتبنا فيه من العتقاء من النار ومن المقبولين.

واليوم يشرق علينا عيدُ الفطر المبارك ببهجته وفرحته ، أعاده الله علينا وعلى البشرية كلها بالخير واليمن والبركات ، فهو يومُ فرحٍ وسرورٍ ، جعله الله (عز وجل) ختاما للشهر الكريم ، ليفرح الصائمون والطائعون بطاعتهم لله (عز وجل) ،{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ ... إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ– فَرِحَ بِصَوْمِهِ) ، وقد عُرفَ بيوم الجائزة ، فمن أتم صيامه وقيامه ، وبذل فيه من العطاء ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، وأعطى من حرمه ، ووصل من قطعه ، وعفا عمن ظلمه ، صدق فيه قول الحق سبحانه: {قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، فالعيد الحقيقي في حياة الإنسان أن تكون علاقته بالله (عز وجل) في خير حال، فكل يوم يمر عليه دون أن يعصي الله تعالى فهو عيد ، وكل يوم يمر عليه بأمن وسلام فهو عيد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سربِهِ ، مُعَافًى في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا).

والعيد في الإسلام له معنيان كبيران ، معنى رباني، ومعنى إنساني، فالمعنى الرباني هو أن لا ينسى الإنسان ربه بالعبادة في يوم العيد ، فيبدأ المسلم يومه بالتكبير وبالصلاة - صلاة العيد - والتقرب إلى الله (عز وجل) بالطاعة بعد الطاعة ، فبعد نعمة الصيام والقيام تأتي نعمة التهليل والتكبير ، يقول الحق سبحانه:{وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } أي: لتكملوا عدة رمضان ثلاثين يوما ، أو تسعة وعشرين وفق الهلال، لتكبروا الله على ما هداكم إليه من الطاعة في صلاة العيد ، وكان أحد العلماء يقول: إذا وفقني الله إلى طاعة ، ثم وفقني إلى شكر الطاعة ، علمت أن الشكر نعمة جديدة تحتاج إلى شكر جديد ، لأنها هداية جديدة.

وأما المعنى الإنساني: فهو أن يفرح الإنسان بفضل الله تعالى عليه ، ويتواصل مع أهله وجيرانه ، وذوي رحمه بالفرح والسرور ، في غير إسراف ولا مخيلة .

ولا ريبَ أنَّ هذه الأيام فرصة لكسب الحسنات من خلال صِلَةِ الرحمِ ، وتعهدهم بالسؤال، فيُعِين فقيرَهم ، ويرحم ضعيفَهم ، ويُنفِّس كربَ المبتلى منهم ، قال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (من أحَبَّ أن يُبسَطَ له في رزقِه ويُنسأ له في أثرِه ، فلْيَصِلْ رَحِمَه)، وفي الحديث

القدسي: (أَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قطعته) ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى :{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.

وقد شرعت الأعياد في الإسلام لحكم سامية ، ومقاصد عالية ، وأغراض نبيلة ، لا تخرج عن دائرة التعبُّد لله ربِّ العالمين في كلِّ وقتٍ وحين ، **ومنها**:

* توطيد العلاقات الاجتماعية بالتزاور والتلاقي ، والتآلف والتعارف ونشر المودة والرحمة بين الناس كافة ، وترسيخ الأخوَّة بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، ففي حـديث النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ، قَالَ: "فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) ، فتعميق التلاحُم وتوثيق الروابط بين أفراد الأُمَّة مقصد من المقاصد العظيمة التي شُرعتْ لأجْلها الأعياد .

* **ومنها** : التذكيرُ بحقِّ الضعفاء والمحتاجين ، وإغناؤهم عن ذلِّ السؤال في هذا اليوم ؛ حتى تشملَ الفرحةُ كلَّ بيتٍ ، وتعمَّ كل أسرة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ) لم يقل: أعطوهم ، ولا أحسنوا عليهم، ولا تصدقوا إليهم، وإنما قال: (أَغْنُوهُمْ) أي: ما يحقق لهم الغنى، ويكفيهم ذلّ المسألة ، فشعيرة العيد فرصة لتتصافَى النفوس وتتآلف القلوبُ ، وتتوطد الصلاتُ والعلاقات ، وتزول الضغائنُ والأحقاد ، فتُوصَلُ الأرحام بعد القطيعة ، وتتصافح الأفئدة والقلوب قبل الأيدي ، ويعم الودُّ والصفاء جميع أفراد المجتمع.

ويجب أن نتجنب في أيام العيد وسائر الأيام الإسراف والتبذير ، وارتكاب المحرمات ، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال ، لا إفراط فيه ولا تفريط ، ولا إسراف ولا تقتير ، يقول الحق سبحانه :{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ، ويقول (عز وجل) : {.. وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} ، فالتبذير المنهي عنه إنفاق المال في غير حقه ، وتفريقه فيما لا ينبغي .

كما أمرنا ديننا الحنيف بالاقتصاد في الطعام والشراب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ – لقيمات – يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) ، فالمسلم الحق لابد وأن يكون معتدلاً في حياته ، مقتصدًا في أموره كلها ، ملتزمًا بالمنهج الوسطي في طعامه وشرابه وسائر تصرفاته ، حتّى لا يدخل في باب الإسراف والتقتير، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع المجتمع من حوله ، والإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والحياة الاقتصادية ، وانتشار الجرائم بكل أنواعها، بالإضافة إلى فساد القلوب والأخلاق ، لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالتوازن والتوسط ، فقال سبحانه: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} ، ويقول سبحانه: {والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} .

فالتوجيه القرآني يرشد الإنسان إلى أن يكون متوسطًا في أموره كلها، معتدلاً في إنفاق أمواله، بحيث لا يكون بخيلاً ولا مسرفًا ؛ لأن الإسراف والبخل يؤديان به إلى أن يصير مذمومًا من الخلق والخالق إفراطًا أو تفريطًا .

* * *

الخطبة الثانية

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر

الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .. الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن المؤمن الحق مطالب بالمداومة على الطاعات والعبادات ، فالطاعة ليس لها موسمٌ معينٌ ، حتى إذا ما انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي مرة أخرى ، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة العبد وتحقق شروط تكليفه بها ، وهذا ما كان يفعله النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وقيل لبشر الحافي – رحمه الله – : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان ثم يفترون بعده عن العبادة ، فقال: (بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها).

إن المداومة والمواظبة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، وقوله :{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} أي: إذا انتهيت من عبادة وطاعة فتلبس بطاعة وعبادة أخرى قاصدًا بها وجه الله (عزّ وجلّ) .

ومن الأعمال التي يجب على الإنسان المواظبة عليها ، ما سنَّهُ لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الصيام في شهر شوال، فقد أرشدنا (صلى الله عليه وسلم) إلى فضل صوم الست من شوال ، وحثَّ عليها ورغَّب في صيامها ،

فقال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) فصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يُستكمل بها أجر صيام الدهر كله.

فإذا صامها المسلم بعد رمضان كان ذلك علامة من علامات القبول ، فإن الله (عز وجل) إذا تقبل عمل المسلم ، وفقه لعمل صالح بعده ، فمن عمل حسنةً ثم أتبعها بحسنة بعدها ، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، فلنحرص على صيام هذه الأيام تقربًا إلى الله (عز وجل) وطمعًا في رضاه .

ولنحرص أيضا على ماكنا نتقرب به إلى الله (عز وجل) في رمضان من الذكر ، وقراءة القرآن ، وغير ذلك من أعمال الخير .

* * *

ماذا بعد رمضان ؟
وماذا أفدنا منه؟

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فما أسرع ما تنقضي الأيام ، وما أعجل ما تنتهي الشهور والأعوام ، وتلك سنة الله (عز وجل) في خلقه ، لا تتبدل ولا تتحول ، قال تعالى:{فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}، أيامٌ تمرُّ وأعوامٌ تكرُّ ، وفي تقلب الدهر عبر ، وفي تغير الأحوال مُدَّكر ، يقول سبحانه : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}.

بالأمس القريب كنا نعيش في شهر رمضان ، نصوم نهاره ونقوم ليله ، ونقرأ القرآن ونتصدق من فضول أموالنا ، ونتسابق إلى الخيرات ، فكان موسمًا عظيمًا للتجارة الرابحة مع الله (عز وجل).

وانقضى شهر رمضان بخيراته وبركاته ، فهنيئًا لمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا ، وهنيئًا له التأسي بالسلف الصالح (رضوان الله تعالى عليهم) الذين كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهرٍ أخرى أن يتقبله منهم ، فكل أوقاتهم عبادة ، فليحمدِ الله (عز وجل) على توفيقه ، وليسأله سبحانه وتعالى القَبولَ ، فإنَّ الله (عز وجلَّ) لا يُضِيع أجْرَ مَن أحسن عملاً ، وليكن لسان حاله ما قاله سيدنا سليمان (عليه السلام) : {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

والمتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين اليوم بعد مضي شهر رمضان يجد أنهم قد انقسموا إلى فريقين:

الأول: المؤمن الحق الذي أثر الصيام في أخلاقه وسلوكه ، فيعلم علم اليقين أن ربَّ رمضان هو ربُّ جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه (عز وجل) ، فهو عبد ربانيّ وليس عبدًا رمضانيًّا ، فيستمر على عبادته بعد رمضان ، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات ، والبعد عن المحرمات.

والثاني: حال من لم يستفد من صيامه فلم يؤثر الصيام في خشيته لله وحسن مراقبته الدائمة له ، وكأنهم يعتقدون أن الله تعالى رقيب عليهم في رمضان وغائب عنهم في غير رمضان ، {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، وهؤلاء لم يكن لشهر رمضان أثرٌ في نفوسهم وقلوبهم ، أما المسلم الحق فيستمر على طاعة الله تعالى بعد رمضان ، ويعملُ العمل راجيًا من الله (عز وجل) القبول.

على أن العمل الصالح له علامات قبول يَعرف بها العبدُ أن الله تعالى تقبل منه عمله وطاعته ، ومن هذه العلامات :

* **المداومة على الطاعة والاستمرار عليها** دون تقيد بزمان أو مكان ، فليس للطاعات موسمٌ معينٌ ، وإنما هي مستمرة مع العبد في حياته كلها ، لا تنقضي حتى ينقضي أجله ، وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، أي: استمر على الطاعة والعبادة حتى يأتيك الموت ، وحين سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (كيف كان

عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) ، ولما سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) ، ومن هنا يجب على المسلم أن يستمر على الأعمال الصالحة ، وأن يستقيم على الطاعة ، فقد أمر الله (عز وجل) نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين بالاستقامة وحثَّهم على ملازمتها ، فقال سبحانه : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال: (قل: آمنت بالله ، ثم استقم) ، فالاستقامة على الطاعة والاستمرار عليها من صفات عباد الله المؤمنين ، يقول تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، وقال الحسن البصري : " إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها ، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها ، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة ، ويصرفه عن المعصية ".

فمن عمل حسنة ثم أتبعها بأخرى كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، ومن عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على ردِّ الحسنة وعدم قبولها ، فالطاعة المتقبلة تتبعها مثلها ، وهذا من حسنها وبركتها ، والسيئة تجر إلى مثلها.

* **ومن علامات قبول العمل الصالح** : **حسن الخاتمة** ، وحقيقتها : أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال

الحسنة ، فالمداومة على الأعمال الصالحة من علامات حسن الخاتمة ، وقد دعانا الحق سبحانه وتعالى إلى السعي الجاد لحسن الخاتمة ، فقال (عز وجل): {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، ودعا إليها الأنبياءُ والمرسلون ، فالله (عزّ وجلّ) يقول عن إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام): {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، ويقول على لسان يوسف (عليه السلام): {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) ، فليحرص كل مسلم عاقل على حسن الخاتمة لكل أعماله ، لتحقيق السعادة الأبدية ، وهي الفوز بالجنة التي أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم .

ومن هذه النماذج التي أحسن الله ختامها : قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ، والذي أخبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ

وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَط. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدمي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ) ، فعلينا أن نداوم على الطاعات ، وأن نستمر على ما تعودنا عليه من الأعمال الصالحة ، حتى يتقبل الله منا جميع أعمالنا ، وحتى يحسن الله خاتمتنا .

* **ومن علامات قبول العمل الصالح** : **الخوف من عدم القبول** ، فالله سبحانه وتعالى غني عن طاعاتنا وعباداتنا ، قال (عز وجل): {وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}، وقال تعالى: { إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } ، والمؤمن مع شدة إقباله على الطاعات ، والتقرب إلى الله بأنواع القربات إلا أنه مشفق على نفسه أشد الإشفاق، يخشى أن يُحرم من القبول ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال: (لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات) ، فعلى الرغم من حرصه على أداء هذه العبادات فإنه لا يركن إلى جهده ، بل يستقل أعماله، ويُظهر الافتقار التام لعفو الله ورحمته ، ويمتلئ قلبه مهابة ووجلاً ، يخشى أن ترد عليه أعماله والعياذ بالله، وقد كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين

يؤتون ما آتوا وقلـوبهم وجلة، يعطـي ويخشى ألا يقبل منه ، يتصدق ويخشى أن ترد عليه ، يصوم ، ويقوم ويخشى ألا يكتب له الأجر ، فكانوا لقبول العمل أشد اهتمامًا بالعمل ذاته.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

من علامات قبول العمل الصالح: أن يظهر أثره في سلوك المسلم وأخلاقه ومعاملاته مع الخلق ، وفي مراقبة الله (عز وجل) له ، فإن الطاعات وسيلة لتزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، وسلامة الصدور ، وكلّما ازدادَ المسلم طاعةً ازداد عِلمًا وعملاً وهدًى، قال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، فالمجتَمَع الذي يداوم أفرادُه على الطاعات تضعف فيه نوازِع الشرّ ويُحَصَّن من الفساد ، لأنَّ العبادات والطاعات تهذّب الأخلاق وتقوِّم السلوكَ ، ومن ثم ينصلح حال الفرد ويرقى المجتمع بأخلاقه.

وعلى هذا فلنستعن جميعًا بالله ، ولنداوم على الطاعة والعمل الصالح ، ونخلص لله (عز وجل) العمل ، لأن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه ، يقول تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، ونعزم على عدم العودة إلى الذنب مرة ثانية ، ولا نكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ، قال مجاهدٌ وقتادةُ – رحمهما الله –: هذا

مَثَلٌ لِمَن نقض عهدَه بعد توكيده ، وهذا مَثَل العمل الذي لا يكون له ثمرةٌ ولا نتيجة إلاَّ التعب والنصب.

ولنا أن نتخيل تاجرًا جمع المال حتى كثر ، ثم تركه دون حراسة فعرضه للسرقة والضياع؟ وهذا حال من عبد الله في رمضان وعمل الصالحات دون أن يؤمنها بالطاعات ويحصنها بالاستقامة ، فهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي حذرنا منه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ).

ونذكر بصيام الست من شوال التي رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في صيامها بقوله: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) ، فمن مَنَّ الله عليه بصيامها نسأل الله تعالى له القبول ، ومن لم يتم صيامها فأمامه فيما بقي من الشهر متسعٌ كبير .

ولنا أن نتساءل : ماذا أفدنا من رمضان ، ومن تلاوة القرآن الكريم فيه؟ هل تخلقنا بأخلاق القرآن ، وأخلاق نبي القرآن (صلى الله عليه وسلم) ، من الرحمة والكرم ، والبر والصلة، وحسن المراقبة لله (عز وجل) ، وإتقان العمل ، وحسن التعامل مع الخلق، وحفظ الدماء والأموال والأعراض ، وحب الأوطان والحفاظ عليها ؟ ، إن كان كذلك فهذا هو الصيام الحق ، وهذا هو الفهم الصحيح للإسلام ، أما إن كان غير ذلك من شطط أو جنوح نحو الفوضى ، أو الفساد والإفساد ، أو التخريب ، أو ترويع الآمنين ، أو سفك الدماء ، فهو ما لا علاقة له بالإسلام ولا بالقرآن ، ولا صام صاحبه ولا استفاد بصيام .

الحج بين فقه الأولويات
وفقه النسك

الحمد لله رب العالمين ، القائـلِ في كتابهِ العزيزِ :{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحـدَهُ لا شَريكَ لَـهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنـا محمـدًا عَبـدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليَه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الحج فريضة من أجل الفرائض التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وركن من أركان الإسلام ، وركيزة من ركائزه ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)، والحج موسم من أعظم مواسم الطاعة ، وبلوغ المغفرة والرحمة والرضا والرضوان، فرضه الله تعالى على المستطيع من عباده ، فقال: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا) ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ) ، ثُمَّ قَالَ: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ،

وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ) ، والحج دعوة أطلقها الخليل إبراهيم (عليه السلام) بأمر ربه (عز وجل) قال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}.

والحج من أفضل الأعمال وأعظمها أجرًا عند الله تبارك وتعالى ، فقد سُئِلَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (حَجٌّ مَبْرُورٌ) ، والحاج وافد على الله (عز وجل) ، وحق على المزور أن يكرم زائره ويحسن إليه ، والكريم جل جلاله يعطي على قدره ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ) ، ومن عظيم أجر الحج أن الحاج يعود من حجه وقد غفر الله ذنبه ، قَالَ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) ، وفي رواية: (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، فالحج رغم أنه مرة واحدة في العمر كله ، إلا أن تأثيره يمتد بقية عمر الإنسان إن أحسن في أداء المناسك وأخلص فيها.

فينبغي للمؤمن أن يَغْتَنِمَ الفرصة لأداء فريضة الحجِّ إن يسر الله عز وجل له السبل ، وتحققت فيه الاستطاعة المالية والبدنية وألا يؤجل ربما تحدث له أمور تَشْغَلُه أو تَعُوقُه عن أداء الحج ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ – يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ – فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ) ، وقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ).

أما من أعانه الله تعالى فأدى حج الفريضة ، فنؤكد أن فقه الأولويات يقتضي تقديم فروض الكفايات على جميع النوافل بما فيها حج النافلة ، أو

تكرار الحج والعمرة ، فإطعام الجائع أو كسوة المحتاج ، أو التيسير على معسرٍ وقضاء حاجته ، أو الصدقة على فقير وكفايته ، أو فك أسر سجينٍ مدينٍ بدينٍ أولى من حج النافلة والعمرة ؛ لأنها عبادة متعدية النفع ، وذلك بخلاف حج التطوع وعمرة التطوع؛ فنفعهما قاصر على صاحبهما ، فقد راعى الإسلام ترتيب الأولويات ، فأمر عند التفاضل بتقديم المصلحة المتعدي نفعها على القاصرة النفع ، والعامة على الخاصة، والناجزة على المتوقعة.

والحج شأنه كشأن بقية الفرائض التي تحمل معاني تعمل على تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق حتى يؤثر جلال الشعائر على تهذيب المشاعر ، فالعبادات تحمل في طياتها كل المعاني الخلقية والإنسانية ، ولها ثمرتها التي تؤثر في أخلاق صاحبها وسلوكياته ، فهو يغرس في نفوس المسلمين الفضائل والسلوك القويم ، ويدعوهم إلى محاسن الأخلاق ، وإلى وحدة الصف ، وإلى التعارف والتعاون والتراحم والتكافل ورحمة القوي بالضعيف والإيثار ولين الجانب ، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}، وفي هذا إشارة إلى علاقة الأخلاق والسلوك بالحج.

إن الحج ليس كلمة، وإنما هو سلوك ومسئولية وخلق، فلا يتصور أبدًا أن يكتمل حج إنسان دون أن يتخلق بأخلاقياته ؛ لأن الحج شُرع ليطهر الروح والنفس من كل أشكال الرفث والفسوق، قال تعالى :{فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ }، فالمسلم إذا تحققت فيه آثار العبادات وتحلى بالآداب الشرعية ، وأصبحت أخلاقه انعكاسًا لما يعلمه ويعمل به من دين الله (عز وجل) كان من أهل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

والحج والعمرة قائمان في الأساس على التطهر والتخلص من الحرام بكل صوره قبل أدائهما، من هنا كان من الواجب على من قصد البيت حاجًا أو معتمرًا أن يتزود بالمال الحلال وأن يتخلص من أي مال حرام أو فيه شبهة؛ لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وقَالَ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)، فالمال الحلال والكسب الطيب يشرح الصدر، ويكسب الطمأنينة ، ويعين على الطاعة ، فيجب أن يكون المال حلالاً، خالصا من كل شائبة.

كما يجب على من أراد الحج وعزم على أداء هذه الشعيرة أن يسارع لسداد ما عليه من ديون وحقوق للآخرين ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ)، فقد حذر الإسلام كل الحذر من التهاون في أداء الدَّين، أو المطل والتأخير في قضائه، أو التساهل وعدم الاكتراث بأدائه، فمن عزم على قضاء الدين ورد الحقوق إلى أصحابها أعانه الله ويسّر له، قال(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ).

والحج قائم على التسليم المطلق لله (عز وجل) ، فمن بداية رحلة الحج يعلن الحاج عن صدق توكله على الله وتفويض كل أموره إليه ، ويردد:

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ.

*   *   *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الحج قائم على التيسير ورفع الحرج ، فكل مظاهر الغلو والتشدد في الحج مرفوضة جملةً وتفصيلاً ؛ لأنها على غير هدي الإسلام ، وهذا ما أكده سيدنا محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) عمليًا ، حيث رفض وأنكر كل أشكال التشدد في الحج، فعنْ أنسٍ (رَضِي الله عَنهُ) أنَّ النبيَّ (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) رأى شَيْخًا يُهَادَى – أي يمشي متحاملًا – بَيْنَ ابْنَيْهِ ، قَالَ: (مَا بالُ هَذا؟) قالُوا: نَذَر أنْ يَمْشِي ، قَالَ: (إنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هَذا نَفْسَهُ لَغَنِي ، وأمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ) ، فرغم عدم استطاعته وقدرته على السير إلا أنه نذر أن يأتي الكعبة ماشيًا ، وهذا من التشدد المرفوض في الدين ، فالله (عز وجل) لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، فبين له النبي (صلى الله عليه وسلم) الصواب وأمره بفعله ، ومثله ما جاء عَنْ عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ (رَضِي الله عَنهُ) قَالَ: نَذَرَتْ أُخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللهِ وَأَمَرَتْنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَاسْتَفْتَيْتُهُ ، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : (لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ).

ومظاهر اليسر في الحج متنوعة ، منها : **رفع الحرج في ترتيب أعمال يوم النحر** ، فاجتماع الحجيج على عملٍ واحدٍ في يومٍ واحدٍ وساعةٍ واحدةٍ فيه من المشقة والعنت ما فيه ، فرفع الشرع عنهم الحرج والضيق ، وبين الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أنّ مَن قدّم بعض هذه الأعمال على بعض فلا حرج عليه ولا إثم، فقد وَقَفَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فَقَالَ: (اذْبَحْ ، وَلاَ حَرَجَ) فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، قَالَ: (ارْمِ ، وَلاَ حَرَجَ) فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ ، وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ : (افْعَلْ ، وَلاَ حَرَجَ) على أن التيسير الذي نتحدث عنه ونسعى إليه هو التيسير المنضبط بضوابط الشرع المقرون بمدى القدرة والاستطاعة ، إذ ينبغي أن يحرص المستطيع على أداء العبادة على وجهها الأكمل والأفضل الذي يحقق لصاحبه أعلى درجات الفضل والثواب ، وبما لا يصل إلى حد التهاون الذي يفرغ العبادة من مضامينها التعبدية الأصيلة السامية ، وبحيث لا تنحصر همة الإنسان في تتبع كل الرخص في كل الأركان والواجبات وعلى كل المذاهب ، إنما يأخذ من الرخص ما يقتضيه واجب الوقت وظروف أداء الشعيرة وموجبات التيسير .

ومنها: **الإذن للضعفاء أن يدفعوا من مزدلفة** إلى منًى قبل الناس حتى لا يضايقهم الأقوياء أثناء دفعهم إلى منى، قَالَ سَالِمُ بنُ عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم): كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ فَيَذْكُرُونَ اللهَ مَا بَدَا لَهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الْإِمَامُ وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ – أي قبل أن ينزل من المزدلفة – ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوُا

الْجَمْرَةَ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) يَقُولُ: أَرْخَصَ فِي أُولَئِكَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ومن مظاهر التيسير في الحج: **جواز الوكالة في رمي الجمرات تيسيرًا** على ذوي الاحتياجات الخاصة من مرضى ونحوهم ، أو تخفيفًا للزحام ، وجعل نوع الفدية في الحج على التخيير وليست على الإلزام ، قال تعالى: {... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أذى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...}، فالإسلام في مظهره وجوهره هو دين الرحمة واليسر ومراعاة مصالح العباد، قال تعالى :{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }، وقال تعالى :{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ).

فحري بكل من قصد البيت الحرام أن يأخذ بالأيسر لنفسه ولحاله في الحج ، وليجعل من اليسر منهجَ حياة له في الحج وغيره ، فاليسر دائمًا وأبدًا لا يأتي لصاحبه إلا بكل خير .

* * *

الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فكلما لاحَ في الأفق هلالُ شهر ذي الحِجَّة تجلت في الأذهانِ شعائر الحج ، ومناسكه ، الركن الخامس من أركان الإسلام ، وتداعت إلى الذاكرة تلك الخطبة التاريخية المعروفة بخطبة حجة الوداع .

ففي العام العاشر الهجري قصد النبي (صلى الله عليه وسلم) بيت الله الحرام ؛ لأداء مناسك الحج ومعه جمع غفير من أصحابه (رضي الله عنهم) ، وقد عُرفت هذه الحجة بحجة الوداع ؛ لأنه (صلى الله عليه وسلم) ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها.

وفي هذه الحجة خطب النبي (صلى الله عليه وسلم) خطبته المشهورة بخطبة الوداع ، والتي تمثل في بلاغتها وفصاحتها وإيجازها قيمة إيمانية وتشريعية وإنسانية عظيمة وراقية ، وتُعد أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان ، ومنهاجًا قويمًا للبشرية ، وهي من جوامع الكلم التي أُوتيها نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، أرسى فيها كثيرًا من قواعد الإسلام ومبادئه ، وعظّم فيها الحرمات، ويتجلى لنا مشهد خطبة الوداع في صعيدِ عرفات ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقف عند الصخرات من جبل عرفة ، في أعظم تجمع بشري في ذلك الوقت ، في لقاءٍ مشهودٍ بين أمَّةٍ ونبيها ، مؤمنين به ، مصدقين

برسالته ، مطيعين لأمره ، بدأت الكلماتُ تتلألأ من فَمِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) وهو يَسْتَشْعِرُ مع كل حرف منها دنوَّ أجلِه بعد هذه المناسك ، وكان يقول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه الكرام : (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا) ، وَطَفِقَ يُوَدِّعُ النَّاسَ ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ .

لقد اشتملت تلك الخطبة على دروس وعبر عظيمة تُعدّ نبراسًا للبشرية كلها ، وتأسيسًا للأمن والسلم المجتمعي والعالمي ، **من هذه الدروس** :

* **ترسيخ مبدأ المساواة والكرامة الإنسانية** بين الناس جميعًا كحق إنساني يحفظ كرامة الفرد في الأمة ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) في خطبته : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ...) ، فقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح ، امتثالًا لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، فالبشرية كلها سواسية دون تمييز طبقي ، أو تعصب قبلي ، فالناس جميعًا ينتمون لأصل واحد ، وأب واحد ، هو آدم (عليه السلام) ، وهو ما رسخه النبي (صلى الله عليه وسلم) واقعًا عمليًّا حين قال: (سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ) ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا) يَعْنِي سيدنا بلالًا (رضي الله عنه) .

* **حرمة الدماء والأموال والأعراض** ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) في خطبته ، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبيهِ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ

(صلى الله عليه وسلم) قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ ، أَوْ بِزِمَامِهِ- قَالَ: (أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ) ، فقد دلت هذه الكلمات البليغة ، بهذا الأسلوب النبوي البديع على عِظم حرمة الدماء ، والأموال ، والأعراض وعصمتِها ، وأنه لا يحل الاعتداءُ عليها بأيِّ نوع من أنواع الاعتداء.

فقد لفت النبي (صلى الله عليه وسلم) انتباه أصحابه (رضي الله عنهم) لهذا اليوم العظيم ، وذكَّرهم بحرمته ، وحرمة الشهر ، وحرمة البلد تقريرًا لما ثبت في نفوسهم من تعظيمها ؛ ليبني عليه ما أراد تقريره وتأكيده من عظم حرمة الدماء والأموال والأعراض ، فالإسلام يدعو إلى الأمن والأمان ، والسلم والسلام ، ويريد للناس جميعًا أن يحيوا حياة مستقرة ، ولا يتحقق لهم ذلك إلا بحقن الدماء والأعراض والأموال .

ومن المعلوم أن حفظ الدماء والأعراض والأموال لا تمييز فيه في الإسلام بين مسلم وغيره ؛ لأن الشريعة كفلت ذلك لكل إنسان بغض النظر عن دينه ، أو جنسه ، أو لونه ، قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، بل جعل الله (عز وجل) قتل نفسٍ واحدة بغير حق كأنه قتلٌ للبشرية كلها ، قال تعالى: { ... مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الناس جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، فلاَ يحلُّ لإنسان أَنْ يعتدِيَ علَى أخيهِ بأي نوع من أنواع الاعتداء ، أو أن يتعرضَ

لهُ بأي لون من ألوان الإيذاءِ ، لقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) ، فأمر الدماء في الإسلام عظيم، لدرجة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ).

وقد حذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) تحذيرًا آخر في هذه الخطبة يتعلق بالدماء وحرمتها ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) ، وهذا تحذير نبوي شديد ، للدلالة على خطورة استحلال الدماء بغير حق.

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس **حرم كذلك الاعتداء على الأموال** بأي صورة من صور الاعتداء غصبًا ، أو سرقة ، أو احتيالًا ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}، وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، وحفاظًا على الأموال بوجه عام حرمت الشريعة الإسلامية السرقة، والغصب ، والاعتداء على المال العام أو الخاص ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ) .

وكذلك حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض ، أو النيل منها بأي وجه من الوجوه فأولاها عنايةً خاصةً ، وأوجب صيانتَها والمحافظةَ عليها ، لا فرق في ذلك بين مسلم وغيره ، فقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}، كما حرم النبي (صلى الله عليه وسلم) قذف المحصنات وعدّه من الكبائر، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)، قيل: يا رسول الله وما هنّ؟ قال : (الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ

بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِناتِ الْغافِلاتِ).

* **الوصية بالنساء ، والمحافظة على حقوقهن** ، فديننا العظيم هو أول من أعطى المرأة حقوقها ، وجعل لها النبي (صلى الله عليه وسلم) نصيبًا كبيرًا فيخطبته ؛ لمـا لها من حقوق آدمية وكرامة إنسانية ، فالنساء شقائق الرجال ، في ضوء الرحمة والمودة والسكينة والحقوق المتبادلة ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ) ، فالمرأة في الإسلام لها حقوقها وعليها واجباتها ، كما للرجل حقوقه وعليه واجباته سواء بسواء ، ولقد لخص القرآن الكريم دستور العلاقة بين الزوجين أجمل تلخيص حين قال:{وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}.

فهذا دليل قاطع على أن الإسلام لم يظلم المرأة أو ينتقص من قدرها ، بل على العكس من ذلك تمامًا ، فقد كرّم الإسلام المرأة أمًا ، وبنتًا ، وزوجة ، وأختًا ، فعندما سُئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ)، وقال: (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا يوم القيامة مِنْ النَّارِ) ، وفي رواية : (مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ ، حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى).

فالرجال آباء أو أبناء أو إخوة أو أزواج مطالبون بحسن المعاشرة للنساء عمومًا ، فلا يحل لهم ظلمهنّ بوجه من الوجوه حتى ولو كان يسيرًا ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: **الحث على وحدة الأمة والنهي عن الفرقة والعصبية** ، فقد حذر رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي خطبته من الفرقةُ والتنافرُ ، والتنازعُ والتدابرُ ، فقالَ (صلى الله عليه وسلم): (إِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ).

إن وحدة الأمة واعتصامها هو سِرُّ بقائها ودعامة قوتها والسبيل إلى نهضتها، لذا كانت دعوة الإسلام إلى الحفاظ على هذا التماسك ونبذ الخلاف والتفرق والتشرذم صريحة واضحة في قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، وكانت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) للأمة بالتزام الوحدة وعدم الفرقة والتنازع ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ) ، وضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في تماسكها وتآزرها ، فقال: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا).

ألا فالحذرَ الحذرَ مِنَ الخلافِ والنِّزاع ، فإِنَّهُ شرٌّ يَجرُّ إِلَى الْفُرْقَةِ والضياع ، والحذرَ الحذرَ مِنَ الانتماءاتِ أَوِ التحزُّبَات لأي جماعة متطرفة أو متشددة أو مستغلة للدين أو متاجرة به ، فإِنَّه شَرٌّ يُؤدِّي بالمجتمعاتِ إِلَى التفكُّكِ والشتات، فيجب أن يتآلف الجميع ويتعاونوا لتحقيق استقرار الأوطان ، وهذا ما أمر الله (عزّ وجلّ) به ، فقال سبحانه: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وما أجدر البشرية جمعاء أن تقف أمام هذا الهدي النبوي العظيم المتمثل في خطبة الوداع التي جمعت في كل ألفاظها ومعانيها الخير للبشرية جمعاء ، فقد كانت بحق سبقًا في تاريخ البشرية حين أرست قواعد حقوق الإنسان ، ورسمت المبادئ والقيم الأساسية الإنسانية والخلقية، فلو تدبَّرها الناس وعملوا بما فيها ، لكانت سببًا في إسعادهم في الدنيا والآخِرة.

* * *

خطبة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٨ هـ

الحمد لله رب العالمين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإنَّ الأعيادَ في الإسلام أيام خير وبركة ، وبرٍّ وإحسان ، وهي من أيام الله (عز وجل) التي ترتبط بأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، فبعد ركن الصيام يأتي عيد الفطر ، وبعد ركن الحج يأتي عيد الأضحى ، فهي مناسبات إيمانية ، بها تفرح النفوس ، وتبتهج الأفئدة ، وتنشرح لها الصدور ، وتستحضر العقول ما مضى من أحداث كي نتخذ منها العظة والعبرة ؛ لنصلح بها أحوالنا ، ونجدد بها حياتنا ، ونغير بها واقعنا إلى أحسن ، يقول سبحانه: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

وهذا يوم عيدنا الأكبر ، عيد التضحية والبذل والعطاء في سبيل مرضاة الله (عزّ وجلّ) ، فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) في خطابه الحاني مع أبيه يقول ناصحًا متأدبًا :{ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا *يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}، ثم يبلغ حسن التأدب والرفق مع الأب غايته حين يقول له:{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ

عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}لم يرمه بكفر ، بل قال: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ } مجرد مسّ ، وفي هذه الكلمة من الرفق ما فيها ، ثم إن المقام مقام عذاب ، ومع ذلك لم يقل: عذاب من الجَبَّار ، وإنما أتى باسم من أسماء الله تعالى فيه رحمة ، في صورة اكتمل فيها الأدب مع أسمى مكارم الأخلاق.

كذلك في رده (عليه السلام) على تهديد أبيه له ، لم يزد على قوله: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}.

وفي هذا الموقف والحوار بين الخليل (عليه السلام) وأبيه دعوة لجميع الأبناء إلى ضرورة مراعاة المشاعر الإنسانية مع الآباء وإن اختلفت الأفكار وتباينت وجهات النظر ، حتى لو كان الوالد كافرًا ، أو حاول أن يحمل ابنه على الكفر ، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم وبينه في قوله تعالى: { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}.

إن مراعاة الجوانب الإنسانية هي مفتاح شخصية الخليل (عليه السلام) في كل مواقفه وحواراته ، حتى في دعائه حين قال: { فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، فلم يقل: ومن لم يتبعني ، حتى لا يشمل الحكم من بلغته دعوته (عليه السلام) ومن لم تبلغه هذه الدعوة ، أما حين قال: {ومن عصاني } فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى ، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ، ودليل على سعة رحمة الإسلام حيث يقول سبحانه:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}، ويقول (عز وجل) : {وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ} .

وسنة الله تعالى في الخلق أن يكون الجـزاء من جنس العمل ، فكمـا

كان الخليل إبراهيم (عليه السلام) أنموذجًا طيبًا للأدب والبر مع أبيه ، فقد رزقه الله (عز وجل) بولد سارَ على درب أبيه في البر وحسن التأدب ، وكمال الطاعة والانقياد لأوامر الله (عز وجل) والتضحية والفداء ، وهو سيدنا إسماعيل (عليه السلام) ، فكل منهما - إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) - يمثل في موقعه علامة بارزة للطاعة والتضحية ، مع شدة البلاء وتنوعه، فإسماعيل كان بِكرَ أبيه ووحيده في ذلك الوقت، امتنَّ الله تعالى به على إبراهيم (عليه السلام) بعد ذهاب القوة ومضي الشباب {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}، فأطاع الابن أباه فيما لا يطيع فيه أحدٌ أحدًا في الذبح وإنهاء الحياة كلها ، قال تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

إنَّ التكليف بهذه التضحية الكبيرة كان عن طريق الرؤيا ، والإخبار بها وتنفيذها من الوالد لولده وجهًا لوجه:{قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}، وقد رغب الوالد أن يشاركه ابنه في الجزاء الأوفى لتمام الخضوع لأمره تعالى :{فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى}، فكان نعم الولد طاعةً وانقيادًا، {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

ولأن الفرج ملازمٌ للشدة ، والمحنة تأتي بعدها المنحة ، فقد جاءتْ عطاءات الله (عز وجل) متتابعة ، بعد أن أظهرا لله ما في قلبيهما من الاستسلام لأمره تعالى دون تخاذل، أو تردد ، أو تباطؤ ، قال تعالى :{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُؤْمِنِينَ}، فكانت الشهادة الربانية للبلاء بالشدة الظاهرة ، ولهما بالإحسان وحسن المراقبة ، وكان الفداء من الله (عز وجل) لإسماعيل بذبح عظيم ، وقد أبقى الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام) الذّكرَ الحسن، والثناءَ الجميل إجابةً لدعوته ،{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}.

إن الدرس الأعظم في قصة سيدنا إسماعيل (عليه السلام) هو منتهى الامتثال والاستسلام الكامل والانقياد التام لأمر الله تعالى ، امتثال يجعل حرص المسلم على أمر الله تعالى وطاعته أشد من حرصه على نفسه وولده والدنيا وما فيها ، يقول الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِينًا}.

وعيد الأضحى هو إحياء لسنة سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وإحياءٌ للسنة المحمدية بالتقرب إلى الله تعالى بشعيرة الأضحية ، مع إخلاص النية فيها وفي سائر أعمالنا لله (عز وجل) ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}، والأضحية قربة وعبادة يُؤجر عليها صاحبها الأجر العظيم ، وشعيرةٌ من شعائر الله واجبٌ تعظيمها ،كما قال تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، وهي ذبيحة توسّعُ بها على نفسك وأهلك ومجتمعك ، وسنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها ، وإحياؤها بالعمل بها.

على أن المقصود من الأضحية ليس اللحم والدم ، ولكن التقوى المُسْتَقرة في القلب ، التقوى التي يريد الله تعالى أن يربي العباد عليها من خلال العبادات التي شرعها لهم ، فهي التي تدفعهم إلى كل خير ، وتمنعهم

عن كل شر ، وتأخذهم إلى تحري مرضاة الله تعالى ، يقول سبحانه:{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

وينبغي أن نجعل من ذبح الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ورقيه وحضارته ، فلا ينبغي الذبح في مداخل العمارات ، والبيوت ، وفي الشوارع ، والأزقة وأمام المساجد والمستشفيات ، مما ينتج عنه مظاهر غير صحية وغير حضارية ، وقد حرم الإسلام الضرر ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ)، كما أمرنا بتطهير الطرقات وإبعاد الأذى عنها ، وعدَّ ذلك من شعب الإيمان ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ).

*   *   *

الخطبة الثانية

الحمد لله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

هذا يوم ينبغي أن يكون رحمة كله ، وخيرًا كله ، لأنه أعظم الأيام ، كمـا أخبرنا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فقال: (إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ – يعني اليوم الذي يليه–).

وإذا كان الإسـلام الحنيف جعل لنا في هذه الأيام مساحةً من السعة

والترويح المباح عن النفس ، نجمّل بها أعيادنا ، ونزين بها أوقاتنا ، ونتغلب بها على تحدياتنا ، ونُسري بها عن نفوسنا ، فلا يَعني هذا أن نتحلل من الأخلاق ، أو القيم ، أو الآداب السوية ، بل لا بُدَّ فيه من الانضباط بالضوابط الشرعيَّة والآداب المرعية ، فديننا دين الوسطية والاعتدال في كل الأمور ، لا إفراطَ ولا تفريط، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ: (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟) قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ) .

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رضي الله عنه) دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى، وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتْ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ ؟ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ) ؛ ذلك ليعلم الناس أن في ديننا فسحة نباهي بها العالم أجمع ، وأنَّ إسلامنا العظيم يجمع بين الدين والدنيا، بين حقوق الروح ومطالب البدن ، بين الطيبات من الرزق وعمل الصالحات من تكبير ، وصلاة ، وكثرة ذكر الله تعالى ، وذبح الأضاحي ، وإعانة ذوي الحاجات والكربات.

وواجب المسلم في هذا اليوم مراعاة الآداب والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية للاحتفال بالعيد ، ومراعاة حرمات الله تعالى، فلا يجوز أن يكون يوم العيد يوم حزن أو همٍّ بالبكاء والندب على الراحلين ، وإنما يكون يوم بهجة وسرور ، يوم تزاور وتراحم ، وإظهار الفرح والسرور والبشاشة في وجه كل من نلقاه من الناس.

وفي العيد يجب ألا ينسى المسلم قيمة التكافل فيرحم القويُ الضعيف ، ويعطف الغنيُ على الفقير ، ويعطي القادرُ ذا الحاجة ، فالإسلام يحرص على بناءِ مجتمعٍ أخلاقيٍّ متقاربٍ ومتحابٍّ ومتعاونٍ على الخير وفعل المعروف.

وفرحة العيد وبهجته لن تكتمل إلا بالتكاتف والتعاون والتواصل ونبذ الفرقة، والتسامح والعفو ، وشعور جميع أفراد الأمة بهذه الصلات التي تجمع بينهم داخل المجتمع الواحد ، هكذا تكتمل فرحتنا بالعيد ، وهكذا يكون شكرنا لله سبحانه على ما تفضل به علينا من نعم ومنن ، قال تعالى:{فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}، وذلك كله بغرض الوصول إلى المجتمع المتحاب المتماسك الذي شبهه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه كالجسد الواحد، في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

سلامٌ من الله تعالى على تلك الأسرة الطاهرة المطهرة ، الوالد القانت الحليم الأواه المنيب ، والأم المؤمنة الموقنة المتوكلة ، والولد البار الصابر المحتسب ، وسلام على سائر الأنبياءِ والمرسلين ، وعلى عباد الله الصالحين.

اللهم هب لنا من الخيرات والبركات ما تفرج به كروبنا ، وتسعد به قلوبنا، وتيسر به طريقنا ، واحفظ اللهم مصر وأهلها من كل مكروه وسوء،{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

* * *

النبي (صلى الله عليه وسلم)
من الميلاد إلى البعثة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

ففي مثل هذه الأيام المباركة من كل عام وفي شهر ربيع الأول يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ذكرى ميلاد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي شهد له الأنبياء برسالته قبل مولده ، وأقروا له بنبوته قبل بعثته ، ثم توّج الله تعالى شهادة أنبيائه ورسله بشهادته ، فقال سبحانه : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}.

ولا عجب في ذلك فقد كان ميلاده (صلى الله عليه وسلم) فاصلاً بين عهدين ، عهد الشرك وعهد التوحيد ، عهد الفوضى وعهد النظام ، عهد الظلم وعهد العدل ، كان العالم قبل مولده (صلى الله عليه وسلم) يعيش حالة من الفوضى والاضطراب ، ضلَّ فيها طريق الهدى والرشاد ، وانحرف فيها عن الفطرة الإلهية والمنهج الربَّاني، كانت البشرية كلها غارقة في جاهلية عمياء يعلوها الشرك وفوضى الأخلاق ، لا سلطان يحكمها ، ولا قانون يجمعها ، فقد

كانت الأموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والحروب متواصلة ، كان العالم يتخبط في ظلام دامس حتى وصل الأمر إلى فقدان العواطف الإنسانية ، بل إلى حد فقدان العواطف الأبوية بوأد البنات خشية الفقر والعار، قال تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}.

لهذا اقتضت إرادة الله (سبحانه وتعالى) أن ينقذ البشرية من هذا الضلال وهذا الظلم ، بأن يرسل إليهم هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والفلاح ، وهو سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكان الميلاد الأعظم منَّةً من الله تعالى على عباده ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الظلم إلى العدل ، حيث قال سبحانه: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}، وقال (عز وجل):{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

وقد كان ميلاده (صلى الله عليه وسلم) استجابة لدعوة الخليل إبراهيم (عليه السلام) حيث دعا ربه قائلًا:{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، وتصديقا لبشارة عيسى (عليه السلام) حيث بشر به في الإنجيل ، ويحكي لنا القرآن الكريم هذه البشارة فيقول:{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}، ولذلك لما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) فقيل له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيسى ..".

والمتأمل في فترة ما بين المولد إلى البعثة للنبي (صلى الله عليه وسلم) والتي تقدر بأربعين عامًا من عمره (صلى الله عليه وسلم) يجد أنه ظهرت فيها العناية الربانية في إعداد سيد البرية (صلى الله عليه وسلم) ، وتجلت فيها الصفات الحميدة التي تنبئ عن كريم أصله وشرف نسبه.

فقد حبا الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بكثير من المناقب والتكريم والتعظيم ، حيث أكرمه ربه في ولادته ، فوُلِدَ في أشرف بيت من بيوت العرب ، وطهر الله أصوله فلم يختلط نسبه بشيءٍ من سفاح الجاهليّة ، فكان من أطهر أنسابهم وأعرق أصولهم ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فأنا خيار من خيار من خيار).

كذلك أكرمه ربه (عز وجل) بحسن نشأته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، يقول الحق سبحانه:{وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ، فقد نشأ (صلى الله عليه وسلم) يتيمًا ، مات أبوه وهو في بطن أمه آمنة بنت وهب ، ولما بلغ من العمر ست سنوات ماتت أمه وعاش في كفالة جده عبد المطلب الذي أعطاه رعاية كبيرة، ثم انتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب بعد موت جده ، لكنه (صلى الله عليه وسلم) كان

في رعاية الله وعنايته ، محفوظًا بحفظه عز وجل له.

ورغم نشأته (صلى الله عليه وسلم) في أجواء الجاهلية إلا أنه تميّز في صغره عن غيره من البشر ، فلم يتلوث بأي من عادات الجاهلية المنحرفة ، وكان ينأى بنفسه عن أخلاق الجاهلية وأفعالهم ، فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرًا، وقد حفظه الله في صغره من أن يقع فيما يقع فيه بعض الشباب ، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا ، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ، وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا، قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): فَوَ اللَّهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ).

ولما بلغ (صلى الله عليه وسلم) مبلغ الشباب أكرمه ربه (سبحانه وتعالى) بحسن خلقه ، واستقامة شبابه ، وكمال عقله ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يتحلى بالأخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة ، وكان من عادته أن يهتم بمن حوله ، فاشتهر عنه مساعدة المحتاجين ، وإكرام الضيوف ، والإحسان إلى

الجيران ، والوفاء بالعهد ، وعفة اللسان ، وكان قمة في الصدق والأمانة حتى عرف بين قومه بـ " الصادق الأمين".

وقد أَلِفَ (صلى الله عليه وسلم) العمل والكفاح منذ صغره فكان يعمل في رعي الأغنام ، ثم اتجه للعمل في التجارة ، ولما رأت خديجة (رضي الله عنها) أن تجارتها قد ربحت أكثر ما كانت تربح ، وذكر لها ميسرة ما رأى من حال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سفره ومعاملته وجميل خصاله، وقع في قلبها حبه ، ورغبت في الزواج منه فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد امتاز (صلى الله عليه وسلم) في شبابه بالمشاركات الإيجابية الفعالة التي كان لها أكبر الأثر في هداية الناس إلى الطريق المستقيم ، حتى جاء التكريم الأعظم ببعثته (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين ، وهاديا للحائرين.

ومن أهم هذه المشاركات الإيجابية وأكثرها تأثيرًا في مكة : **شهوده (صلى الله عليه وسلم) حلف الفضول** ، وقد شارك فيه وهو في سن العشرين، وكان أكرم حلف وأفضله للعرب في الجاهلية ، وسببه أن رجلا من قبيلة (زبيد) باليمن قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وأبى أن يعطيه حقه، فاستعدى عليه الزّبيدي أشراف قريش فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم ، فلما رأى الزبيدي الشر وقف عند الكعبة واستغاث بأهل المروءة ، فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تَيْم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكوننّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يرد إليه حقه ، فسمّت قريش هذا الحلف «حلف الفضول» وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر .

كان حلف الفضول لنصرة المظلوم ، والدفاع عن الحق ، ويعد من مفاخر العرب قبل الإسلام ، ولقد بدت علامات الرضا والفخر بهذا الحلف في كلام

النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول: (لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمُرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الأحداث العظيمة التي شارك فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وهو في سن الخامسة والثلاثين: **إعادة بناء الكعبة المشرفة** حين اختلف أهل مكة فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في موضعه ، وكادوا يقتتلون لولا أن الله (عز وجل) هداهم أن يحكم بينهم أول من يدخل عليهم الحرم ، فإذا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدخل عليهم ، ونظرًا لمعرفتهم برجحان عقله ، وفصاحة لسانه ، وحلاوة منطقه وحكمته البالغة في تقدير الأمور ، قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، وما أن انتهى إليهم حتى أخبروه الخبر ، فقال : (هلمّ إليَّ ثوبًا)، فأتوه به ، فوضع الحجر في وسطه ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا) ، ففعلوا ، فلما بلغوا به موضعه أخذه (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة ووضعه في مكانه.

وقد نتج عن مشاركته (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحدث الجليل أمران: الأول: قطع النزاع وإنهاء الشقاق والخلاف بين أهل مكة على يديه (صلى الله عليه وسلم). والثاني: حصوله (صلى الله عليه وسلم) على شرف

وضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين في مكانه من البيت.

وتطوى الأربعون سنة من حياته (صلى الله عليه وسلم) بتأكيد نبوته وصدق ما جاء به ، لما عرف به من حسن الخلق حتى قالت خديجة (رضي الله عنها) : (كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكَسب المعدوم، وتَقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق).

وكان مسك الختام ببعثة خير الأنام (صلى الله عليه وسلم) بالحق وإلى الحق ، ويبدأ عهد جديد للإنسانية بعد أن مرَّ عليها حين من الدهر كان الجهل شعارها ، والظلم قانونها ، والشرك دينها ، وكانت البداية في جبل النور في غار حراء :{اقْرَأْ باسم رَبك الَّذِي خلق * خلق الْإِنْسَان من علق * اقْرَأْ وَرَبك الأكرم * الَّذِي علم بالقلم}.

* * *

من الجوانب الإنسانية
في حياة الرسول (صلى اللّه عليه وسلم)

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإذا كانت بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هي رحمة للعالمين ولتتمم مكارم الأخلاق نجدها مفعمة بالحس الإنساني ، والجوانب الإنسانية ، سواء في مقاصدها التشريعية أم في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذي حباه ربه (عزّ وجلّ) بالفضائل الإنسانية ، وجمَّله بمكارم الأخلاق حيث قال:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

لقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خلقًا ، وأصدقهم حديثًا، وأكرمهم عشرةً ، فهو الزوج نعم الزوج ، تحققت فيه كل معاني المودة والرحمة والسكن، فهذه زوجه خديجة (رضي الله عنها) تصفه فتقول:"إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"، وها هو (صلى الله عليه وسلم) يحفظ لها عهدها بعد وفاتها ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امْرَأَةٌ ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِطَعَامٍ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) : (إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ ، أَوْ حفظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ).

فهو الزوج الوفيُّ المحبُّ لزوجه في الحياة وبعد الممات ، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِر ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ). وفي رواية قال (صلى الله عليه وسلم) :" مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا ".

وكما كان (صلى الله عليه وسلم) نعم الزوج كان نعم الأب ونعم الجد ونعم الصديق ، أما عن أبوته (صلى الله عليه وسلم) فكان أبًا عطوفًا يحمل بين جنباته كل معاني العطف والحنان والشفقة والرحمة ، وها هو تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام) لما دخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) : وأنت يا رسول الله؟! ، فيقول (صلى الله عليه وسلم): " يا ابن عوف إنها رحمة " ثم قال: " إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون".

ولم يفرِّق (صلى الله عليه وسلم) في المعاملة بين أبنائه ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يعطف على بناته ويكرمهن أعظم إكرام ، وكان إذا دخلت عليه ابنته فاطمة (رضي الله عنها) يقوم لها ويقبلها بين عينيها ، ويجلسها عن يمينه ، وربما بسط لها ثوبه ، بل ويخصها ببعض أسراره تكريمًا لها وإعلانًا لمحبته لها.

وإذا كان عطفه على بناته قد بلغ مبلغًا عظيمًا فقد كان (صلى الله عليه وسلم) نعم الجد مع أحفاده ، فإنه (صلى الله عليه وسلم) لما سجد فِي إِحْدَى صَلاته يومًا وأطال السجود، قال الناس: يا رسول الله ، إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحَى إليك ، قال: (كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنِ ابْنِي (الْحَسَن) ارْتَحَلَنِي– ركب على ظهري – فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ) ، وعندما كان (صلى الله عليه وسلم) يخطب على المنبر (إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ اللَّهُ : {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا). وكان (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا).

وأما عن صحبته (صلى الله عليه وسلم) فكانت نعم الصحبة ، يذكر لأهل الفضل من أصحابه فضلهم ، وكان يقول : " إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ".

بل إنه (صلى الله عليه وسلم) كان يتألم لألم أصحابه ويبكي لمصابهم ، فلمَّا (اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ وَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنهم) ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ (ما يتغشاه من كرب من الوجع الذي هو فيه)، فَقَالَ: قَدْ قَضَى ، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَبَكَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه

وسلم) بَكَوْا، فَقَالَ : أَلاَ تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ....).

ومع كل ذلك نرى فيه الإنسان الذي يخدم نفسه ويكون في مهنة أهله ، فيحلب شاته ، ويخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، فلما سُئِلَت السيدة عَائِشَة (رضي الله عنها) هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ}، وفي رواية: (يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ).

ومن أعظم الجوانب الإنسانية في حياته (صلى الله عليه وسلم) رحمته بجميع أمته ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وأخبر (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الرحمة فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) ، وبهذه الرحمة والرأفة نجح (صلى الله عليه وسلم) في تأليف قلوب مَنْ حَوْلَه ، وصدق الله حيث قال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...}، فقد بلغت رحمته (صلى الله عليه وسلم) بأمته حدًّا يفوق كل تصورات العقول ، حتى شملت كل المخلوقات ، فالطفل له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فحين قَبَّلَ (صلى الله عليه وسلم) الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ : مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ).

ثم لا يلبث أن يسمع بكاء الطفل الرضيع التي كانت أمه تصلي خلفه (صلى الله عليه وسلم) في المسجد فينهي صلاته على عجل رحمة بالرضيع

وحتى لا تنشغل أمه أو تحزن لبكائه، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ).

وكذلك الخادم كان له نصيب من رحمته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فها هو أنس بن مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يقول: (خَدَمْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا كُنْتَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ؟).

حتى الحيوان كان له أيضًا نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم)، فحين دخل (صلى الله عليه وسلم) حائطًا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حنّ وذرفت عيناه فأتاه (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت، فقال (صلى الله عليه وسلم): (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار فقال: لِيَ يا رسول الله ، فقال له: (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ).

ومن الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) : عنايته بالضعفاء والأيتام والأرامل والفقراء والمساكين ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وأشار بالسبابة والوسطى. وقال (صلى الله عليه وسلم) : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) .

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يسعى في قضاء حوائج هؤلاء الضعفاء، ويزور مريضهم ويخفف من آلامهم ، ويطعم جائعهم ، ويقضى عن غارمهم ، يفعل هذا معهم والسعادة تَغْمُر قلبه والرحمة تملأ حنايا صدْره ، فكَانَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) لَا يَأْنَفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم): وفاؤه بالعهد: وهذا الخلق العظيم من أخص خصائصه (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وبعدها ، حتى في ساحة القتال لم يغدر (صلى الله عليه وسلم) ، بل وفَّى بالعهد حتى مع أعدائه ، فعن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي- حُسَيْلٌ- قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : (انْصَرِفَا ، نَفِى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ)، وكان من وصاياه (صلى الله عليه وسلم) في المعارك لأصحابه خاصة وللمقاتلين من أمته عامة : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا ، وَلَا طِفْلًا ، وَلَا صَغِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ومن الجوانب الإنسانية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) : تعامله مع المخطئ برفق ولين ، دون تعنيف أو تسفيه أو تجريح ، فهذا الأعرابي الذي بال في مسجده (صلى الله عليه وسلم) وثار الناس وهموا أن

يفتكوا به لهذا الجُرم الذي فعله، فماذا فعل النبي (صلى الله عليه وسلم)؟!
قال: (دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ – أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ– فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) .

إن إنسانية النبي (صلى الله عليه وسلم) راعت الحقوق ووفَّت بالعهود ، وحافظت على الواجبات مع الجميع ، مع آل بيته (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وجيرانه وأعدائه ، كل هؤلاء كان لهم نصيب من إنسانية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي تفيض رقة وكرمًا وحسن خلق.

فما أحوجنا إلى التأسي بسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وخاصة في الجوانب الإنسانية التي لم تعرف الدنيا لها مثيلاً لتستقيم حياتنا.

* * *

الطريق إلى السعادة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}، وأَشهدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أَنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ورسم له طريق السعادة في الدارين ، وتلك نعمة من أعظم نعم الله تعالى على عباده ، فهي مقصد وغاية كل إنسان ، الأمر الذي يجعله دائمًا وأبدًا يبحث عنها ، وعن السبل التي توصله إليها ، ولو كلفه ذلك ما كلفه ، وقد اختلفت توجهات الناس وتباينت آراؤهم في سبل تحقيق السعادة.

فمنهم من يظن أن السعادة في الغنى وكثرة الأموال وجمعها بأي طريق وأي وسيلة ، فتراهم يسعدون إذا كثر المال ويحزنون إذا قَلَّ ، وهؤلاء نقول لهم: صحيح أن المال يُعدُّ أحدَ ركني زينة الحياة الدنيا كما قال ربنا في كتابه الكريم:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}، وقال سبحانه:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}إلا أن المال وحده ليس كافيًا لتحقيق السعادة لأنه وسيلة لا غاية ، فكثير من الناس لديهم أموال كثيرة لكنهم لا يشعرون بالسعادة ، بل ربما يكون المال فتنة ووبالاً على صاحبه في

الدنيا قبل الآخرة إذا لم يؤدِّ حق الله فيه، لذا يقول الحق سبحانه في شأن المنافقين:{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}، ويقول عز وجل محذرًا من فتنة المال:{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً ، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ . وَعَبْدٍ رَزَقهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ ، فَهُوَ بنيَّتِهِ ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً ، وَلَمَ يَرْزُقْهُ عِلْماً ، فَهُوَ يَخبطُ في مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً ، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ . وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)، فالنعمة الحقيقية في المال إنما هي في المال الصالح ، حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) .

ومن الناس من يرى السعادة في كثرة الأولاد ، ولهؤلاء نقول : مع أن الأولاد هم زهرة الحياة الدنيا وزينتها كما أخبرنا القرآن الكريم في أكثر من آية إلا أن نعمة الولد وحدها لا يمكن أن تحقق السعادة الكاملة ، بل ربما كان بعض الأبناء فتنة لآبائهم في دينهم ودنياهم ، وفي ذلك يقول سبحانه:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، أما النعمة الحقيقية في الولد فهي في الولد الصالح الذي أُحسنت تربيته ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).

ومن الناس من يرى أن السعادة في الشهرة أو المنصب أو الجاه ، على أن هذه أيضًا إن لم يؤدِّ حق الله فيها وقع المتطلع إليها تحت قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ).

أما النعمة الحقيقية فهي فيمن أخذ الأمانة بحقها وأدى الذي عليه فيها فيكون صاحبها في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَال: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا ففاضت عَيْنَاهُ).

ولهؤلاء وأولئك نقول: إن السعادة لا تتحقق بالشهرة وحدها ولا بالجاه وحده ولا بالمنصب وحده ، ولا بالمال وحده ، ولا بالولد وحده ، إنما هي في رضا الله عن الإنسان وتوفيقه له ، ورضا الإنسان بما قسمه الله له ، فيسعد في دنياه وأخراه على حد قول الشاعر :

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا *** وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ومن فضل الله (عز وجل) على عباده أن يسر لهم سبل السعادة وهيأ لهم أسبابها ليسعدوا في الدنيا والآخرة ، **ومن هذه السبل: الإيمان بالله عز وجل والعمل الصالح** : الإيمان الذي يزينه حب الله تعالى وحب رسوله (صلى الله عليه وسلم) وحب المؤمنين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، الإيمان الذي تخشع به القلوب وتخضع به الجوارح ، الإيمان الذي يفجر في قلب الإنسان ينابيع السعادة

بالثقة فيما عند الله (عز وجل) والطمأنينة والسكينة والأمن والأمل والرضا والقناعة مع مباشرة الأخذ بالأسباب ، والتوكل على الله (عز وجل).

فالسعادة الحقيقية لا تكون إلا لأهل الإيمان بالله (عز وجل) والعمل الصالح، يقول سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، ويقول عز وجل: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ الله مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ).

ومن سبل السعادة أيضًا : القناعة والرضا بما قسم الله : فقناعة الإنسان بعطاء الله ، والثقة في رحمته ، ورضاه بما قسمه له قمة السعادة في الدنيا والآخرة ، فمن ذاق طعم الإيمان والرضا ذاق طعم السعادة ، لقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَسُولًا) ، وأكد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على ذلك بقوله: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللهَ ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى الله)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه).

فمن رضي بحاله ، وصبر وشكر ربه على نعمه عاش سعيدًا ، ومات سعيدًا، ودخل الجنة مع السعداء ، ومن سخط فله السخط من الله ، ولن يأتيه في

الدنيا إلا ما كتبه الله له ، فإذا مارضي الإنسان بما قسمه الله له ، وقنع بما أعطاه إياه ، ونظر إلى من هو أسفل منه ولم ينظر إلى من هو أعلى منه في أموره الدنيوية كلها عاش سعيدًا في دنياه وأخراه ، يقول: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ). فبهذه النظرة التي يملؤها الرضا بعطاء الله يرى الإنسان أنه قد تفوق في العطاء على كثير من الخلق ، وساعتها سيزول همه، ويذهب قلقه، ويكشف عنه غمه، ويزداد سروره وفرحه بنعم الله (عز وجل).

كما أن من سبل السعادة: حب الخير للناس والإحسان إليهم، فإن حب الخير للناس وقضاء حوائجهم بطيب نفس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) دون نفاق أو رياء أو سمعة هو قمة السعادة عند كثير من الناس ، فالإسلام دعا أتباعه إلى حب الخير للناس وفعله والتسابق إليه، والمسارعة فيه، وذلك لنشر الألفة بين الناس ، بعيدًا عن الفردية أو الأنانية أو السلبية ، قال سبحانه وتعالى:{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، وقد مدح الله تعالى أهل الخير والبر والعطاء، الساعين لنفع الناس والإحسان إليهم دون النظر إلى مقابل فقال تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}، ويقول الشاعر العربي:

تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ متَهَلِّلاً *** كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُه

ويقول آخر :

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً *** فَلِقَاؤُه يَكْفِيكَ وَالتّسليمُ

فمن يحسن إلى الضعفاء والمحتاجين وغيرهم تحققت له السعادة الدائمة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) ، ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ) .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن هذه السبل وغيرها كالإكثار من ذكر الله تعالى وحسن التوكل عليه، مع الأخذ بالأسباب ، وسلامة الصدر من الأحقاد والأضغان والكراهية والبغضاء ، والوفاء بحقوق الآخرين وغيرها تجعل الإنسان يعيش سعيدًا في دنياه وأخراه ، مع التأكيد أن السعادة الشاملة والراحة الدائمة لا يتحققان إلا في جنة الرضوان ، قال الإمام زين العابدين لرجلٍ من جلسائه: (اتّقِ الله وأجمِلْ في

الطَّلَب، ولا تطلب ما لم يُخلق ، فقالَ الرّجلُ: وكيف يُطلَبُ ما لم يُخلق؟ فقال: مَن طَلَبَ الغنى والأموال والسَّعة في الدنيا فإنّما يَطلُبُ ذلك للِراحة، والراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدُنيا ، إنما خُلِقت الراحةُ في الجنّة ولأهل الجنّة) قال الله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}.

فما أحوجنا إلى تلمس الأسباب الحقيقية للسعادة الدائمة حتى نعيش حياة آمنة هادئة مستقرة.

* * *

حسن الخاتمة

بين الاجتهاد والتوفيق

الحمد لله ربِّ العالمين، القائلِ في كتابهِ الكريم:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن المتأمل والمتدبر لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والسنين ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي ذلك عبر لمن نظر وتفكر واعتبر ، يقول سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}.

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد حسن الخاتمة ، وحقيقتها : أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى، وييسر له سبل التوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ولما كان الإنسان في الدنيا مرهونًا بعمله ، كان التوفيق للعمل الصالح علامة على حسن الخاتمة ،كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) ، وفي رواية : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ)؛ لذا يجب على كل إنسان أن يجتهد ليحسن خاتمته ، وأن يستعد للقاء الله (عز وجل) بالعمل الصالح ، كما وجهنا القرآن الكريم بقوله سبحانه: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، فمن اتقى الله (عز وجل) وأطاع أوامره ، وانتهى بنواهيه ، وفقه الله تعالى للعمل الصالح ثم يقبضه عليه ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ)، فقيل :كيف يستعمله يا رسول الله؟، قال: (يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) ، وفي رواية : (إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسلَهُ) ، قِيلَ: وَمَا عَسلَهُ ؟ ، قَالَ: (يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) ، فالعبرة في الأعمال بخواتيمها ، فمن وفقه الله سبحانه وتعالى للطاعة والعبادة ، وداوم على فعل الخير ختم له بحسن الخاتمة ، وكان من السعداء الفائزين بالجنة ، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}.

وأما من عصى الله (عز وجل) وخالف أوامره ، وانغمس في الشهوات والأهواء كان من الأشقياء الخاسرين ، وكانت خاتمته خاتمة سوء ، كما قال تعالى: {...وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}، وقال تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}.

لذلك دعانا ربنا تبارك وتعالى إلى ضرورة السعي الجاد والعمل المثمر لتحقيق حسن الخاتمة ، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، أَيْ : حَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَالِ صِحَّتِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ لِتَمُوتُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَى عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ أَنَّهُ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعث عَلَيْهِ ، كالشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، قال (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ في سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيلِهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعُبُ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ).

وكذلك من مات حاجًّا بُعِثَ يوم القيامة مُلبيًا ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، فَمَاتَ ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ ، وَكَفِّنُوهُ فِي

ثَوْبَيْهِ، وَلا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ ، وَلا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا) ، وهكذا في سائر أعمال الخير ، فلينظر كل واحد منَّا في الحال التي يرجو أن يُبعث عليها ، ولو فكر كل واحد منَّا في ذلك جيدًا فيما يحب أن يرى نفسه عليه وما لا يحب أن يرى نفسه عليه عند لقاء الله (عز وجل) يوم القيامة لما أقدم على عمل سيء أو منكر أو قبيح قط ، ولا اجتهد أن يكون على الصورة التي يحب أن يلقى الله (عز وجل) عليها.

ولأهميةِ هذهِ اللحظةِ الفارقةِ فِي حياةِ الإنسانِ كانَ الأنبياءُ (عليهم السلام) يدعون أتباعهم ويوصونهم بالحرص على حسن الخاتمة ، فهذا إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام) قال الله عنهما :{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، وهذا الكريم يوسف (عليه السلام) يطلب من الله حسن الخاتمة ، فيقول:{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) مع أن الله (عز وجل) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) كان حريصًا على توجيه أمته إلى حسن الخاتمة ، فكان يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَقُولَ : (اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ) ، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم) : (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ) .

وكَانَ عثمانُ بنُ عَفَّان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تُبَلَّ لِحْيَتُهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي ، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ ، ويقول سهل التستري (رحمه الله): خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة ، وعند كل حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}، وليس الأمر في حسن الخاتمة مقصورًا على العبادات من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج، ودعاء ، وذكر ، وقراءة قرآن فحسب ، إنما يتجاوز ذلك إلى كل عمل صالح يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله (عز وجل).

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن حسن الخاتمة توفيق من الله تعالى ، وهي رجاء الصالحين ، ومن الأمور التي تعين على حسن الخاتمة:

* **الإيمان بالله عز وجل، والاستقامة على منهجه وطريقه:** قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند الاحتضار ، وفي القبور ، وعند البعث منها

* **حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ مع حسن العمل**، فإن الله (عز وجل) عند ظن عبده به، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي...) ،

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ) ، فعلى العبد أن يحذر من سوء الظن بالله (عز وجل) واليأس من رحمته ، وينبغي أن يكون قلبه معلقًا بالرجاء في الله سبحانه وتعالى.

على أن حسن الظن لابد وأن يصحبه حسن العمل ، فعن الحسن (رضي الله عنه) قال: " لَيْسَ الإيمانُ بالتَّمَنِّي ، وَلكنْ مَا وَقَرَ فى الْقَلْب وَصدَّقَهُ الْعَمَلُ، إن قَوْماً أَلْهَتْهُمْ أمَانيُّ المغْفرَة حَتَّى خَرَجُوا منَ الدُّنْيَا وَلاَ حَسَنَةَ لَهُمْ ، وَقَالُوا : نَحْنُ نُحْسِنُ الظّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَكَذَبُوا ، لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لأحْسَنُوا الْعَمَلَ" ، وذلك أن الأمل بلا عمل أمل أعرج فارغ لا طائل منه.

* **التوبة والإنابة لله عز وجل وكثرة الاستغفار** ، قال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ).

* **المداومة على العمل الصالح** فالطاعات ليس لها زمن معينٌ ، بل إنها مستمرة دائمة بدوام حياة الإنسان وتحقق شروط تكليفه بها ، وهذا ما كان

يفعله النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فالمداومة على الطاعات والعبادات هو امتثال لقول الله تعالى:{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، وامتثال لقوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ *وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}، أي: إذا انتهيت من عبادة وطاعة فتلبس بطاعة وعبادة أخرى قاصدًا بها وجه الله عزّ وجلّ.

والمداومة على العمل الصالح من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) ودليل على حسن الخاتمة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) ، فهنيئًا لمن وفقه الله لطاعته ، وأحسن عمله ، وحسّن خلقه ، وسعى في قضاء حوائج الناس ، وفرَّج عنهم كربهم ، ونشر الخير في مجتمعه ووطنه.

وإذا كان حسن الخاتمة من الأمور التي ينبغي أن نجتهد من أجلها ، فإنه ينبغي أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلاً أمام عين الإنسان في كل لحظة ، لأن الخوف منها يدفع الإنسان إلى الإخلاص في العمل ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ).

ألا فليحرص كل عاقل على حسن الخاتمة لكل أعماله الدنيوية والأخروية ، الدنيوية لعمارة الكون ، والأخروية لتحقيق السعادة الأبدية وهي

الفوز بالجنة التي أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم وأجهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى محبة الحق جل جلاله.

* * *

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥
٢	الأخلاق أساس الحضارات الراقية	٧
٣	الكرم في المال والنفس	١٤
٤	الإيثار .. خلق إسلامي وقيمة إنسانية	٢١
٥	فروض الكفايات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي	٢٧
٦	عوامل القوة في بناء الدول	٣٤
٧	التعليم ضرورة شرعية ووطنية	٤٢
٨	الانتماء للوطن وفضل الشهادة في سبيله	٤٩
٩	الحفاظ على الأمن وأثره في تحقيق التنمية	٥٥
١٠	بناء الأسرة السوية وحمايتها	٦٢
١١	الاعتبار بالزمن ومصائر الأمم والدول قديمًا وحديثًا	٦٩
١٢	إفشاء السلام كيف يكون؟	٧٦
١٣	الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف	٨٢
١٤	الخوف من الله وأثره في استقامة الفرد والمجتمع	٨٩

م	الموضوع	الصفحة
١٥	صلة الرحم وأثرها في حياة الفرد والمجتمع	٩٦
١٦	حقوق الأيتام ، وذوي الاحتياجات الخاصة	١٠٤
١٧	خطورة التكفير والفتوى بدون علم وضرورة الاصطفاف في مواجهة الإرهاب	١١١
١٨	سماحة الإسلام ونبذه لكل ألوان العنف	١١٨
١٩	التسامح الديني وضرورة تفويت الفرص على أعداء الدين والوطن	١٢٥
٢٠	أمانة الصانع والتاجر	١٣٢
٢١	مال الوقف .. حرمته وتنميته ودوره في خدمة المجتمع	١٣٩
٢٢	الرشوة وأثرها المدمر على الأفراد والدول وسبل القضاء عليها	١٤٥
٢٣	فضل الصدقات وسبل تعظيم ثوابها	١٥٢
٢٤	المال الحرام صوره وأثره المدمر على الفرد والمجتمع	١٥٩
٢٥	المسئولية دينية ووطنية ومجتمعية وإنسانية	١٦٦
٢٦	مفهوم المواطنة والانتماء وواجبنا تجاه السائحين والزائرين والمقيمين	١٧٣
٢٧	قيمة العمل	١٨٠

الصفحة	الموضوع	م
١٨٧	العمل التطوعي .. أهميته وضوابطه	٢٨
١٩٣	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين	٢٩
٢٠٠	حرمة المال العام وثواب صيانته وتنميته	٣٠
٢٠٧	حماية الأوطان وسبل بنائها	٣١
٢١٣	دور المرأة في بناء المجتمع	٣٢
٢٢٠	حرمة الاعتداء والتخريب وضرورة البناء والتعمير	٣٣
٢٢٧	المبادأة والمبادرة نحو القيم والأخلاق وخدمة المجتمع.	٣٤
٢٣٤	الإسراء والمعراج دروس في الفرج بعد الشدة	٣٥
٢٤٠	تحويل القبلة دروس وعبر	٣٦
٢٤٧	رمضان شهر الدعاء والإجابة والنصر	٣٧
٢٥٤	الإدمان والمخدرات سم قاتل ورمضان فرصة للإقلاع عنهما وعن سائر الموبقات	٣٨
٢٦١	العشر الأواخر من رمضان عبادة وسلوكا وتربية	٣٩
٢٦٨	خطبة عيد الفطر المبارك ١٤٣٨هـ	٤٠
٢٧٤	ماذا بعد رمضان ؟ وماذا أفدنا منه؟	٤١

م	الموضوع	الصفحة
٤٢	الحج بين فقه الأولويات وفقه النسك	٢٨١
٤٣	الدروس المستفادة من خطبه حجة الوداع	٢٨٨
٤٤	خطبة عيد الاضحى المبارك ١٤٣٨هـ	٢٩٥
٤٥	النبى ﷺ من الميلاد إلى البعثة	٣٠٢
٤٦	من الجوانب الأنسانيه في حياة الرسول ﷺ	٣٠٩
٤٧	الطريق إلى السعادة	٣١٦
٤٨	حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق	٣٢٣
٤٩	فهرس الموضوعات	٣٣٢